

قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ الآية . سورة يوسف

أَسْحَرُ الْقَصَصِ

لواضعه

السيد

عَلِيٌّ كَرِيمِي

الأمين الأول لدار الكتب المصرية
ورئيس المغيرين

الجزء الرابع

يشمل بخاصة سير

أئمة الدين وبعض الصالحين

رضي الله عنهم أجمعين

الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

طبع بمطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
وعلى آله وصحبه والتابعين

أما بعد فهذا الجزء الرابع من كتاب أحسن القصص
وهو يشمل خلاصة سير ومناقب الأئمة المجتهدين ، هداة الأمة
الاسلامية وحماة الدين ، الذين أقاموا قواعد الدين على أساس متين ،
ودعوا الناس الى عبادة رب العالمين ، فملاوا بشريعتهم وعلومهم الآفاق
والبلدان ، وسارت بجيش ذكركم الركبان ، في كل زمان ومكان
وهؤلاء الأئمة الأعلام هم :

- ١ - الإمام الكوفي أبو حنيفة النعمان
- ٢ - الإمام مالك بن أنس رفيع القدر والشان
- ٣ - الإمام الشافعي المتصل نسبه الشريف بآل عدنان
- ٤ - الإمام أحمد بن حنبل الذي سلك بعلمه الطريق الأحمد في
السرو والاعلان

٥ - الإمام الليث الذي عم الأنام بالكرم والطف والفيث

وقد أنشد بعضهم في مدحهم :

« قوم الى الله ساروا بالعلوم على

« وفارقوا الأهل والذات واغتربوا

« حتى انتهوا منتهى علم ومعرفة

« هم الأئمة لازالت علومهم

وقد أضفت اليهم سير بعض الصالحين من آل بيت النبي المختار

عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام

فيرى المطلع على سيرهم ومناقبهم المثل الأعلى في الدين والعلم

والأخلاق

والله تعالى أسأل أن ينفعنا بهم وبعلمهم ، ويحفظنا ببركاتهم ، وأن

يهدينا للعمل بشريعتهم ، والسير على طريقتهم ، إنه سميع مجيب الدعاء

السير على فكرى

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

ورئيس المغيرين

١٢ ربيع الأنور سنة ١٣٥٣ - ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٤

١ - الامام ابي حنيفة النعمان

مختصر من كتاب حياة الامام للاستاذ السيد عفيق القاضي الشرعي

مولده ونسبه

ولد الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه
(بالأنبار بالكوفة) سنة ثمانين من الهجرة النبوية في عصر الدولة
الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان

وذلك في حياة جماعة من الصحابة رضي الله عنهم

ويقال : إن أباه (ثابتاً) هو الذي أهدى (الفالودج) لسيدنا علي بن
أبي طالب رضي الله عنه يوم عيد النيروز ، وقيل : كان ذلك يوم
المهرجان

وكان (ثابت) أبو أبي حنيفة يقول : أنا في بركة دعوة صدرت من
علي رضي الله عنه في حق

اسمه وكنيته

اسمه : النعمان وقيل : معنى النعمان اللذم ، أو الروح ، فيكون
اتفاقاً حسناً ؛ لأن أبا حنيفة روح الفقه وقوامه ، ومنه منشؤه ونظامه

كنيته : أبو حنيفة (مؤنث حنيف) وهو الناسك أو المسلم ، لأن

الحنيف هو المائل الى الدين الحق

وقيل : ان سبب كنية الإمام بذلك أنه كان ملازماً لصحبة الدواة

وحنيفة (بلغة العراق) الدواة فكنى بها

صفته - كان الإمام أبو حنيفة من أحسن الناس صورة ، وأبلغهم

نطقاً ، وأكملهم إيراداً ، وأحلامهم نعمة ، وأبينهم لما يريد

وكان حسن الوجه ، حسن اللحية ، حسن الهيئة والثياب ، حسن

المجلس ، حسن السميت ، هيوياً ، شديد الكرم ، كثير المواساة

لإخوانه ، كثير التعطر ، ولذا قيل :

كان إذا خرج من منزله يعرف بريح المسك قبل أن يراه الناس

أصله - هو عربي المولد والنشأة ، وجدوده من فارس ، ولاغضاضة

إذا كان الإمام فارسي الأصل ، فالتقوى أعلى نسب ، وأقوى حسب

لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، لَأَفْضَلُ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا

لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرٍ ، وَلَا لِأَحْمَرٍ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا

بِالتَّقْوَى »

فالأعتبار إذاً للتقوى ، لا للنسب المجرد ، وشرف العلم والتقوى ،
فوق شرف النسب والحسب

بشارة النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة

قال الإمام السيوطي رحمه الله : ذكر العلماء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالإمام أبي حنيفة في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وهو :

« لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس »
وفي هذا الحديث الشريف أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة
بأبي حنيفة، وفي الفضيلة التامة له ، لأنه لم يبلغ أحد في زمن أبي حنيفة
من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه
علمه - أخذ الإمام أبو حنيفة من العلوم بأوفر نصيب ، وبلغ فيها
مبلغاً يشار إليه بالبنان ، وقد تفوق في علوم النظر والقياس ، وإصابة
الرأى حتى قالوا عنه : « أبو حنيفة إمام أهل الرأى »

أما العلوم الشرعية والعربية ، والأدبية والحكومية ، فكان في كل
هذا بجزراً لا يجارى ، وإماماً لا يجارى

وأما الفقه ، فقد ذكر الإمام الشافعي : أن الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه

وأما الحديث ، فقد قال الإمام أبو يوسف : ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة كان بصيراً بعلل الحديث ، وبالتعديل والتجريح ، مقبول القول في هذا ، وأنشد الإمام أبو المؤيد :

« نعمان قد سبر العلوم بأسرها حتى علّامها ذرى الأطواد »
« ثم انتهى منها الى الفقه الذي قد راح في الأغوار والأنجاد »
« وهداه لما لجّ في طلب الهدى محمود فطنته الى حمّاد »
« ثم انبرى من بعده يفتي الورى حقاً برغم معاطس الحساد »
« لقد ارتقى في فقهه في قلة هدمت معاها قوى الإلحاد »
« فرّق الضلال حدّوا اليه مطيهم فهداهم لكل قوم هادي »

زيادة نشاطه وإقباله على العلم والتدريس والافتاء

قال الإمام رحمه الله : كنت أجلس للتعليم ، وأصبر لأصحابي طرفي النهار مع المداومة ، فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأنني أنبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأستخرج عظامه فأجمع بعضها على بعض ، فأعظمني ذلك وأفرعني ، فتركت المجلس ، وأرسلت رجلاً أميناً ثقة

إلى (ابن سيرين عالم الرؤيا) يسأله عن هذه الرؤيا ، فذهب الرجل
وسأله فعبرها تعبيراً رجوت منه الخير ، فخف عنى ما كنت أجده من
تلك الرؤيا ، وعدت إلى العلم والتعليم

قال يحيى بن نصر : ما الذى عبّر ؟ قال الإمام : السماع من غيرى
أحسن . قلت : على كل حال أحب أن أعلم

قال : صاحب هذه الرؤيا يحيى علماً قد أميت ؛ وفى رواية أخرى
يحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

شجع هذا أبا حنيفة ، وزاده نشاطاً ، فزاد إقباله على التدريس
والإفتاء ، وكثرت أصحابه حتى صارت حلقة درسه أوسع الحلقات فى
المسجد وأعظمها ، وعمل أشياء أعجزت غيره وتفوق على الجميع ،
واستحكم له الأمر ، فانصرف إليه وجوه الناس ، وأكرمه الخلفاء
والأمراء والحكام وأشرف الدولة

وما زال كذلك حتى ارتفع شأنه وزاد إقبال الناس عليه ؛ ولكن
مع الأسف كان خصومه وحساده يصغرون من شأنه ، ويشوهون من
سميته ، ويؤلفون فى ذمه ، والانتقاص من قدره ، المؤلفات ؛ ولكنه لم
يعبأ بهم ، ولم يلتفت لأقوالهم ، وكان يقول :

« عفا الله عنى قال فىنا مكروهاً ، ورحم الله من قال فىنا جيلاً »
تفقهوا فى دين الله ، وذروا الناس ، وما قد اختاروا لأنفسهم ،

فيحوجهم الله تعالى للعلم
وعلى الرغم مما أصابه من ذم الخصوم ، وكيد الحساد ، كان حافظاً
لسانه لا يذكر أحداً بسوء ، وكان لا يخوض فيما لا يعنيه ، ولا يستمع إليه ،
ولم يغتب أحداً قط ، وكان أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب
بها ، وكان طويل الصمت ، كثير الفكر . دقيق النظر في الفقه ، لطيف
الاستخراج في العلم والعمل ، والبحث والتنقيب ، كثير العقل ، قليل
المجادلة للناس ، قليل المحادثة لهم
وكان يعلم أنه لا يسلم من ذم الناس وحسدهم أحد فطرح المبالاة
لكلامهم ، واستعمل المبالاة لكلام الله تعالى ، وهذا هو العقل كله
والراحة كلها ، وهذا هو المثل الأعلى الذي يجب أن يكون مثل العلماء
وأهل الكمال والفضيلة ، وقد أنشد بعضهم :

« لأبي حنيفة في العلوم منار ملئت بها الآفاق والأقطار »

« شيخ البرية في العلوم ومن له تروى المناقب عنه والأخبار »

« متعبد لله طول حياته وعليه منه سكينته ووقار »

« قد كان يحى ليله متهجداً وله بكل وظيفة أذكار »

« وعطاؤه قد كان سمحاً للورى وله بذاك على الدوام فخار »

تلاميذه - لا يمكن حصر تلاميذ الإمام أبي حنيفة الآخذين عنه ،

ولم يظهر لإمام من أئمة الإسلام من الأصحاب والتلاميذ مثل ما ظهر
لأبي حنيفة ، ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وبأصحابه

ومن هؤلاء العلماء (حماد بن أبي سليمان) وهو الذي لازمه حتى تخرج
به ، وكان أقره أهل زمانه وأكرمهم

خصائصه - اختص الإمام أبو حنيفة عن غيره من الأئمة بخصائص منها:

١ - أنه وُلِدَ في زمن جماعة كثيرة من الصحابة ، واتفق المحدثون

على أن أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على
عهده وهم :

أنس بن مالك ، خادم الرسول ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وسهل بن

سعد الساعدي ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة

ولا خلاف في ذلك فهو من أهل القرن الذين شهد لهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالخيرية ، ووصفهم بالعدالة

روى الشيخان : (البخاري ومسلم) وغيرهما عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه قال :

« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »

وروى مسلم وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« خير الناس القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث »

وأشده الإمام أبو المؤيد :

« غدا مذهب النعمان خير المذاهب

كذا القمر الوضاح خير الكواكب »

« فقّه في خير القرون مع التقى

ومذهبه لا شكّ حير المذاهب »

٢ - أنه اجتهد في زمن التابعين ، وكان مقدماً في الفتوى معظماً

في زمنهم

وقيل : إنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من التابعين ، أو يزيدون
وأنه اتفق له من الأصحاب ما لم يتفق لأحد من بعده من الأئمة

٣ - رواية الأئمة الكبار عنه حتى قيل : لو لم يستدل على فضل

الإمام أبي حنيفة إلا برواية الكبار عنه لكفى ، ومنهم (عمرو بن دينار)

فإنه من شيوخ أبي حنيفة وكبار العلماء

٤ - أنه أول من دون علم الفقه ورتبه أبواباً ، ثم تابعه الإمام مالك

ابن أنس في ترتيب الموطأ ، فلم يسبق أبا حنيفة أحد ؛ لأن الصحابة

والتابعين إنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم

فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشرًا خاف عليه فجعله أبواباً مبوّبة

وكتباً مرتبة

وهو أول من وضع كتاب الفرائض ، وأول من وضع كتاب

الشروط ، وهو كما قال المتنبّي :

« إمام رست للعلم في كنه صدره

جبال جبال الأرض في جنبها قف »

٥ - انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره وهي : الهند ، والسند

والروم ، والترك ، وبلاد ماوراء النهر ، وغالب بلاد العجم وغير ذلك

٦ - أنه كان يأكل وينفق على أهل العلم وغيرهم من كسبه ، ولم

يقبل الجوائز (العطايا)

٧ - أنه مات محبوساً ساجداً لله

٨ - أنه كان كثير العبادة ، والقيام بالليل ، وقراءة القرآن

روى عنه : أنه كان يحيى نصف الليل ، وقد ختم القرآن في شهر

رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل ، وختمة بالنهار

وأشدد الامام أبو المؤيد في خصائصه :

« إن الامام أبا حنيفة لم تذوق عيناه قط لذادة الإغفاء »

« وعلى كتاب الله مذهبه بُني لله ثم السنة الغراء »

« ثم اجتمع المسلمين فانهم نظروا بنور الحق في الظلماء »

« ثم القياس على النصوص فانه زهر لأهل الملة الزهراء »

٩ - أنه كان يخاف الله ، ويؤثر رضا ربه على كل شيء ، ولو أخذته

السيوف في انه تعالى لاحتل ، وكان يصلي ويبكي ويدعو ويقول :

« رب ارحمني يوم تبعث عبادك ، وقتي عذابك ، واغفر لي ذنوبي

يوم يقوم الأشهداء »

١٠ - قيامه لله حق القيام ، فانه كان إذا رأى منكراً ذهب ذلك

اللين، واحمرت عيناه، وانقلبنا في أم رأسه ، وانتفخت أوداجه ، ومارأى
منكراً قط إلا أزاله

مناقب الإمام رضى الله عنه

ترفعه ورفضه لمناصب الدولة - عرض الخلفاء والولاة والأمراء
مناصب الدولة على الإمام أبي حنيفة فأبى أن يتولى واحداً منها، فضربوه
وعذبوه وحبسوه على هذا الإباء فأصر عليه حتى مات مسجوناً من جراء
امتناعه من أن يتولى القضاء، ويدل على ذلك ما يأتي :

١ - روى الخطيب عن الربيع بن عاصم قال : أرسلني يزيد بن
هيرة إلى العراق، ولم روان بن محمد آخر ملوك بني أمية فقدمت بأبي
حنيفة فأرادته على بيت المال فأبى فضربه أسواطاً

٢ - وعن أبي حفص الكبير وغيره قالوا : كان ابن هيرة والياً على
العراق في زمن بني أمية فظمرت الفتنة بالعراق فجمع ابن هيرة فقهاء
العراق ببابه فيهم (ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وداود بن أبي هند)
وغيرهم، فولى كل واحد منهم شيئاً من عمله، وأرسل إلى أبي حنيفة
ليكون على خاتمه، ولا ينفذ كتاب إلا من تحت يد أبي حنيفة، ولا يخرج
شيء من بيت المال إلا من تحت يد أبي حنيفة، فامتنع أبو حنيفة، فحلف
ابن هيرة إن لم يفعل ليضربنه

فقال له جماعة هؤلاء الفقهاء : إنا نتشذك الله أن تمتلك نفسك فانا
إخوانك وكلنا كاره لهذا الأمر لم نختره، ولم نجد بداً من ذلك ، فأبى
وقال :

لو أرادني أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل ، فكيف وهو يريد أن
يكتب بضرب عنق رجل مسلم ، وأختم أنا على ذلك الكتاب ؟ فوالله
لا أدخل في هذا أبداً .

فجسه صاحب الشرطة جمعين لم يضربه ثم ضربه أربعة عشر سوطاً
٣ - روى الخطيب عن عبد الله بن عمرو قال : كلم ابن هبيرة
أبا حنيفة في أن يلي قضاء الكوفة فأبى ، فضربه مائة سوط وعشرة
أسواط ، في كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك
خَلَّى سبيله

٤ - روى عن بشر بن الوليد قال : كان أبو جعفر المنصور أمير
المؤمنين أرسل إلى أبي حنيفة وأراد أن يوليه القضاء فأبى
فحلف عليه أبو جعفر ليفعل ، فحلف أبو حنيفة لا يفعل . فقال الربيع لأبي
حنيفة ألا ترى أمير المؤمنين قد حلف ؟ فقال : أبو حنيفة أمير المؤمنين أقدر
على كفارة يمينه منى على كفارة يميني ، فأمر بحبسه ، ثم دعا به فقال : أترغب
عما نحن فيه ؟ فقال أبو حنيفة : أصلح الله أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين
إتق الله ، ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله ، والله ما أنا مأمون

الرضا ، فكيف أكون مأمون الغضب ؟ فلا أصلح لذلك

فقال أمير المؤمنين : كذبت ، أنت تصلح لذلك

فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حكمتَ على نفسك ، إن كنتُ صادقاً

فقد أخبرت أمير المؤمنين أنى لا أصلح ، وإن كنت كاذباً فكيف يحل

لك أن تولى قاضياً كذاباً ؟ ومع ذلك فأتى رجل مولى ، ولا تكاد

العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى ، فأمر به إلى السجن ولبث به إلى

أن مات ودفن في مقابر الخيزران

٥ - وفي رواية أخرى ، ان أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة وسفيان

الثوري وشريكا النخعي فدخلوا عليه ، فقال لسفيان : هذا عهدك على

قضاء البصرة فألحق بها ، وقال لشريك : هذا عهدك على قضاء مدينتي

وما يليها فأمض ، وقال لحاجبه : وجّه معهم متوكلاً بهم ، فمن أبي منهم

فأضربه مائة سوط ، فأما شريك فإنه تقلد القضاء ، وأما سفيان فإنه هرب

إلى اليمن ، وأما أبو حنيفة فلم يقبل ، فضربه مائة سوط وحبس إلى

أن مات رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة

رهمه وورعه : ١ - عن ابن المبارك قال : قدمت الكوفة فسألت

عن أزهد أهلها ؟ فقبل : أبو حنيفة

٢ - وعن الحسن بن صالح قال : كان أبو حنيفة شديد الورع ،

هائبا للحرام، تاركاً لكثير من الحلال مخافة الشبهة، مارأيت فقيها أشد
ديانة منه لنفسه ولعلمه، وكان جهاده كله الى قبره

٣ - وعن الحسن بن زياد قال : والله ما قبل أبو حنيفة جائزة ولا هدية

٤ - وعن بكر بن ~~الزهر~~ ابراهيم قال : جالست الكوفيين فلم أرفيهم
أروع من أبي حنيفة

٥ - روى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال : أتذكرون
رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها ؟

٦ - روى عن محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي
حنيفة : قد أمر لك أبو جعفر أمير المؤمنين بعشرة آلاف درهم ، قال :
فما رضى أبو حنيفة . فلما كان في اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه
صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ، فجاء رسول الحسين بن قحطبة
بالمال فدخل عليه فلم يكلمه ، فقال من حضر : ما يكلمنا إلا بالكلمة
بعد الكلمة ، أى هذه عادته فقال : ضعوا المال في هذا الجراب في
زاوية البيت

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته ، وقال لابنه : اذا مت
ودفنتونى فخذ هذه البدره واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له :
هذه وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة ، قال ابنه : ففعلت ذلك . فقال

الحسن : رحمة الله على أيك لقد كان شحيحاً على دينه

٧ - قيل لأبي حنيفة : تعرض عليك الدنيا فتعرض عنها ولك عيال؟

فقال : الله تعالى للعيال ؛ وإنما قوتى أنا في الشهر درهمان ، فما جمعي

لمن يسألني الله تعالى عن الجمع لهم إن أطاعوه تعالى أو عصوه ؟ فان

رزق الله تعالى غادٍ ورائح على العاصين والمطيعين . ثم قرأ : ﴿ وَفِي

السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

٨ - وعن عبد الله بن المبارك قال : وقعت الى الكوفة أغنام من

الغارة واختلطت بغنم أهل الكوفة فسأل أبو حنيفة : كم تعيش الغنم ؟

فقالوا : سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين

ورأى بعض الجند أكل لحماً ورعى فضلته في نهر الكوفة ، فسأل

عن عمر السمك فقيل له : كذا وكذا . فامتنع من أكل السمك تلك المدة

٩ - وقال الإمام القشيري : كان أبو حنيفة لا يجلس في ظل شجرة

غريمه ويقول : كل قرض جرّ منفعة فهو ربا

١٠ - وعن يزيد بن هارون قال : مارأيت رجلاً أروع من أبي

حنيفة ، رأيت يوماً جالساً في الشمس عند باب انسان فقلت له :

(م - ٢ - رابع)

ياأبا حنيفة لو تحوات الى الظل : فقال: لى على صاحب هذه الدار دراهم
ولا أحب أن أجلس فى ظل فناء داره . قال يزيد : فأى ورع أكثر
من هذا ؟

أمانته - عن عبد الله بن صالح قال : قال رجل للحكم بن هشام
أخبرنى عن أبى حنيفة ؟ قال : كان أعظم الناس أمانة ، فقد أراداه السلطان
على مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره ، فاخترنا عذابه على عذاب الله .
قال : مارأيت أحداً يصف أبا حنيفة كما وصفته . قال : هو والله كما قلت
وعن وكيع قال : كنت عند أبى حنيفة فجاءت امرأة بثوب خزٍ
(حرير) فقالت : بعه لى . فقال : بكم قيل لك تبيعهينه ؟

قالت : بمائة درهم . قال : هو خير من ذلك

قالت : تهزأبى ؟ قال : هاتى رجلاً . فجاءت برجل فاشتراه بمئسائة درهم
وعن على بن حفص البزاز قال : كان حفص بن عبد الرحمن
شريك أبى حنيفة فبعث اليه أبو حنيفة بمتاع وأعلمه أن فى ثوب كذا
وكذا عيباً فاذا بعه فبين ، فباع حفص المتاع ونسى أن يبين ولم يعلم
من اشتراه

فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمان المتاع كله ، وكان ثلاثين ألف درهم ،
وفاصل شريكه (بآينه) أى قاطعه

قناعته - كان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه بقدر ما يأكله

ثم يطعمه لانسان فقير أو لمن في بيته يحتاج اليه

قال أبو حنيفة لعيسى بن موسى أمير الكوفة :

« كسرة خبزٍ وقعبُ ماءٍ وفرد ثوبٍ مع السلامه »

« خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامه »

وفور عقله - لقد بلغ الإمام أبو حنيفة من وفور العقل ما جعله يستنبط

مذهباً وما جعل الإمام الشافعي يقول : ما قامت النساء عن رجل أعقل

من أبي حنيفة

وذُكر أبو حنيفة عند هارون الرشيد يوماً فترحم عليه وقال :

كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه

وقال ابن المبارك : ما رأيت رجلاً أعقل من أبي حنيفة

وقال علي بن عاصم : لو وزن عقل أبي حنيفة بنصف عقل أهل

الأرض لرجح بهم

وقال الإمام أبو يوسف : ما صحبت أحداً يقدر أن يقول انه رأى

أكمل عقلاً أو أم مروءة من أبي حنيفة

وروى القاضي بن كاس : أن أبا حنيفة كان جالساً في المسجد

فسقط في حجره من السقف حية عظيمة، فما تغير ولا تحول؛ بل قال :

﴿ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

وأخذها بيده اليسرى ورمى بها عنه

فراسته - كان أبو حنيفة ينظر الى الانسان فيعرف ما في نفسه بشدة فراسته ، وكان بمجرد معاشرته لشخص يعرف ما يؤول اليه أمره، ويحدثه عما يحصل له في مستقبله ، فكأنه كان يقيس مستقبله على ماضيه ولقد بلغ من حسن فراسته وصدقها أنه قال لداود الانطاكي : أنت تتخلى للعبادة . وقال لأبي يوسف : أنت تميل الى الدنيا . فكان كما قال ومما يدل على فراسته أن محمد بن ابراهيم الفقيه قال : كان أبو حنيفة جالساً في المسجد فمرّ عليه رجل فقال أبو حنيفة : هذا الرجل غريب ، وفي كفه شيء من الحلوى ، وهو معلم صبيان ، فقام بعض أصحاب أبي حنيفة وتبع الرجل فوجده غريباً ، ووجد في كفه زيبياً ، ووجد أنه معلم صبيان

فسألوا أبا حنيفة عن هذه المسائل ؟ فقال : رأيتُه ينظر عيماً وشمالاً وكذلك الغريب يفعل ، ورأيت الذباب على كفه فعلت أن في كفه شيئاً من الحلوى ، ورأيتُه ينظر الى الصبيان فعلت أنه معلم صبيان ذكاؤه - كان أبو حنيفة آية في الذكاء والفطنة ، فكانت توجه اليه الأسئلة المعقدة المبهمة فيجيب عنها على البديهة إجابة مسكنة

كان يعرف كيف يتقن المكاييد ، ويتخلص من الورطات ، وينجو

من المهالك

ومما يدل على ذلك قصة الآتية :

قال محمد بن مقاتل : قصد رجل أبا حنيفة فقال له : ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ، ولا يخاف من النار ، ولا يخاف الله تعالى ، ويأكل الميتة ، ويصلى بلا ركوع ولا سجود ، ويشهد بما لا يرى ، ويبغض الحق ، ويحب الفتنة ، ويفر من الرحمة ، ويصدق اليهود والنصارى ؟

فقال أبو حنيفة - وكان يعرفه شديد البغض له : يا فلان سألتني عن هذه المسائل فهل لك بها علم ؟ فقال الرجل : لا

فقال أبو حنيفة لأصحابه : ما تقولون في هذا الرجل ؟

قالوا : شر رجل ، هذه صفات كافر

فتبسم أبو حنيفة وقال لأصحابه : هو من أولياء الله تعالى حقاً ثم قال للرجل : إن أنا أخبرتك أنه من أولياء الله تعالى تكف عن سوء لسانك ؟

قال : نعم

قال أبو حنيفة : أما قولك ، لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار ، فإنه يرجو رب الجنة ، ويخاف رب النار

وقولك : لا يخاف الله ، فإنه لا يخاف الله تعالى أن يجور عليه في

عدله وسلطانه قال تعالى :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

وقولك : يأكل الميتة ، فهو يأكل السمك

وقولك : يصلى بلا ركوع ولا سجود ، أراد الصلاة على النبي أو

صلاة الجنائز

وقولك : يشهد بما لم يره ، فهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً

عبده ورسوله

وقولك : يبغض الحق ، فهو يبغض الموت ، وهو الحق ، ويجب

البقاء حتى يطبع الله تعالى

قال تعالى : ﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةٌ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾

وقولك : ويجب الفتنة ، أراد أنه يجب المال والولد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾

وقولك : يفر من الرحمة ، أراد أنه يفر من المطر (وهو غيث ورحمة)

وقولك : يصدق اليهود والنصارى . أراد قول الله تعالى عنهم :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ

لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾

فقام الرجل وقبل رأس أبي حنيفة وقال : أشهد أنك على الحق

حلمه وعفوه - استطال السفهاء على أبي حنيفة ما استطالوا ، وناله من

بذاعة الجهال ، وكيد الحاقدين والحساد ماناله ، فكان ممن إذا خاطبهم
الجاهلون قالوا : سلاما ، وإذا مروا باللغو مروا كراما
ومما يدل على حلمه الحوادث الآتية :

١ - قال يزيد بن الكميت : شهدت أبا حنيفة قد شتمه رجل ،
واستطال عليه وقال له : يا زنديق ، فقال له أبو حنيفة : غفر الله لك ،
هو يعلم مني خلاف ما تقول ، وهو يعلم أني ما عدلت به أحدا منذ عرفته ،
ولا أرجو إلا عفوه ، ولا أخاف إلا عقابه ، ثم بكى عند ذكر العقاب
وسقط صريحا ثم أفاق

فقال له الرجل : اجعلني في حلٍ . فقال : كل من قال في شيء
من أهل الجهل فهو في حلٍ ، وكل من قال في شيء مما ليس في من
أهل العلم فهو في حرج ، فان غيبة العلماء لا تبقى شيئا بعدهم
وقيل له : الناس يتكلمون فيك ، ولا تتكلم في أحد ؟

قال : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾
٢ - وقال عصام بن يوسف : قام رجل في ناحية المسجد وجعل
يسب أبا حنيفة ويشتمه ، فما قطع أبو حنيفة حديثه ، ولا التفت اليه ،
ولا أجابه ، ونهى أصحابه عن مخاطبته

فلما فرغ من درسه وقام تبعه ذلك الرجل البذيء
فلما وصل أبو حنيفة الى باب داره قام على بابه واستقبل الرجل

بوجهه وقال : هذه داري ، فان كنت تريد أن تم باقى كلامك فأتمه حتى لا يبقى معك شىء

فاستحيا الرجل وقال : اجعلنى فى حل . فقال : أنت فى حل كرم أخلاقه . ما كان أبو حنيفة إماماً فى العلم والفقہ فحسب ؛ ولكنه كان إماماً أيضاً فى الفضيلة ومكارم الأخلاق روى عن ابراهيم بن سعيد الجوهري أنه قال : كنت عند أمير المؤمنين هارون الرشيد إذ دخل عليه أبو يوسف ، فقال له الرشيد :

يا أبا يوسف صف لى أخلاق أبى حنيفة ، فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿ مَا يَنْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وهو عند لسان كل قائل ، علمى أبى حنيفة أنه كان شديد الذب عن محارم الله تعالى أن تؤتى ، شديد الورع ، لا ينطق فى دين الله إلا بعلم ، يجب أن يطاع الله تعالى ولا يعصى ، مجانباً أهل الدنيا فى زمانهم ، لا ينافس فى غيرها ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، على علم واسع ، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً ، إن سئل عن مسألة كان عنده فيها علم نطق به ، وأجاب فيها بما سمع ، وإن كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه ، صائناً نفسه ودينه ، بذولاً للعلم والمال ، مستغنياً بنفسه عن جميع الناس ، لا يميل الى طمع ، بعيد عن الغيبة ، لا يذكر أحداً إلا بخير

فقال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين حقاً

وقال ابن عمران الموصلي : كان في أبي حنيفة عشر خصال ، ما كانت واحدة منها في أحد إلا صار رئيساً في قومه ، وساد قبيلته وهي :
الورع ، والصدق ، والفقه ، ومداراة الناس ، والمروءة الصادقة ،
والإقبال على ما ينفع ، وطول الصمت ، والإصابة في القول ، ومعونة
اللبان عدواً كان أو صديقاً .

أكله من كسب يده - تواترت الروايات على أن الإمام رضى الله
عنه كان يتجر في البرز (الثياب من الكتان أو القطن) وكان مسعوداً
في ذلك ، ماهراً فيه ، وكان له حانوت بالكوفة وشركاء يسافرون له
في شراء ذلك وفي بيعه

قال أبو يوسف : كان أبو حنيفة باذلاً للمال ، مستغنياً بنفسه عن جميع
الناس ، لا يميل الى طمع ، وقال عمر بن حماد بن أبي حنيفة : كان
أبو حنيفة بزازاً (بائع البرز) ودكانه معروف في دار عمر بن حريث .
وقال محمد بن مقاتل : كان أبو حنيفة خزازاً (بائع الخبز) فجاءت امرأة
فطلبت ثوب خز فقال لفلانمه : أخرج لها ثوب خز ، فأخرجه الفلام
وضرب يده عليه وقال : صلى الله على محمد ، فغضب أبو حنيفة وقال :
تمدح ثوبي بالصلاة على محمد ، لا أبيع ثوبي اليوم ، فلم يبع ذلك اليوم
شيئاً من متاعه

كرمه ومؤاساته - كان أبو حنيفة أبرَّ الناس بأصحابه ، وأكرمهم
مجالسة ، ولا يكاد يسأل عن حاجة إلا قضاها ، وقد يماً قالوا : إن ذوى
الشرف أتم عقولاً وكرماً من غيرهم

ومما يدل على كرمه الحوادث الآتية :

١ - قال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : إن أبا حنيفة حين
حفظ حماد ابنه (سورة الحمد) وهب للمعلم خمسمائة درهم ، وفي روايه
ألف درهم ، فقال المعلم : ما صنعت حتى أرسل الى هذا ؟ فأحضره واعتذر
اليه فقال : ما هذا إلا مستحقراً فيما علمت ولدى ، والله لو كان معنا
أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيماً للقرآن

٢ - وعن قيس بن الربيع قال : كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع الى
بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها الى الكوفة ، ويجمع الأرباح
عنده من سنة الى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وقوتهم
وكسوتهم وجميع حوائجهم ، ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح اليهم
فيقول :

أنفقوا فى حوائجكم ، ولا تحمدوا إلا الله تعالى ، فانى ما أعطيتكم من
مالى شيئاً ، ولكن من فضل الله تعالى فيكم ، وهذه أرباح بضاعتكم
فانه هو والله مما يجريه الله تعالى لكم على يدى

٣ - وكان رضى الله عنه إذا جلس اليه الرجل سأل عنه ، فان كان

به فاقه أعطاه ، فجلس اليه رجل عليه ثياب رثة ، فلما تفرق الناس أمره بالجلوس حتى خلا به ، فقال له : ارفع هذا المصلي وخذ من تحته ألف درهم أصلح بها حالك . فقال الرجل : أنا موسر وأنا في نعمة . فقال له : أما بلغك الحديث : « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يغم بك صديقك

٤ - وعن مسعر قال : كان أبو حنيفة إذا اشترى لعياله شيئاً أنفق على شيوخ العلماء مثل ما أنفق على عياله ، وإذا اكتسى ثوباً فعل كذلك ، وإذا جاءت الفاكهة والرطب وكل شيء يريد أن يشتريه لنفسه ولسياله لا يفعل ذلك حتى يشتري لشيوخ العلماء مثله ، ويشتري بعد ذلك لعياله

٥ - وعن أبي يوسف قال : كان أبو حنيفة شديد البرّ لكل من عرف ، وكان يهب للرجل خمسين ديناراً أو أكثر ، فإذا شكره بمحضرة قوم غمه ذلك وقال : اشكر الله تعالى ، فإنما هو رزق ساقه الله تعالى اليك

٦ - وعن اسحق بن اسرائيل قال : سمعت أبي يقول : كان أبو حنيفة جواداً يواسي أصحابه المؤاساة الكثيرة ، ويبرّهم في الأعياد ، ويرسل الى كل واحد منهم قدر منزلته ، ويزوج من احتاج اليه ، وينفق عليه من عند نفسه ، ويقوم بحوائجهم

٧ - وعن سفيان بن ابراهيم قال : كنت مع أبي حنيفة في طريق

يعود مريضاً . فرأى رجلاً من بعيد فاقتبأ الرجل منه ، وأخذ في طريق آخر فصاح أبو حنيفة : أي فلان ، عليك بالطريق الذي أنت فيه . لا تأخذ في طريق آخر . فلما علم الرجل أن أبا حنيفة بعُسر به خجل ووقف ، فقال له أبو حنيفة : لِمَ عدلت عن طريقك الذي كنت عليه ؟ قال الرجل : لك على عشرة آلاف درهم ، وقد طال على الوقت وامتد ، ولم أقدر أن أوذى ؛ فلما رأيتك استحييت منك ، فقال له أبو حنيفة : سبحان الله بلغ بك الأمر كل هذا ، حتى إذا رأيتني تواريت عني . . . قد وهبت لك مثل ذلك كله ، وأشهدت على نفسي ، فلا تتوار مني بعد هذا ، واجعلني في حل مما دخل في قبلك مني حيث لقيتني

٨ - وعن شريك قال : كان أبو حنيفة يصبر على من يعلمه ، وإن كان فقيراً أغناه ، وأجرى عليه وعلى عياله حتى يتعلم ، فإذا تعلم قال له : قد وصلت إلى الغنى الأكبر بعرفة الحلال والحرام

٩ - وعن يحيى بن خالد قال : حبس إبراهيم بن عيينة بسبب دين لزمه وهو أكثر من أربعة آلاف درهم فقام بعض اخوانه فجمع له من الناس وصار إلى أبي حنيفة

فقال أبو حنيفة : كم دينه ؟ قال : أكثر من أربعة آلاف درهم قال : فهل أخذت من أحد شيئاً ؟ قال : نعم . قال : رد ما أخذت على

من أخذت منه ، وأنا أقضى جميع ما عليه من الدين
١ - وعن السعدى الكوفى قال : أهديت الى أبى حنيفة هدايا
فكافأنى بأضعاف ذلك ، فقلت له : لو علمت أنك تفعل مثل هذا لم
أفعل ما فعلت . فقال : لا تفعل مثل هذا ، فإن الفضل للسابق والبادى .
ألم تسمع هذا الحديث الشريف « من صنع اليكم معروفا فكافئوه ،
فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فأتوا عليه » ؟

فقلت : هذا الحديث أحب الى من جميع ما أملك

تفقده لأصحابه - قال الوليد بن قاسم : كان أبو حنيفة حسن
التفقد لأصحابه ، يسأل عن أحوالهم ، فمن عرف به حاجة وإسائه ، ومن
مرض منهم أو مرض قريب له عاده ، ومن مات منهم أو مات قريب
له شيع جنازته ، ومن نأبته منهم نائبة سمى فى حوائجهم ، وكان كريم
الطبع ، وكان لا يكلمه أحد فى حاجة إلا أقضاها

حسن جواره - كان الإمام أبو حنيفة حسن الجوار ، حسن السمات ،

حسن العشرة والمواساة ، والاجتماع والمداراة

وكان له جار فاسق سكير عواد مُغَنِّ إذا جنَّ الليل أقبل على لعبه
ولهوه ، وكان أكثر صياحه وغناؤه إذا ثمل هو وأصحابه

« أضاعونى وأى فتى أضاعوا - ليوم كريمة وسداد ثغر »

حتى حُفِظَ عنه كل غناؤه لكثرة ما كان يردده ، فأخذ الحرس

من داره وهو سكران وحبسوه ، فافتقد أبو حنيفة صوته ، فقال :
ماذا فعل جارنا ؟ لقد فقدنا صوته . فقيل : أخذه الحرس البارحة
وحبسوه . فقال أبو حنيفة : قوموا بنا نسمى في خلاص جارنا ، فإن
حق الجار واجب ، وقد أوصى به جبريل محمداً صلى الله عليه وسلم .
فقام وقمنا معه حتى أتينا مجلس الأمير . فلما بصر بأبي حنيفة قام الأمير
وأخذ بيد أبي حنيفة ورفعها مكاناً علياً وقال : ما جاء بك ؟ قال :
جئت لمحبوس عندك من جيراني أخذه الحرس البارحة وأسألك أن
تطلقه وتهب لي جرمه

فقال الأمير : قد فعلت ، ولجميع من معه في الحبس ، هلا بعثت
برسول حتى أقضى به حقتك وأخرج عن واجبك ؟ فجزاه أبو حنيفة
خيراً ، ثم بعث إلى الحبس فأخرج كل من كان فيه ، وجيء بهم مع
الفتى جار أبي حنيفة . فلما وقفوا بين يدي الأمير قال لهم :
خلّيت سبيلكم لحرمة شيخى أبي حنيفة ، فاشكروا له وادعوا ،
ففعّلوا . ثم قال لهم : اذهبوا فقام أبو حنيفة وأخذ بيد جاره وقال له :
هل أضعناك يافتي ؟ قال : لا ياسيدى ومولاي ، لا ترانى بعد اليوم أفعل
شيئاً تتأذى به

ثم أخرج أبو حنيفة عشرة دنانير وأعطائها لجاره وقال له : استعن
بهذا المال على نقصان دخلك وقت الحبس ، ومتى كان لك حاجة

فأبسطها إلينا ، وأترك الحشمة فيما بيننا وبينك ، ثم قال : ادخل على أهلك
ليسروا بك

فقام الرجل وقبل رأس أبي حنيفة ودخل منزله ، ثم اختلف إلى
درس أبي حنيفة وتفقّه حتى صار من فقهاء الكوفة

وكان في هذا درس عظيم لهداية جاره ، وامتناعه عن تعاطي المسكر

نزاهته وعفته ، ورده جوائز الأمراء والخلفاء

عرضت على الإمام جوائز الخلفاء والأمراء وأرباب الدولة فردّها
وما قبل هدية منهم بدليل ما يأتي :

١ - قال يوسف بن خالد : أجاز المنصور أبا حنيفة بثلاثين ألف

درهم في دفعات . فقال : يا أمير المؤمنين إني ببغداد غريب ، وليس لها

عندي موضع ، إجعلها في بيت المال . فأجابه المنصور إلى ذلك

فلما مات أبو حنيفة أخرجت . فقال أبو جعفر المنصور : خدعنا

أبو حنيفة

٢ - وقال خارجة بن مصعب : أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة

آلاف درهم ، فدعى ليقبضها ، فشاورني وقال : إن رددت عليه هديته

غضب ، وإن قبلتها دخل على في ديني ما أكرهه ، فقلت له : إن هذا

المال عظيم في عينه ، فاذا دعيت لتقبضها فقل له : لم يكن هذا أملي
من أمير المؤمنين

فدعى لقبضها فقال ذلك : فرفع اليه خبره فحبس الجائزة
وكان دائما يتمثل بهذين البيتين :

« عطاء ذى العرش خير من عطائكم

وفضله واسع يُرجى المنتظرِ »

« أتم يكدر ماتعطون مئكم

والله يعطى بلا من ولا كدرِ »

وصايا الامام في آداب القضاء

عن نوح بن أبي مریم قال : كنت أسأل أبا حنيفة عن معاني
الأحاديث ، فكان يفسرها ويبينها ، وكنت أيضاً أسأل عن المسائل
الغامضة ، وعامة ما كنت أسأله عن مسائل القضاء والأحكام
فقال لي يوماً : يا نوح ، انك ستولى القضاء

فلما رجعت الى (مرو) لم ألبث إلا قليلا حتى ابتليت بالقضاء ،
فكثبت اليه كتاباً أعلمه بذلك ، وأعتذر اليه فكتب الي :

من أبي حنيفة الى أبي عصمة

أما بعد ، فقد ورد على كتابك ، ووقفت على ما فيه ، وقد قلدت

أمانة عظيمة يعجز عنها الكبار من الناس ، وأنت كالغريق ، فاطلب
لنفسك مخرجاً ، وعليك بتقوى الله فانها من قوام الأمور ، والخلاص
في الميعاد ، والنجاة من كل بلية ، وبها يدرك أحسن العواقب

قرن الله تعالى بخير العواقب أمورنا ، ووقفنا لمرضاته إنه سميع مجيب
واعلم أن أبواب القضاء لا يدركها إلا العالم التحرير الذي وقف على
أصول العلم بالكتاب والسنة وأقاويل الصحابة ، وكان له بصر ورأى
ونفاذ ؛ فاذا أشكل عليك شيء من ذلك فارحل الى الكتاب والسنة
والإجماع ، فان وجدت ذلك ظاهراً فاعمل به ، وإلا فردّه الى النظائر
واستشهد عليه بالأصول

ثم اعمل بما كان الى الأصول أقرب وبها أشبه ، وشاور أهل المعرفة
والبصيرة ، فان فيهم من يدرك ما لا تدركه أنت

فاذا جلس اليك الخصمان للحكومة فسوّ بين القوى والضعيف ،
والشريف والوضيع في المجلس ، والإقبال والكلام ، ولا تظهرن من
نفسك شيئاً يطع منك الشريف بشرفه ، ويئس الوضيع لضعفه

واذا جلس الخصمان بين يديك فدعهما حتى يستمكنا في الجلوس ،
ويذهب عنهما خجل المجلس والروع ، ثم كلمهما برفق وأفهمهما كلامك ،

واستوعب كلام كل واحد منهما ، ولا تعجبا ، ودعهما حتى يفرغا من
جميع ما يريدان ، إلا أن يأخذا في فضل فتمنعهما عن ذلك ، وتبين
لها ذلك ، ولا تقض عند الضجر والغضب والحزن ، ولا تقض حاقنا
ولا جائعا ولا خائفا ، ولا تقض وأنت مشغول البال ، ولا تعجل بفصل
القضاء بين القرابات ، وردد هم مجالس لعلمهم يصطلحون ، فإن كان وإلا
قضيت بينهم ، ولا تقض على أحد حتى تبين لك الوجوه التي تلزمه
ذلك ، ولا تأقن الشاهد ، ولا تشرف في مجالسك ، ولا توميء الى أحد ،
ولا تكن إلى قرابتك شيئا من الأمور ، ولا تجيبن أحدا في دعوته
فتلزمك التهمة ، ولا تتحدث في مجالس القضاء ، (وآثر تقوى الله على
ماسواه يكفك أمور دنياك وآخرتك ويرزقك السلامة)

أنعم بهذه الوصايا وحبذا لو عمل بها قضانا

وصاياهم في سياسة الناس ومعاشرتهم

بعد أن أخذ يوسف بن خالد السعدي العلم عن أبي حنيفة وأراد
الرجوع الى بلدته البصرة استأذن أبا حنيفة في ذلك . فقال له
أبو حنيفة: حتى أزودك بوصية فيما تحتاج اليه في معاشره الناس ومراتب
أهل العلم ، وتأديب النفس وسياسة الرعية ، ورياضة الخاصة والعامة ،

وتفقد أمر العامة ، حتى اذا خرجت بملكك كان معك آلة تصلح له
تزيينه ولا تشينه . وهاهي الوصية التي زوّده بها

الوصية الذهبية

إنك متى أسأت معاشرَةَ الناس صاروا لك أعداء ، وإن كانوا لك
آباء وأمّهات ، ومتى أحسنت معاشرَةَ قوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك
أمّهات وآباء

كأني بك وقد دخلت البصرة، وأقبلت على من يخالفوننا بها، ورفعت
نفسك عليهم ، وتطاوات بملكك لديهم ، واتقبضت عن معاشرتهم
ومخالطتهم ، وخالفتهم وخالفوك ، وهجرتهم وهجروك ، وضلّلتهم
وضلّوك وبدعوك ، واتصل ذلك الشين بنا وبك ، فاحتجت الى
الانتقال عنهم ، والهرب منهم ، وهذا ليس من رأبي ، لأنه ليس بعامل
من لم يدار من ليس له من مداراته بُد، حتى يجعل الله تعالى له مخرجاً
إذا دخلت البصرة استقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك ، فأنزل
كل رجل منهم منزله ، وأكرم أهل الشرف ، وعظم أهل العلم ،
ووقرّ الشيوخ ، ولاطف الأحداث ، وتقرب من العامة ، ودار الفجار ،
واصحب الأخيار ، ولا تتهاون بالسلطان ، ولا تحقرن أحداً ، ولا

تقصرن في إقامة مروءتك ، ولا تخرجن سرّك الى أحد ، ولا تثقن
بصحبة أحد حتى تمتحنه ، ولا تخادن خسيماً ولا وضعياً ، ولا تألفن
ما ينكر عليك في ظاهره ، وإياك والانبساط الى السفهاء ، ولا تجيبن
دعوة ، ولا تقبلن هدية ، وعليك بالمداراة والصبر ، والاحتمال وحسن
الخلق وسعة الصدر ، واستجد ثيابك ، واستنزه دابتك ، وأكثر
استعمال الطيب ، واجعل لنفسك خلوة ترم بها حوائجك ، وابحث عن
أخبار حشمك ، وتقدم في تأديبهم وتقويمهم ، واستعمل في كل ذلك
الرفق ، ولا تكثر العتاب فيهن العدل ، ولا تل تأديبهم بنفسك فانه
أبقى وأهيب لك

وحافظ على صلواتك ، وابذل طعامك ، فانه ماساد بخيل
ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس ، فمتى عرفت بفساد بادرت
الى إصلاحه ، ومتى عرفت بصلاح ازددت فيه رغبة وعناية
وزر من يزورك ومن لا يزورك ، وأحسن الى من يحسن إليك أو
يسئ ، وخذ العلم وأمر بالعرف ، وتغافل عما لا يعينك ، واترك كل من
يؤذيك ، وبادر في إقامة الحقوق

ومن مرض من إخوانك فعده بنفسك ، وتعاهده برسلك ، ومن
غاب منهم افتقدت أحواله ، ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه ،
وصل من جنائك ، وأكرم من أتى ، واعف عن أساء اليك ، ومن

تكلم فيك بالقبيح فتكلم فيه بالحسن والجميل ، ومن مات منهم قضيت
حقه ، ومن كانت له فرحة هنأته بها . ومن كانت له مصيبة عزيت به عنها
ومن أصابته جائحة توجعت بها

ومن استنهضك بأمر من أموره نهضت له ، ومن استغاثك فأغثه ،
ومن استنصرك نصرته ، وأظهر تودداً الى الناس ما استطعت ، وأفش
السلام ، ولو على قوم لئام ، ومتى جمع بينك وبين غيرك مجلس أوضمك
وإياهم مسجد ، وجرت المسائل وخاضوا فيها بخلاف ما عندك لا تبدلهم
منك خلافاً ، فان سُئلت عنها أخبرت بما يعرفه القوم ثم تقول : فيها قولك
آخر ، وهو كذا وكذا ، والحجة له كذا ، فان سمعوه منك عرفوا منزلتك
ومقدارك ، وأعط كل من يختلف اليك نوعاً من العلم ينظر فيه ، وخدم
بجلى العلم دون دقيقه ، وأنسهم ومازحهم أحياناً ، وحادثهم فانه يستديم
لك المودة ، وأطعمهم أحياناً وتغافل عن زلاتهم ، واقض حوائجهم ،
وارفق بهم وسامحهم ، ولا تبد لأحد منهم ضيق صدر أو ضجر ، وكن
كواحد منهم

وعامل الناس معاملتك لنفسك ، وارض منهم ما رضاه لنفسك ،
واستعن على نفسك بالصيانة لها والمراقبة لأحوالها ، ودع الشغب ،
واستمع لمن يستمع منك ، ولا تكلف الناس ما لا يكفونك ، وارض
لهم ما رضوا لأنفسهم ، وقدم اليهم حسن النية ، واستعمل الصدق ،

واطرح الكبر جانباً ، وإياك والغدرو وإن غدروا بك ، وأدّ الأمانة
وإن خانوك ، وتمسك بالوفاء ، واعتصم بالتقوى ، وعاشر أهل الأديان
حسب معاشرتهم ، فانك إن تمسكت بوصيتي هذه رجوت لك أن تسلم
ثم قال له : إنه يحزننى مفارقتك ، وتؤنسنى معرفتك ، فواصلنى بكتبك ،
وعرفنى حوائجك ، وكن لى كلك فانى لك كلى . وكان يقول : من كان
فقيراً فليأت إلى أعطه رأس مال يستغنى بذلك ، ألا وهو : الأمانة

مناجاته ربه

كان الإمام يناجى ربه فيقول :
إلهى ، إن كان صغيراً فى جنب طاعتك عملى ، فقد كبر فى جنب
رجائك أملى
إلهى ، كيف أنقلب بالحياة محروماً ، وظنى بجودك أن تقبلنى مرحوماً
إلهى ، إن عَزَب رأى عن تقديم ما يصلحنى ، فما عَزَب يقينى عنى
فما ينفعنى

إلهى ، أعززت نفسى بإيمانك ، فكيف تذلهما بين أطباق نيرانك
إلهى ، إذا تلونا من كتابك شديد العقاب أشفقنا ، وإذا تلونا منه
الغفور الرحيم فرحنا ، فنحن بين أمرين : لا يؤمننا كتابك سخطك ،
ولا يديئسنا من رحمتك أن قصر سعينا عن استحقاق نظرك ،

فَأْفِضْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ ، إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ بِي بَارًّا أَيَّامَ حَيَاتِي ، فَلَا تَقْطَعْ
بِرِّكَ عَنِّي أَيَّامَ وِفَاتِي ، إِنْ غَفَرْتَ فَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ عَذَبْتَ فَبِعَدْلِكَ ،
يَا مَنْ لَا يَرْجِي إِلَّا فَضْلَهُ ، وَلَا يَخْشَى إِلَّا عَذَابَهُ ، وَمَنْ شَوَّاهَدَ نِعْمَاءَ
الْكَرِيمِ اسْتِمَامَ نِعْمَائِهِ ، وَمَنْ مَحَاسَنَ الْجَوَادِ اسْتِكْمَالَ آلَائِهِ

إِلَهِي ، إِنْ أَخْطَأْتُ طَرِيقَ النَّظَرِ لِنَفْسِي بِمَا فِيهِ كِرَامَتُهَا ، فَقَدْ تَبَيَّنْتَ
طَرِيقَ الْفِرْعِ بِمَا فِيهِ سَلَامَتُهَا

إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَأْهِلٍ لِمَا أَرْجُو مِنْ رَحْمَتِكَ ، فَأَنْتَ أَهْلٌ
أَنْ تَجُودَ عَلَى الْمَذْنِبِينَ بِفَضْلِكَ

إِلَهِي ، أَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْمَأْمُورِينَ ، وَأَمَرْتَ
بِصَلَةِ السُّؤَالِ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُسْتَوَلِينَ

إِلَهِي سَتَرْتَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا ذُنُوبًا أَنَا إِلَى سِتْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْوَجُ ،
فَلَا تَفْضَحْنِي بِهَا عَلَى رِءُوسِ الْأَشْهَادِ

إِلَهِي ، لَا تَرُدَّنِي عَنْ حَاجَةِ أَفْنِيَّتِ عَمْرِي فِي طَلِبِهَا مِنْكَ
اللَّهُمَّ ، هَبْ لِي تَوْبَةً نَصُوحًا تَذِيقُنِي مِنْ حَلَاوَتِهَا ، وَيُصِلْ إِلَى
قَلْبِي بَرْدَ رَأْفَتِهَا

اللَّهُمَّ لَا أَنْزِلْ حَاجَتِي إِلَّا بِكَ ، وَلَا أَطْلِبْهَا إِلَّا إِلَيْكَ ، فَاقْضِ يَا رَبُّ
حَاجَتِي ، فَأَنْتَ مَنْتَهَى الْحَوَائِجِ ، وَاجْعَلْنِي فِي رَحْمَتِكَ مَعَ الْأَبْرَارِ

دعاؤه عند موت ابنه

لما وضع ابنه في قبره قال : اللهم هذا ابني ، رزقنيه ، ومتعتني به
مدة من الدنيا ، وتوفيته بأجله ورزقه ولم تظلم أحداً
اللهم ، ما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي هذه ، فقد وهبت
جميع ذلك له ، فب لي عذابه ولا تعذبه . فأبكي الناس جميعاً

وفاته وسببها

إن امتناع الإمام عن تولى القضاء كان سبباً في أن أبا جعفر
المنصور أمر بحبسه ، وضيق عليه تضييقاً شديداً في الطعام والشراب ،
وأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط ، وفعل به ذلك عشرة أيام ، فلما
تتابع عليه الضرب بكى وأكثر الدعاء ، ومكث بعد ذلك خمسة أيام ،
وتوفى رحمة الله تعالى عليه ورضي الله عنه . وبعضهم قال : انه مات
مسموماً ، واتفقوا على أنه رضى الله عنه مات سنة ١٥٠ هجرية واختلفوا
في الشهر الذي مات فيه ، فبعضهم قال في رجب ، وقال بعضهم في
شعبان ، وقال أبو يوسف في النصف الأول من شوال ، ودفن
بالرصافة شرقي بغداد

وقال الإمام أبو المؤيد : أ كثر الروايات المعتمد عليها أن وفاته

كانت في رجب وعمره يوم وفاته ٢٠ سنة، ولم يكن له من الأولاد غير
ابنه حماد

ولما أحس الإمام بالموت سجد، فصعدت روحه الى ربها وهو
ساجد، وقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»
فهنيئاً للإمام لأنه من المقربين حقاً عند الله

الرشاء

لما توفي الإمام أبو حنيفة بكاه الناس ورثاه الشعراء وأبناه الخطباء
وهذا نموذج من المراثيات التي قيلت فيه:

«لقد طلع النعمان من أرض كوفة
كفرةٌ صُبحَ يَسْتَفِيصُ ابتلاجُها»

«هو المرتضى في الدين والمقتدى به

وصدرُ الورى في الخافقين وتاجُها»

«إذا مرض الإسلام والدين مرضةً

فمن نكَّتِ النعمان يلقى علاجُها»

« وإن كسدت سوق الهدى وتراجعت

فمن مذهب النعمان يُلقى زواجها »

« وإن فتحت أبواب جهل وبدعة

على الناس يوماً كان منها زواجها »

« وإن غمّة عمت فمنه انجلاؤها

« وإن شدة ضاقت فمنه انفراجها »

« حوى العذب من بحر الشريعة صافياً

« وحظ جميع العالمين أجاجها »

« لقد خصص الله النبي محمداً

« بأشياء منها النفس دام ابتهاجها »

« فأنته قد أخرجت خير أمة

« كما جاء والنعمان فيها سراجها »

« فهاهو في أرض بيغداد قد ثوى

« أضاءت به أرجاؤها وفجاجها »

المذهب الحنفي

قال المرحوم أحمد باشا تيمور في رسالته عن المذهب الحنفي ما يأتي باختصار :

المذهب الحنفي هو أقدم المذاهب الأربعة، وصاحبه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان الكوفي رضى الله عنه المولود سنة ٨٠ والمتوفى ببغداد سنة ١٥٠ على الأصح

وكان أهل مصر لا يعرفون هذا المذهب حتى ولى قضاءها اسماعيل ابن اليسع الكوفي من قبل المهدي سنة ١٦٤ وهو أول قاضٍ حنفي بمصر، وأول من أدخل إليها مذهب أبي حنيفة فكان من خير القضاة إلا أنه كان يذهب الى إبطال الأحباس (الوقف) فثقل أمره على أهل مصر وقالوا : أحدثت لنا أحكاماً لا نعرفها ببلدنا فعزله المهدي

وفشا مذهب أبي حنيفة في مصر بعد ذلك مدة تمكن العباسيين ، إلا أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية ؛ بل كان يتولاه الحنفيون تارةً ، والمالكيون أو الشافعيون أخرى

ولما حكم الفاطميون مصر أظهروا مذهب الشيعة الاسماعيلية وولوا القضاة منهم، فقوى هذا المذهب بالدولة وعمل بأحكامه، إلا أنه لم يقض على المذاهب الأخرى في العبادات ؛ لأن الفاطميين كانوا يبيحون للرعية

التعبد بما يشاءون من المذاهب . ويقول القلقشندي في صبح الأعشى :
أن الفاطميين كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة، ويمكنونهم من إظهار
شعائرهم على اختلاف مذاهبهم

وكانت مذاهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ظاهرة الشعار في
المملكة الفاطمية بخلاف مذهب أبي حنيفة ، وكانوا يراعون مذهب
مالك ، ومن سألهم الحكم به أجابوه

ثم لما قامت الدولة الأيوبية بمصر ، وكان سلاطينها شافعية ، قضوا
على التشيع وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية، وكان نور الدين
الشهيد حنفياً ، فنشر مذهبه ببلاد الشام، ومنها كثرت الحنفية بمصر

وقدم إليها أيضاً عدة من بلاد المشرق فبنى لهم صلاح الدين الأيوبي
(المدرسة السيوفية بالقاهرة) وما زال مذاهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم
تكثر بمصر والشام من حينئذ ؛ ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه في القوة
والكثرة بمصر إلا في آخر هذه الدولة

وأول من رتب دروساً للمذاهب الأربعة الصالح نجم الدين أيوب
في مدرسة الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١

ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء في الحنفية وأصبح
الحنفي مذهب أمراء الدولة وخاصتها ورغب كثيرون من أهل العلم فيه
لتولّى القضاء ، إلا أنه لم ينتشر بين أهل الريف والصعيد انتشاره في
المدن ولم يزل كذلك الى اليوم

٢ - الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه

عالم المدينة

مولده ونسبه - ولد رضى الله عنه بالمدينة سنة ٩٣ هجرية على المشهور ، وهو مالك بن أنس ، بن أبي عامر الأصبحي ، بن عمرو ، بن الحرث ابن سعد ، بن عوف ، بن عدى ، بن مالك ، بن يزيد وأما أمه فقيل اسمها (العالبة) بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك من الأزد ، حملت به فمكثت في بطنها سنتين وقيل : ثلاث سنين

نشأته - نشأ الإمام مالك بالمدينة بين الصحابة والتابعين والأنصار والعلماء والفقهاء

نشأ بينهم غلاماً عاقلاً ، حافظاً ، ضابطاً ، متقناً للسنة ، براً تقياً ، فتعلم منهم وجمع علومهم ، وحفظ آراءهم ، وتقبل آثارهم ، وعرف مذاهبهم ، وأحكم قواعدهم ، وكدّ وكدح ، حتى صار إماماً في السنة ، وسيد فقهاء الحجاز ، وهو الذي قيل فيه : « لا يفتى ومالك في المدينة » وأصبحت مثلاً .

وكان رحمه الله في أول أمره فقيراً ، ثم توالى عليه منح الخلفاء ،

فحسنت حاله ، وأظهر نعمة الله عليه ، وواسى أهل العلم ، وأشركهم في ماله ، وكان منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه

هيئته وخلقه - كان رحمه الله حسن الهيئة ، يكره الثياب الخالقة ، ويمدها مثلة ، وكان يكره حلق الشارب ويراها مثلة ، وكان طويلًا عظيم الهامة ، أصلع الرأس ، أبيض الشعر واللحية ، شديد البياض الى الشقرة ، وكان لبسه الثياب العدنية الجياد ، والحرسانية والمصرية المرتفعة ، ويتطيب بطيب جيد ويقول : ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه ، وخصوصا أهل العلم ينبغي لهم أن يظهروا مروآتهم في ثيابهم إجلالا للعلم

وكان له خاتم منقوش عليه ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾

فُسئِلَ يوماً عن ذلك فقال : سمعت قول الله تعالى عقب هذه الآية :

﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ مِنْ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾

مناقبه

أخلاقه وآدابه - كان رحمه الله على جانب عظيم من الأدب وكرم الأخلاق ، حسن السيرة ، طيب السريرة ، وكان شديد الاهتمام بتشجيع الجنائز ، وعيادة المرضى ، ومواساة الفقراء ، وقضاء الحقوق ،

فلما كبر اتقطع عن ذلك كله، واحتمل له الناس ذلك ، وكان رحمه الله شديد الكراهية للغبية ومن قوله فيها :

« كان عندنا بالمدينة قوم لا عيوب لهم ، فلما تكلموا في عيوب الناس صارت لهم عيوب ، وكان عندنا قوم لهم عيوب ، فلما سكتوا عن عيوب الناس نسيت عيوبهم »

أدبه ولطفه في معاملة ضيفانه - هيا الإمام مالك رضى الله عنه دعوة للطلبة ، فلما مضوا الى داره ودخلوا قال لهم : هذا المستراح ، وهذا الماء ثم دخلوا ولم يدخل معهم ؛ بل دخل بعد ذلك

فسأله بعضهم فيما قال ، وفيم عدم دخوله معهم ؟

فقال : أما اعلامى بالمستراح والماء ، فانما دعوتكم لأبركم ، ولعل أحدكم يصيبه حصر بول أو غيره فلا يدري أين يذهب ؛ وأما تركى الدخول معكم البيت ، فاعلى أقول ها هنا يا فلان ؟ وها هنا يا فلان ، فأنسى بعضكم ، فيظن انى تركته بغضاً فيه ، فتركتم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم

علومه - كان رحمه الله متقدماً فى العلوم ، وقد أخذ العلم عن نحو مائة شيخ انتقام وارتضاهم ، فما لبث فيهم إلا وقد تبين فضله ، واشتهر علمه ، ونبيل قدره ، وعظمت منزلته ، وعرفت مكانته ، وظهرت سيادته ، فأقروا بفضله ، وأذعنوا لعلمه ، فساد جميع أقرانه ، وفاق أهل

زمانه ، حتى سُئِمَ (عالم المدينة) (وإمام أهل الهجرة) واشتهر خبره في الأقطار ، وانتشر علمه في سائر الأقطار ، وضربت له أكباد الإبل ، وارتحل إليه الناس من كل مصر ، وأتوه من كل قطر

فجلس لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة وأشياخه متوافرون فمتع الله المسلمين بطول حياته ، فعاش قريباً من تسعين سنة ، ومكث يفتي الناس نحواً من سبعين سنة ، وشهد له التابعون بالفقه والحديث ، واحتاج إليه معلموه ومشايخه ، وسألوه عن أمر دينهم ، وروى عن الأئمة المشهورين ، والعلماء المذكورين منهم : محمد بن شهاب الزهري إمام السنة ، وربيع بن عبد العزيز فقيه أهل المدينة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة هؤلاء كلهم أشياخه ، ورووا عنه ، وألف كتابه المشهور (بالموطأ)

وروى أن مالكا رضى الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقى متفكراً بأى شيء يسمى تأليفه . قال : فذمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : وطئ الناس هذا العلم ، فسعى كتابه (الموطأ) وقيل أنه وضع فيه أربعة آلاف حديث أو أكثر

وقيل : أن مالكا حفظ مائة ألف حديث ، وكان أحفظ أهل زمانه

كما قال أبو قدامة

تبشير النبي ﷺ به

قال التابعون وتابعوهم : انه العالم الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذى وغيره، وهو قوله صلى الله عليه وسلم:

« ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة »

وفي حديث آخر :

« ليس على ظهر الدنيا أعلم منه، فتضرب الناس إليه أ كباد الإبل »

وفي حديث آخر :

« يوشك الناس أن يضربوا أ كباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم

من عالم المدينة »

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يوشك أن يضرب الرجل أ كباد الإبل فلا يجد عالماً أعلم من

عالم المدينة »

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« يخرج ناس من الشرق والغرب في طلب العلم ، فلا يجدون عالماً

أعلم من عالم المدينة »

وفي معنى هذا الحديث نظم بعضهم :

(م - ٤ - رابع)

« قال نبيُّ الهدى حديثاً من حفه الله بالسكينة »
« يخرج من شرقها وغرب من طالبي الحكمة الميَّنة »
« فلا يروا عالماً إماماً أعلم من عالم المدينة »

ثناء العلماء والفضلاء عليه

- ١- قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في مدحه : إذا جاءك الحديث عن مالك فشدَّ يدك به
- ٢- وقال الإمام الشافعي أيضاً : إذا ذكر الحديث فمالك النجم وما أحد آمن على علم من مالك
- ٣- وقال حماد بن سلمة : لو قيل لي اختر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إماماً يأخذون عنه العلم ، لرأيت مالكاً لذلك موضعاً وأهلاً ، ورأيت ذلك صلاحاً للأمة
- ٤- وقال عبد الله بن المبارك : ما رأيت أحداً ممن كتب عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أهيب في نفسي من مالك ، ولا أشدَّ إعظاماً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك ، ولا أشحَّ على دينه من مالك فلو قيل لي اختر للأمة إماماً لاخترت ها مالكا
- ٥- وقال الليث بن سعد رضي الله عنه : علم مالك علم تقي ، علم

مالك أمان لمن أخذ به من الأنام ، وقال أيضاً : والله ما على وجه
الأرض أحب الى من مالك

مجلسه للعلم - كان مجلسه للعلم ، مجلس وقار وحلم ، تحوطه الهيبة ،
وتحفه العظمة والبركة ، لأنه كان رجلاً مهيباً ، عظيماً نبياً ، ليس في مجلسه
شيء من المراء ، واللفظ ، والجدل

وكان الغرباء يسألونه الحديث والحديثين ، أو قال الحديث بعد
الحديث وربما أذن لبعضهم ققرأ عليه

وكان له كاتب لنسخ كتبه يقال له : (حبيب) يقرأ للجماعة فليس
أحد ممن حضره يدنو منه ، ولا ينظر في كتابه ، ولا يستفهمه ، هيبة له
وإجلالاً ، وكان حبيب إذا أخطأ أصلح له مالك

تراحم طلاب العلم على بابه ، وسكوتهم في مجلسه

قال أبو مصعب : كان الناس يزدحمون على باب مالك ، ويقتتلون
عليه من الزحام لطلب العلم ، وقال : كنا نكون عند مالك فلا يكلم
ذا ذا ، ولا يلتفت ذا الى ذا ، والناس مائلون برؤوسهم (هكذا) وكانت
السلطين تهابه وهم قاعدون يستمعون

وكان يقول في المسئلة : نعم ، أولاً ، فلا يقال له : من أين قلت هذا ؟
وقال يحيى بن شعبة : وصلت المدينة سنة ١٤٤ أربع وأربعين ومائة

ومالك بن أنس رضى الله عنه أسود الرأس واللحية ، والناس حوله سكوت، لا يتكلم أحد منهم هيبَةً له وتعظيماً لقدره

ولا يفتى أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره، فجلست بين يديه، فسألته فحدثني، فاستزدته فزادني، ثم غمزني أصحابه فسكت أمانته للعلم : ارتفعت أمانة العلم عنده لدرجة لا تقوى عليها نفوس

العلماء فنزل منزلاً لم يخرج عنه حتى خرج من الدنيا

قال عبد الرحمن بن مهدي : كنا عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة شهور ، حملني أهل بلادي مسألة أسألك عنها

فقال له : سأل . فسأله . فقال له : لا أحسن . فقطع بالرجل وكأنه قد جاء الى من يعلم كل شئ ،

قال الرجل : وأى شئ أقول لأهل بلادي إذا رجعت اليهم ؟

قال له : تقول لهم : قال مالك بن أنس : لا أحسن

تعظيمه للمدينة

من آدابه العالية أنه كان مع ضعفه وكبر سنه يمشى ولا يركب دابة في المدينة تعظيماً لبلد بها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك مقاله الإمام الشافعي رضى الله عنه

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه : رأيت على باب مالك دواب
من أفراس خراسان ، جاءت هدية ، وقيل : من مصر ، مارأيت أحسن
منها . فقلت : ما أحسن هذه !

فقال : هذه هدية مني اليك

فقلت : دع لنفسك منها دابة تركبها

فقال : إني لاستحي من الله عز وجل أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى
الله عليه وسلم بحافر دابة

تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ

قال عبد الله بن المبارك : كنت عند مالك وهو يحدثنا ، فلدغته
عقرب ، ست عشرة مرة ، وهو يتغير لونه ، ويصفر ، ولا يقطع حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تفرق الناس عنه ، قلت له : يا أبا عبد الله
لقد رأيت اليوم منك عجبا . قال : نعم ، إنما صبرت إجلالاً لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال مطرف : كان مالك اذا أتى الناس إليه خرجت اليهم الجارية
فتقول لهم :

يقول لكم الشيخ : تريدون الحديث أو المسائل ؟ فان قالوا : المسائل
خرج اليهم بحالته ، وإن قالوا : الحديث ، دخل مغتسله فاغتسل

وتطيب، ولبس ثياباً جددًا، ولبس تاجه، وتعمم، ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصته، فيخرج ويجلس عليها، وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل : أنه لم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سُئِلَ في ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنًا . وكان يكره أن يحدث في الطريق ، أو وهو قائم ، أو مستعجل وقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا رفع أحد صوته في المجلس قال له : اخفض صوتك فان الله تعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾

الحجرات

فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته

وذكر القاضي أبو الفضل عياض بسنده : أن أبا جعفر المنصور ناظر مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قومًا فقال :

﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ الحجرات

ومدح قومًا فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفُضُّونَ أَضْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ الحجرات
وذم قوماً فقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
الحجرات

وإن حرمة ميتاً ، كحرمة حياً ، فاستكان لها أبو جعفر

احترامه وتعظيمه للعلم

قال عتيق بن يعقوب الزبيري رحمه الله : قدم هارون الرشيد المدينة
وكان قد بلغه أن الإمام مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس
فتوجه إليه البرمكي وقال له : أبلغه عنى السلام، وقل له : يحمل إلى
الكتاب فيقرؤه على

فجاءه البرمكي وأخبره، فقال له : أبلغه عنى السلام، وقل له : إن العلم
يزار ولا يزور ، وإن العلم يؤتى إليه، ولا يأتي

فذهب البرمكي وأخبر هارون الرشيد ، وكان عنده أبو يوسف
القاضي ، فقال : يأمر المؤمنين ، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك
ابن أنس في أمر فخالفك ، اعزم عليه

فبينما هو كذلك إذ دخل مالك ابن أنس ، فسلم وجلس

فقال الرشيد : يابن أبي عامر أبعث اليك فتمخالفني
فقال مالك : يأمر المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى قد رفعك
وجعلك في هذا الموضع الكريم ، فلا تسكن أنت أول من يضع عز
العلم ، فيضع الله عزك ، وإني لم أخالفك؛ بل أردت أن أمير المؤمنين
يرفع العلم ويعظمه، حتى يرفع الله قدره

فقام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله ليسمع منه كتابه الموطأ وأجلسه
معه على المنصة ؛ فلما أراد أن يقرأ مالك . قال لمالك : تقرؤه عليّ ؟

قال : ما قرأته علي أحد من زمان

قال الرشيد : فلتخرج الناس حتى أقرأ أنا عليك

فقال مالك : إن العلم إن منع عن العامة لأجل الخاصة لا ينفع الله

به الخاصة

فأمر أن يقرأ معن بن عيسى الفزاري عليه

فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه هارون الرشيد :

يأمر المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا ، وأنهم ليحبون التواضع للعلم

فنزله هارون عن المنصة فجلس بين يديه تواضعاً لعلمه واتباعاً لقوله

وسئل مالك رضى الله عنه عن طلب العلم ؟ فقال : جميل ، ولكن

انظر الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمشي فالزمه

وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى اذا أراد أن

يحدث توضاً وصلى ركعتين ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ،
واستعمل الطيب ، وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث ،
ف قيل له : ما السبب في ذلك ؟ فقال :

أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهكذا يكون تعظيم العلم ، فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله
عند الناس وجعل لهم الهيبة في قلوب الملوك ومن دونهم
تعظيم الخلفاء والأمرء له

أما رفعة قدره عند الخلفاء ، وعظم منزلته عند الأمرء ، ورجوعهم
الى رأيه دون غيره من الآراء ، وتقديهم له على من سواه ، ونفوذ
كلمته في العامة ، وانقيادهم له بالطاعة ، وكامل سيادته عند الكفاة ،
فقد كان له في ذلك المقام الأترف ، والمحل الرفيع الأشرف ، بحيث
أنه لم يكن في وقته من يساويه ، ولا من يقرب منه فيساميه ، ولذا كانت
الخلفاء تقتدى بعلمه ، والأمرء تستضيء بنور رأيه ، والعامة منقادة الى
قوله ، وكان يأمر فيمثل أمره بغير سلطان ، ويقول فلا يسأل عن
دليل على قوله ، ويأبى الجواب فلا يجسر أحد على مراجعته ، ولذلك
قال فيه بعض محبيه :

« يأبى الجواب فلا يراجع هيبه والسائلون نواكس الأذقان »

« لبس الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وائس ذا سلطان »
وكانت الملوك تسأله أن يرأسهم، فلا يرضى بذلك، وتعرض عليه
أن يقضى لهم فيعرض عن ذلك، وكانوا مع ذلك يسألونه ويتعلمون
منه، ويأتونه ولا يستنطقون عنه، ويجلسون إليه، ويتمثلون إليه بين
يديه، ويأمرون نوابهم باستشارته، ولا يقضى أمر دون مشورته

أبو جعفر المنصور والإمام مالك

١ - بلغ أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين أن العلماء يطعنون عليه
ويتكلمون فيه فبعث إلى مالك ليلاً، فأتاه خائفاً منه، فدخل إليه
بين صفوف الرجال، معتدين بالسلاح، قائمين عن يمينه وعن يساره، حتى
خلص إليه، فوجده في بيته جالساً ليس معه أحد
قال مالك : فجعل يدنيني حتى جلست قريباً منه ، ثم استدناي حتى
مست ركبتي ركبته

فقال : ما هذا الذي يبلغنا عنكم معاشر الفقهاء؟ وأنتم أحق الناس
بالطاعة، وأعرفهم بما يلزم من حق الأئمة؟

فقال : فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول في كتابه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن

تَصِيدُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿ الحجرات

فجرى بينهما كلام ومذاكرة، إلى أن ذكر له مالك، أنه لما بعث إليه ليلاً وطلبه، خاف منه القتل على نفسه

فقال أبو جعفر : حاشا لله يا أبا عبد الله أن أثلم ركناً للمسلمين. فإن لم أكن بالذي أبنيه لهم، فلست بهادمه ؛ ولكن إن أردت ما عندنا فاذهب معي إلى مدينة السلام، فلا أقدم أحداً عليك

فقال له مالك : إن تكن عزيمة من أمير المؤمنين فلا سبيل إلى مخالفته ، وإن تكن غير ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون »

فقال له المنصور : فلا أحمل عليك شيئاً تكرهه
فبينما هما في أثناء الكلام: خرج عليهما بعض أولاد المنصور ؛ فلما رأى مالكا رجعا كالفرع

فقال المنصور : أتدرى مِمَّ فرع ؟

قال مالك : قلت : لا يأمر المؤمنين

قال : لأنه لم ير أحداً جلس مني هذا المجلس غيرك

فلما انصرف مالك أجازة المنصور بجائزة سنوية ، قيل : أنها ثلاث

صمر كل صرة ألف دينار

فلما خرج مالك قال ولد المنصور لأبيه :
أتدنى رجلا من رعيتك حتى يجلس منك هذا المجلس ؟
فقال له المنصور : يا بني والله ما على وجه الأرض رجل يستحيا منه

إلا مالك بن أنس ، وسفيان الثوري

قال مالك : ووجدت المنصور أعلم الناس بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم ، وآثار من مضى . وهذا معنى ما ذكره ابن قتيبة دون لفظه
وقال جرير : أن أبا جعفر المنصور عزم على أن يحمل الناس على
موطئه فقال له :

لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإن الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا
أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق لهم ، وعملوا به ودانوا ،
وقد أصبح ردهم عما اعتقدوا شديداً ، فدع الناس وما هم عليه ، وما
اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم

المهدي ومالك بن أنس

٢ - قال أبو مصعب : لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره
من أشرف المدينة على أميال منها

فلما أبصر المهدي مالكا وعليه ثياب سود عدنية انحرف اليه المهدي
وعانقه ، وسلم عليه ، وسايره ، فالتفت اليه مالك فقال :

يأمر المؤمنين انك تدخل الآن المدينة فيمن يقوم عن يمينك وعن يسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فانه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا بلد خير من المدينة

فقال له : لِمَ يا أبا عبد الله ؟

قال : لأنه لا يعرف قبر نبي على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم ينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم ، ففعل المهدي ما أمره به مالك فلما دخل المدينة ونزل ، وجّه الى مالك ببغلة ليركب ويأتيه ، فرد مالك البغلة وقال : إني لأستحي من الله أن أركب في مدينة فيها

جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ماشياً ، وكانت به علة فاتكأ

على المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي ، وعلى حسن بن أبي زيد العلوي وعلى ابن علي اليمني ، وكانوا من علماء المدينة وأشرفها

فقال المهدي : سبحان الله رد البغلة إجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيض الله له هؤلاء ، فوالله لو دعوتهم أنا الى هذا ما أجابوني اليه

فقال له المغيرة : نحن يأمر المؤمنين قد افتخرنا على أهل المدينة لما

اتكأ مالك علينا

امتناعه عن القضاء محافظة على الدين

روى أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين قال لمالك :
ما تقول في مالي ؟ قال : خير مال . فقال : انصرف إن شئت .
ثم قال لأبي حنيفة : ما تقول في مالي ؟ قال : يأمر المؤمنين أنت
أعلم به . فقال له : انصرف إن شئت
وقال لابن أبي ذئب : ما تقول في مالي ؟ فقال له : شر مال :
فقال له : انصرف إن شئت
ثم مكث مدة : ثم أرسل الى مالك بمال ، وقال لرسوله : إن لم
يقبله فاضرب عنقه ، فقبله مالك وسلم
فأرسل الى ابن أبي ذئب بمال ، وقال لرسوله : إن قبله فاضرب
عنقه ، فرده ابن أبي ذئب وسلم
وأرسل الى أبي حنيفة بمال وقال لرسوله : قل له : أمير المؤمنين يأمرك
أن تضعه حيث ترى ، فإن قبله فحسبه ، وإن رده فحسبه
فقال أبو حنيفة للرسول : أمير المؤمنين يعرف من أين جمعه ؟ وهو
يعرف أين يضعه ؟
ثم أرسل اليهم الثلاثة وقال لمالك : إني أريد أن أوليك القضاء .
فقال له : لأصلح لذلك (لأني محدود)

وقال لأبي حنيفة : مثل ذلك ؛ فقال له أبو حنيفة
لا أصلح لذلك (لأني مولى) ولا يصلح أن يقضى بين الناس إلا
ذو شرف في قومه

وقال لابن أبي ذئب : مثل ذلك ، فقال : لا أصلح لذلك (لأني
قرشي) ومن كان شريكك في نسبك فلا يصلح أن يكون شريكك
في سلطانك

وإنما قالوا ذلك رضى الله عنهم واعتذروا به هروبا منهم عن القضاء

ورغبة عنه ، خوفاً على أديانهم

(وأما قول مالك إني محدود) فأنما أراد بذلك الشياطين التي ضربه
بها جعفر بن سليمان الهاشمي أمير المدينة من جهة أبي جعفر المنصور سنة
سبع وأربعين ومائة لما أفتى أن يمين المكره لا يلزم ، فلما سمع أبو جعفر
حملة الى العراق على قبة ، ثم قال لمالك بعد ذلك :

اقتص منه فإنه قد ظلمك . فقال له : يا أمير المؤمنين ليس لي عليه
قصاص ؛ لأنني جعلته في حلٍ لأنه من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فاستحييت أن آتي يوم القيامة متعلقاً برجل من قرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أطلبه بظلمة

وكانت تلك الشياطين على مالك عند الناس كالحلل المنشورة لما

علموا أنه أفتى بحق ، وضرب باطل ، عفا عن هذه المظالمه تعظيماً لجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتعظيم أمير المؤمنين له ، وتمكينه من القصاص من نائبه وابن عمه

وقد قيل: ان أبا جعفر هو الذي نهى مالكا عن حديثه. (ليس على مكروه طلاق)

ثم دس اليه من سانه عنه ، فحدثه به على رؤوس الناس ، فضربه بالسياط ، وإن كتف مالك انخلت حينئذ رضى الله عنه وما زال الله سبحانه وتعالى يعلى من قدر سيدنا مالك رضى الله عنه بعد ذلك الضرب حتى أصبح فى رفعة لا يسمو عليها مقام ، وتجلى عليه مولاه بمظهر العزة والكرامة، حتى كانت تلك السياط حلية تحلى بها ، وفضيلة سما قدره اليها

صلاحه وتقواه

وأما تقواه لربه ، ومعرفته بعظيم قدر نبيه، وصحبه وآله ، وتعظيمه لشريعته وإتباعه لسنة ، ونصيحته لأئمة ، وانفاذ همته ، وكال مروءته ، وكال هيئته ، ووفور هيئته ، فقد كان من ذلك على غاية من التحفظ وفى نهاية التيقظ ، مبرزاً فى ذلك بالتقدم، معروفاً به وبالعلم والتوسم ، وفيما ذكر دلالة ظاهرة عليه

قال ابن وهب : قيل لأخت مالك ما كان يشغل مالكاً في بيته ؟

قالت : المصحف والتلاوة

وقال مصعب بن عبد الله : كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله

عليه وسلم يتغير لونه ويصفر حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له :

ما السبب في ذلك ؟ فقال :

لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم عليّ ماترون ؛ لقد كنت أرى جعفر بن

محمد وكان كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اصفرَّ

وقال القاضي عياض رحمه الله : كان مالك لا يركب في المدينة

دابة ويقول :

« أستحي من الله أن أظأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه

وسلم بحافر دابة »

وقد روى : أن مالكاً رضى الله عنه ماجالس سفيهاً قط ، وهذه

خصلة لا تعرف لأحد غيره ، وكان كثير الصلاة والأذكار ، والأوراد

في الأسفار ، والدروس في العلوم والتكرار

زهده وورعه

قيل : لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم ، وانتشر وصفه وذكره

(م - ٥ رابع)

في البلاد ، حملت إليه الأموال فكان يفرقها على أصحابه ، وأصحابه يفرقونها في وجوه الخير ، موافقة لفعله ، وما كان يدخرها ، وكان يقول :
ليس الزهد فقد المال ، وإنما الزهد فراغ القلب منه

ومما يؤثر عنه : أن المهدي أمير المؤمنين سأله وقال له : هل لك دار؟
فقال : لا ، ولكن أحدثك : سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول :
نسب المرء داره

وسأله الرشيد : هل لك دار؟

فقال : لا . فأعطاه ثلاثة آلاف دينار ، وقال : اشتر بها داراً
فأخذها ولم ينفقها ، فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال له :
ينبغي لك أن تخرج معنا ، فإني عازمت أن أحمل الناس على الموطأ
كما حمل عثمان الناس على القرآن

فقال له : أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل ؛ لأن
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا
ف عند أهل كل مصر علم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اختلاف أمتي رحمة

وأما الخروج معك فلا سبيل إليه ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : المدينة تنقي خبثها كما ينقى الكبر خبث الحديد

وهذه دنانيركم كما هي ، إن شئتم فخذوها، وإن شئتم فدعوها
يعنى انك إنما كلفتني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدى من أخذ هذه
الدنانير، فالآن خذها فاني لا أؤثر الدنيا وما فيها على مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم

وفاته

توفي مالك رضى الله عنه لعشرة أيام خلت من ربيع الأول سنة
تسع وسبعين ومائة، ومرض يوم الأحد، ومات يوم الأحد، وعاش تسعين
سنة ، وأوصى أن يكفن في بعض ثياب بيض ، ويصلى عليه بموضع
الجنائز، فصلى عليه أكثر الناس ، فمنهم: ابن عباس وهاشم وابن كنانة
وشعبة بن داود وكاتبه حبيب وابنه ، ووجد عليه أهل المدينة
كبيرهم وصغيرهم وجرماً عظيماً

ودفن بالبقيع في ظاهر المدينة، ونزل في قبره جماعة رضى الله عنهم
ولما بلغ أهل العراق موت الإمام مالك رحمه الله ارتجت له العراق
وعظمت مصيبتهم بموته

تأبينه

أنشد أبو عمار في تأبين مالك وفي موطأه قصيدة طويلة نذكر منها ما يأتي:
« أيا طالباً للعلم إن كنت طالباً حقيقة علم الدين تحظى وترغب »

- « فبادر موطأ مالك قبل فوته
« ودع للموطأ كل علم تريده
« هو الحق عند الله بعد كتابه
« هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه
« ومن لم يكن هذا الموطأ بيته
« جزى الله عنا في موطأه ما لسا
« فقد أحسن التحصيل في كل ماروى
« لقد رفع الرحمن بالعلم قدره
« لقد فاز أهل العلم شرقاً ومغرباً
« وما فاقهم إلا بتقوى وخشية
« فلا زال يسقى قبره كل عارض
- فما بعده إن فات للعلم مطلب
فان الموطأ الشمس والعلم كوكب
وفيه لسان الصدق بالحق معرب
ولم لا يطيب الفرع والأصل طيب
فذاك من التوفيق بيت مخيب
بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب
كذا فعل من يخشى الإله ويرغب
غلاماً وكهلاً ثم إذ هو أشيب
فأضحى به الأمثال في الناس تضرب
وأن كان يرضى للإله ويفض
من العفو إذ يهمل عليه ويسكب

أولاده

خلف من الولد رضى الله عنه أربعة : يحيى ، ومحمداً ، وحمادة ، وأم أبيها
فأما يحيى وأم أبيها ، فلم يوص بهما الى أحد ، كانا مالسين لأنفسهما
وأما محمد وحمادة فوصى بهما الى ابراهيم بن حبيب من أهل المدينة

بعض أقواله وحكمه

من حكمه : العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . ليس العلم
بكثرة الرواية ؛ ولكنه نور يضعه الله تعالى في القلب

من أقوال مالك : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب
المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غريب الحديث كذب . الدنومن
الباطل هلكة ، والقول في الباطل يصد عن الحق . ولا خير في شيء
من الدنيا بفساد دين المرء أو مروءته . ولا تأس على الناس فيما أحلَّ
الله لهم . إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنة . السنة سفينة
نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق

أوصى مالك رجلاً فقال له : عليك بتقوى الله ، وطلب العلم من
عند أهله . وقال مالك : ما كان في كتاب الله أو فيما أحكمته السنة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق لا شك فيه ، وما كان من اجتهاد
الرأي فالله أعلم به . لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم :
لا يؤخذ من مبتدع يدعو إلى بدعة ، ولا من سفيه معطن بسفیهه ، ولا
عمن يكذب في حديث الناس ، وإن كان يصدق في حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عمن يعرف هذا الشأن

وقال : إذا قلَّ الكلام أصيب الجواب ، وإذا كثُر الكلام كان من صاحبه فيه الخطأ

وقال : إذا لم يكن للانسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير
وقال رضى الله عنه : الفظاظة مكروهة لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

ولقوله تعالى : ﴿ قَقُولًا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾
وقال مالك رضى الله عنه : قال سعيد بن عباد : صلِّ صلاة إمرئ مودع يظن أن لن يعود ، وأظهر اليأس عما في أيدي الناس فانه الغنى ، وإياك وطلب الحاجة فانه الفقر الحاضر ، وقد علمت أنه لا بد لك من قول ، فايك وما يعتذر منه

وقال رضى الله عنه : من أكثر الكلام ومراجعة الناس ذهب بهاؤه
وقال رضى الله عنه : لا ينبغي أن تتكلم بشئ ، تستحي منه ولا تمشى في حاجة تستحي فيها

وقال رضى الله عنه : حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، والعلم حسن لمن رزق خيره ، وهو قسم من الله فلا تمكن الناس من نفسك ، وان من سعادة المرء أن يوفق للخير ، وان

من شقاوة المرء ألا يزال يخطئ ويضل ، وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه

وقال رضى الله عنه : ينبغي للعالم ألا يتولى شراء حوائجه من السوق بنفسه ، وان كان يقع عليه في ذلك نقص في ماله ، فان العامة لا يعرفون قدره أو نحو هذا

قال خالد بن خدّاش : ودعت مالكا فقلت : أوصني يا أبا عبد الله قال : عليك بتقوى الله ، وطب العلم من عند أهله

المذهب المالكي

قال المرحوم أحمد باشا تيمور في رسالته عن المذهب المالكي ما يأتي باختصار :

أما المذهب المالكي فهو منسوب الى إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصمعي رضى الله عنه المولود سنة ٩٣ هجرية والمتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ وهو ثانی الأربعة في القدم، ويقال لأصحابه (أهل الحديث) وقد نشأ المذهب بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ثم انتشر في الحجاز وغلب عليه ، وعلى البصرة ومصر ، وما والاها من بلاد إفريقية، والأندلس، وصقلية، والمغرب الأقصى، الى بلاد السودان . وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع

وأول من قدم به الى مصر على ما جاء في خطط المقرئزى عبدالرحيم
ابن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمع ، ثم نشره بها عبد الرحمن بن
القاسم ، واشتهر بها أكثر من مذهب أبى حنيفة لكثرة أصحاب مالك
فيها ، ولم يكن مذهب أبى حنيفة يعرف بمصر
والآن يتبع مذهب مالك فريق كبير من المصريين ، ويكاد يعمُّ
الوجه القبلى (الصعيد)

ومن العجب أن تكون بلاد الصعيد محوطة بالمذهب المالكى من
كل ناحية وتبقى بلدة (فرشوط) شافعية المذهب الى يومنا هذا
كما قال فضيلة الاستاذ الشيخ التفتازانى

٢ - الإمام الشافعي رضي الله عنه

مولده - ولد الإمام الشافعي رضي الله عنه بغزة عسقلان (الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بأرض فلسطين) سنة خمسين ومائة في شهر رجب

نسبه من جهة أبيه - هو محمد أبو عبد الله ، بن إدريس ، بن العباس ، بن عثمان ، بن شافع ، بن السائب ، بن عبد يزيد ، بن هاشم ابن عبد المطلب ، بن عبد مناف ، ويجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف (وهاشم الذي في أجداد الشافعي غير هاشم الذي في أجداد النبي صلى الله عليه وسلم) وقيل في نسبه :

« نسب كأنّ عليه من شمس الضحى

نوراً ومن خلق الصباح عموداً »

« ما فيه إلا سيّد من سيّد

حاز المكارم والتقى والجودا »

نسبه من جهة أمه - أمه السيدة فاطمة بنت عبد الله ، بن الحسن ، ابن حسين ، بن علي ، بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقيل : ان السيدة فاطمة لما حملت به رأت في نومها كأن كوكب المشتري خرج من

بطنها وارتفع في الجو ، وسقطت منه أجزاء أصاب كل جزء منها بلداً
فأضائه ، فقامت السيدة مذعورة من نومها ، وفي الصباح قصت رؤياها
على المعبرين ، فأخبروها بأنها ستضع ولداً يملأ أطباق الأرض علماً
فلما وضعت في رجب من السنة المذكورة سمته (محمداً) وبعد الوضع
بأيام جاءت الأخبار من بغداد إلى (غزة) بأن الإمام أبا حنيفة النعمان
توفي ، وأنهم دفنوه (بالرصافة) في شرق بغداد ، ولما حسب أهل الشافعي
حسابهم ظهر لهم أن وفاته رضى الله تعالى عنه كانت في نفس اليوم الذي
وضعت فيه السيدة فاطمة ابنها محمداً فاتخذوا هذه الحادثة تاريخاً لميلاده
وفيه إشارة الى أنه يخافه في علمه

نشأته - لما كبر الشافعي وبلغ من العمر سنتين ، رأت أمه أنه
إذا ما بقى في (غزة) ضاعت نسبه من قريش ، فحملته الى (مكة المكرمة)
ونزلت بحى هناك بجوار الحرم يقال له (شعب الخيف) وقد نشأ يتيماً فقيراً
يؤاسيه ذوو قرابته من قريش ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع ، وأولع
بالشعر واللغة ، ورحل الى البادية في تطلبها ، ثم تفقه في الدين ، وجالس
أهل العلم ، وفتح الله عليه من العلم ما لم يفتح على غيره ، حتى أفتى وهو
ابن خمس عشرة سنة كما سيأتى ذكره

بشارة المصطفى ﷺ به

قد ورد ذلك في حديثين في كل منهما إشارة إليه :

الحديث الأول : حديث عالم قريش - ورد من حديث ابن مسعود
ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث
ابن عباس

أما حديث ابن مسعود فقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الأرض علماً ، اللهم أذقت أولهم
عذاباً ، فأذق آخرهم نوالاً »

وأما حديث أبي هريرة فقد قال : ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : اللهم اهد قريشاً فان (عالمها يملأ طبق الأرض علماً)
اللهم كما أذقتهم عذاباً فأذقهم نوالاً (دعا بها ثلاث مرات)

وأما حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقد قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لا تؤموا قريشاً ، واتموا بها ، ولا تقدهوا على قريش ، وقدموها ،
ولا تعلموا قريشاً ، وتعلموا منها ، فان أمانة الأمين من قريش تعدل
أمانة اثنين من غيرهم ، وأن علم عالم قريش يسع طباق الأرض »

وأما حديث ابن عباس فقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«اللهم اهد قريشًا، فان علم العالم منهم يسع طباق الأرض، اللهم أذقت أولها نكالا فأذق آخرها نوالا»

الحديث الثاني : وهو أن الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها

عن أحمد بن حنبل يقول : يروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله يمين علي أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم ، وأنى نظرت في مائة سنة فإذا هو رجل من آل رسول الله (وهو عمر بن عبد العزيز) وفي رأس المائة الثانية ، فإذا هو (محمد بن إدريس الشافعي)

وقال ابن عدى : سمعت محمد بن علي بن الحسين يقول : سمعت أصحابنا يقولون : كان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وفي الثانية محمد بن إدريس الشافعي

وقال الحاكم : سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول غير مرة : سمعت شيخا من أهل العلم يقول لأبي العباس بن سريج : إبشرايها القاضي ، فإن الله من علي المسلمين بعمر بن عبد العزيز علي رأس المائة ، فأظهر كل سنة ، وأمات كل بدعة ، ومن الله علي رأس المائتين بالشافعي حتى أظهر السنة ، وأخفي البدعة ، ومن الله علي رأس الثلاثمائة بك

طلبه للعلم والاجتهاد فيه

لما بلغ الشافعي رضى الله عنه تسع سنين ، وكان قد أتم حفظ القرآن كله ، رأى أنه لم تكن هناك فائدة من بقائه في الكتاب ، فانسخ منه . ودخل المسجد الحرام يجالس العلماء ، ويحفظ الحديث ، وعلوم القرآن ، وغيرها من مختلف العلوم في ذلك الزمان ، فقرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين ، والحديث على سفيان بن عيينة ، ومسلم ابن خالد الزنجي وغيرها ، وكان لشدة فقره يجمع العظام ليكتب عليها مذكراته عن الدروس التي يتلقاها عن أساتذته ؛ وكان يذهب الى دواوين الحكومة ومصالحها . ويلتقط قصاصات القراطيس من تحت أقدام الكتاب ليكتب على ظاهرها ، وفي المسافات الخالية فيها المذكرات المذكورة ويقول :

« العلم صيدٌ ، والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الوثيقة »
« فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة »
ولم ير الشافعي في ذلك غضاظة ؛ بل بالعكس كان يعتقد أن من أهم أسباب الفلاح في العلم الفقر ، ولذلك كان يقول : ما أفلح في العلم إلا

من طلبه في القلة

كثرت القصاصات والعظام عند الشافعي ، وضاق بها صندوقه

وحجرته ، ولم يعد يجد مكاناً ليسترج فيه في الحجرة ، أو ينام فيه ،
فصمم أن يحفظ ما جمعه في تلك القصاصات والعظام عن ظهر قلب ،
ويستغنى عنها ، وفعلاً حبس نفسه في الحجرة ، وأخذ يحفظ كل ما كتبه
فوق العظام والقصاصات بعزيمة صادقة لاتعرف الملل ، حتى أتم حفظها ،
واستغنى عنها وخرج من الحجرة وهو يقول :

« علمي معي حينما يمت ينفعي

صدرى وعاء له لا بطن صندوق »

« إن كنت في البيت كان العلم فيه معي

أو كنت في السوق كان العلم في السوق »

إن هذه العملية قوت الحافظة عند الشافعي الى حد مذهش
جداً ، حيث بلغت به الدرجة أنه اذا فتح كتاباً ليحفظ فيه ، اجتهد
أن يغطي بطرف كفه الصحيفة اليسرى ، مخافة أن يقع نظره عليها
فيحفظها قبل أن يحفظ الصحيفة اليمنى

ولم يصل الشافعي الى هذا القدر من الذكاء المفرط ، والحفظ الخارق
للعادة ، والفهم السريع ، إلا بفضل قوة إيمانه ، وصدق يقينه ، وحسن
اعتقاده، فهو يقول : انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ، فقال له :
مَنْ أنت يا غلام ؟ فقال : أنا من رهطك يا رسول الله . فقال : ادن
مني ، فدنا منه ، فأخذ من ريقه ، وأمر على لسان الشافعي وفمه

وشفتيه ، وقال له : امض بارك الله فيك

قام الشافعي من نومه ، وهو يعتقد تمام الاعتقاد أنه إذا جىء له بالجبال صحفًا حفظها ، وكانت هذه الرؤيا مفتاح باب الفتوح على الشافعي ، حيث أصبح وله رغبة في تحصيل العلم إلى حد أنه كان إذا سُئل عنه قال : أسمع الكلمة التي لا أعرفها فتود أعضائي أن يكون لكل واحد منها سمع يتنعم بسماع تلك الكلمة

وإذا قيل له : كيف حرصك عليه ؟ قال : حرص البخيل الجموع على المال

وإذا قيل له : كيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة التي ضلَّ ولدها وليس لها غيره

وكان يقول : ليس العلم ما حفظ ، وإنما العلم ما نفع

وكان الشافعي يقسم الليل ثلاثة أقسام : ثلث للعلم ، وثلث للصلاة ، وثلث للنوم

حفظه للقرآن - قال الربيع رحمه الله: كان الإمام الشافعي يحتم القرآن في كل يوم مرة، وفي رمضان يحتم القرآن ستين مرة، كل ذلك في الصلاة وكان جميل الصوت في القراءة جداً، حتى أن علماء مكة كانوا، وهو في الثالثة عشرة من العمر، إذا ما أرادوا البكاء من خشية الله تعالى جمع بعضهم بعضاً وقالوا: هيا بنا إلى ذلك الصبي المطلبى ليسمعنا

القرآن فيكينا ، فاذا جاءوا وسمعوه ، رأيتهم يتساقطون بين يديه من كثرة البكاء ، ورأيت أعينهم تفيض من الدمع طرباً واستحساناً وخشوعاً وخضوعاً ، وكان إذا رأى منهم ذلك أمسك عن القراءة شفقة عليهم ورحمة بهم

وكان بالرغم من جمال صوته يقرأ القرآن قراءة الفاهم لمعناه ، الواقف على دقائق مغزاه

تبحره في الحديث والفقه واللغة والأدب - ولما بلغ من العمر الخامسة عشرة كان قد أتم علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والشعر حتى أن الأصمعي نفسه ، وهو شيخ الشعراء ، كان يفتخر بأنه حضر أشعار الهدليين على الشافعي وهو في الخامسة عشرة ، وكان يجيد الشعر ، فهو وان كان القائل :

« ولولا الشعر بالعلماء يُزرى لكنتُ اليوم أشعر من لبيد »
إلا أنه كان أشعر من لبيد حقيقة ، ولم يكن شعره قاصراً على التصوف والزهد أو المواعظ والحكم ؛ بل كان يقول في الغزل والحب والتعازي ، وله نظم كثير جمعه المرحوم محمد افندي مصطفى في رسالة خاصة سماها (الجواهر النفيس في أشعار الإمام محمد بن إدريس)

إجازته للفتوى - ولما رأى استاذَه الإمام مسلم بن خالد الزنجي أن الشافعي وصل الى هذا الحد في العلوم أجازَه بالفتوى فكنـت

بدخل المسجد الحرام، فترى الشافعي وهو في الخامسة عشرة جانباً على كرسية يعلم الناس العلم، ويفتيهم في أمور دينهم، وكان يقول :
« كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وعلم الفقه والدين »
« العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين »

رحلاته

كان رضى الله عنه يقول :
« ما في المقام لدى عقل وذى أدب
من راحة فدع الأوطان واغترب »
« سافر تجرد عوضاً عن تفارقه
وانصب فان لذيد العيش في النصب »

رحلة الإمام الشافعي الى المدينة لطلب العلم

وحضوره درس الإمام مالك وحفظه للموطأ

استمر الشافعي في تحصيل العلم وتدريسه بيت الله الحرام، تحضر عليه العلماء والشعراء والأدباء، كالأصمعي وغيره، الى أن تجاوز العشرين من عمره بقليل، حيث ظهر للناس وقتها كتاب الموطأ للإمام

(م - ٦ - رابع)

مالك ، واشتهر بينهم ، فاشتاقت نفس الشافعي إلى رؤية الإمام مالك
رضي الله عنه بالمدينة المنورة والاستفادة من علمه ، فاستعار كتاب
الموطأ من رجل من أهل مكة وحفظه في زمن يسير كعادته ، ثم تقدم
إلى والي مكة ورجاه في أن يكتب له جواب توصية لوالي المدينة كي
يقدمه للإمام مالك ، وافترط حب الوالي للشافعي كتب له جوابين ،
أحدهما لوالي المدينة، والثاني للإمام مالك، وسلمهما للشافعي

أخذ الشافعي الجوابين، وعاد إلى البيت مسرعاً مسروراً ، ومن
شدة فرحه قرع الباب قرعة عنيفة فقالت أمه : مَنْ الطارق ؟ فقال :
أنا الشافعي . فقالت : أرجع وتعلم الأدب ، ثم عد ، هذا التعنيف من
أمه أثر في نفسه ، وأدرك أنه لم يتم تأديبه بعد ، فعزم على ألا يرجع
إليها إلا وقد كمل أدباً وعلماً ، ثم عاد لوقته ولحق بركبه إلى المدينة ،
وتعرف بشيخه ، وكان من المتغالين في حب الإمام مالك

فلما رأى شيخ الركب شوق الشافعي إلى مالك فرح به ، وقدم له
أحسن بعير في قافلته ، وكان اسمه (الأبرق) وأخذ هو في الدرس حتى
ختم من مكة إلى المدينة ست عشرة ختمة ، بالليل ختمة ، وبالنهار
ختمة، ودخل المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر ، فصلى في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم دنا من القبر وسلم على صاحبه عليه الصلاة
والسلام ، وبعد ذلك ذهب إلى والي المدينة ودفع إليه الجوابين ،

ففتح الوالى الجواب الخاص به وقرأه ، ثم نظر الى الشافعى وقال له :
« والله يا أبني لو أن والى مكة طلب إلى السعى من جوف المدينة
إلى جوف مكة ماشياً حافياً لكان أهون على من الذهاب الى بيت
الإمام مالك »

فقال الشافعى : يمكنك أن تحضره إلى هنا ، فقال الوالى : هيات !
لينا إذا ربنا اليه ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب ، ولكن هيا بنا
على بركة الله

ركب الوالى وأخذ الشافعى معه إلى أن وصلا إلى دار مالك ، فتقدم
رجل وقرع الباب ، فخرجت جارية سوداء ، فقال لها الوالى : قولى
لمولاي إننى بالباب ، فدخلت الجارية وأبطأت ، ثم خرجت تقول : إن
مولاي يقول لك : إن كانت لك مسألة فارقمها فى رقعة حتى يخرج
لك الجواب عليها ، وإن كان الجبىء لشيء آخر فقد عرفت يوم المجلس
فانصرف اليه . فقال لها الوالى : قولى لمولاي إن معى كتاباً له من والى
مكة فى مهمة خاصة به

فدخلت الجارية ، ثم خرجت وفى يدها كرسى ، وبعد ذلك خرج
مالك ، فاذا هو شيخ طويل القامة ، أشقر اللون ، عليه المهابة والوقار ،
ومتطليس ، فدفع الوالى الكتاب اليه

فلما بلغ إلى قوله : إن محمد بن ادريس رجل شريف ، من أمره

ومن حاله كذا وكذا ، رمى مالك الكتاب من يده وقال : يا سبحان الله صار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يطلب بالوسائل « أى بالوسائل والتوصيات »

فتقدم الشافعى اليه وقال : أصلحك الله تعالى إني رجل مطبى ، ومن حالى ومن قصتي كذا وكذا ، فلما سمع مالك كلامه عطف عليه ونظر اليه ساعة ، وكان لمالك فراسة فسأله : ما اسمك ؟ قال : محمد قال له : يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصى ، إني أرى فى قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية ، فانه سيكون لك شأن فى الناس

فقال الشافعى : نعم وكرامة . قال مالك : اذا كان الغد فتجىء لنقرأ لك الموطأ

فقال الشافعى : إني أقرؤه يامولاي حفظاً . قال مالك اقرأ . فأخذ الشافعى يقرأ ومالك يسمع له ، وكما خاف الشافعى على مالك من الملالة سكت ، فيقول له : زد يا فتى فاني أستحسن قراءتك

وهكذا استمر الشافعى على الحضور إلى بيت الإمام مالك ، فى كل يوم يقرأ عليه الموطأ ، ومالك يسمعه له ، حتى قرأ عليه الموطأ كله فى أيام يسيرة

وبعد ذلك رأى الشافعى أن يحضر مجلس الإمام مالك فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم للسمع منه ، فراه داخلاً من باب المسجد

« الواقع بالوجهة الشرقية » مؤتزرأ ببردة ، متشعأ بأخرى ، متطیبأ مفئسلأ ، مسرحأ لحنه ، وكأنت هذه عأدته عند قرأة حءیث رسول الله صلی الله علیه وسلم

فقام له من فی المسجد ، وقد هابه الشافعی مهابة عظیمة ، وجلس حیث انتهى به المجلس بعد ما جلس مالك والحاضرون ثم بدأ مالك فی قرأة الحدیث ، والشافعی یكتب بریقه على یده ما یسمعه ، حتی فهم وحفظ كل ما حدث به ، فتعجب مالك من ذلك وأقام الشافعی ضیفأ عند مالك ثمانية أشهر ، یلازمه فی البیت وفی المسجد ، ویقدم له مالك الطعام والماء بیده ، ویأخذه فی صحبته الى المسجد ، وبعد ما یقرأ مالك على الناس الموطأ یعطیه للشافعی لیملیه علیهم ، وهم یكتبونه ، فآزداد بذلك الشافعی حفظأ للموطأ وفهمأ له وعرفته الناس

شهادة الإمام مالك بسعة علمه

كان الإمام مالك رضى الله عنه یثنى على فهم الشافعی وحفظه ، وشهد له بسعة علمه ، ووصله بهدیة لما رآه عنده وكان الشافعی یقول : مالك معلمی وأستاذی ، منه تعلمنا ، وما أحد آمن على من مالك ، وقد جمعت مالكاً حجة بینى و بین الله

وكان المصريون من عاداتهم ، بعد قضاء الحج في مكة ، أن يحضروا الى المدينة المنورة للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستماع الموطن من مالك ، وكان الشافعي يميله عليهم ، ومن ذلك الحين عرف المصريون الشافعي ، ومالت قلوبهم اليه ، واهتموا بالوقوف على أخباره ، وكان فيمن أملى عليهم الموطن في المدينة من المصريين (عبد الله بن الحكم ، وأشهب ، وابن القاسم ، والليث بن سعد) حتى ان الشافعي لما قدم على مصر كان عبد الله بن عبد الحكم أعظم نصيراً له ، وكان أهل العراق كالمصريين حينما يقدمون الى المدينة بعد أداء فريضة الحج لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولسماع الموطن كان الشافعي يميل عليهم الموطن كغيرهم

رحلته الى العراق

لما سمع الشافعي من بعضهم أخبار علماء العراق ، كأبي يوسف ، ومحمد بن الحسن ، صاحبي الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه اشتاق إلى السفر معهم الى العراق للاجتماع بأولئك العلماء وأمثالهم ، فدخل على الإمام مالك وقال له : خرجت من مكة في طلب العلم ولم أستاذن والدتي ، فهل أعود اليها أو أرحل في طلب العلم ؟ فقال له مالك : يا بني العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ، ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها

لطالب العلم رضا بما يطلبه ؟

فقال الشافعي : أريد السفر الى العراق ، فزوّده مالك بست وأربعين ديناراً ، واكترى له راحلة الى الكوفة بأربعة دنانير ، وخرج يودعه إلى البقيع ، وهناك سأله الشافعي من أين لك هذا المال يا مولاي ؟

فقال مالك : ان ابن القاسم المصري أعطاني مئة دينار اقتسمتها بيني وبينك

وبعد أربعة وعشرين يوماً من المدينة وصل ركب الحاج الى الكوفة فقصد الشافعي على بن أبي طالب كرم الله وجهه في ظاهر الكوفة وصلى العصر

وبينا هو في المسجد إذ رأى غلاماً يصلي فلم تعجبه صلاته فنصحه ، فلم يقبل الغلام ، وقال : أنا أصلي هكذا خمس عشرة سنة بين يدي أبي يوسف وابن الحسن صاحبي أبي حنيفة فما عابا عليّ شيئاً وأنت تعيبها ، ونهض خارجاً غضبان

وصادف أنه وجد لدى باب المسجد الإمام أبا يوسف ومحمد بن الحسن ، فسألها الغلام عما اذا كان في صلاته عيب ؟ فقالا : اللهم لا . فقال الغلام : إن في المسجد رجلاً عابها ، فقال له ابن الحسن اذهب اليه وقل له : بم تدخل الصلاة ؟ فذهب الغلام الى الشافعي وسأله هذا

السؤال فجاوبه الشافعي : إنى أدخل الصلاة بفرضين وسنة . فقال له ابن الحسن إرجع اليه واسأله عن الفرض والسنة ، فقال له الشافعي : أما الفرضان فهما النية وتكبيرة الإحرام ، وأما السنة فهي رفع اليدين . فعاد الفلام إلى الشيخين وأخبرهما بالجواب ، فعرفا أن هذا قول من نظر في العلوم ، فدخلوا المسجد ، فقام لهما الشافعي إجلالاً وتعظيماً ، وأظهر البشاشة لهما ، وجلس بين يديهما ، فسأله محمد بن الحسن عن نسبه وبلده فأخبره عنهما ، ثم سأله عما اذا كان رأى الإمام مالكاً ، فقال : من عنده أتيت . فقال : هل نظرت في الموطأ ؟ قال حفظته عن ظهر قلب

فعمم ذلك على محمد بن الحسن وأخذ يسأله عدة أسئلة في الطهارة والزكاة والبيوع وغيرها والشافعي يجاوب عليها أحسن إجابة فازداد إعجاب به ، وأخذته الى داره وأباح له أن ينسخ من مكتبته ما شاء من كتبه

وأقام الشافعي مدة في الكوفة ضيفاً على محمد بن الحسن نسخ في خلالها كثيراً من الكتب ، ولما تم غرضه أراد السياحة في بلاد فارس وما حولها من بلاد الأعاجم ، والطواف بالعراق ، فعرض ذلك على محمد بن الحسن فوافق عليه وأعطاه ثلاثة آلاف ليستعين بها في سياحته

رحلته الى بلاد فارس وغيرها

أخذ الشافعي المال وساح في بلاد فارس وماحولها من بلاد الأعاجم ثم سافر الى (ديار ربيعة ومضر) ومنها رحل الى بلاد شمال العراق ، حتى وصل الى جنوب بلاد الروم ، وهي الأناضول الآن ، وعرج على (حران) وأقام فيها زمناً ، ثم سافر منها الى فلسطين وأقام في الرملة في جنوب بيت المقدس

وقد استغرقت هذه السياحة حولين كاملين من سنة ١٧٢ هـ الى سنة ١٧٤ هـ ازداد الشافعي فيها علماً بما حفظه من العلماء بأمر العباد وأخلاقهم وعاداتهم ولغاتهم وتعرف بكثير ممن أملى عليهم الموطأ وهو في المدينة فكانوا خير معين له في هذه البعثة

عودته الى المدينة

وبينما هو في الرملة إذا بركب المدينة قد جاء من الحجاز ، فسألهم الشافعي عن الإمام مالك ، فقالوا أنه بخير ، واطمعت أرزاقه ، فاشتاق الشافعي الى السفر الى المدينة لرؤيته ، فاشترى راحلة وسافر عليها الى المدينة المنورة ، فوصلها بعد ٢٧ سبعة وعشرين يوماً ، ودخلها ساعة العصر حوالي سنة ١٧٤ هـ وقصد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فسلم

على صاحبه ، وصلى العصر ، وحضر درس الإمام مالك ، الذى لما علم بوجوده استدعاه وضمه الى صدره ، ونزل عن كرسيه ، وقال له : أتمم أنت الدرس يا شافعى ، وبعد ما أتم الشافعى الدرس أخذه مالك الى بيته

ولم يمض على الشافعى زمن طويل بعد عودته الى المدينة حتى جاءت الأخبار من مصر بوفاة (الإمام الليث بن سعد) فى نصف شعبان سنة ١٧٥ هـ ، وأنهم دفنوه فى القرافة الصغرى ، فحزن لوفاته مالك والشافعى ، وسأنى الكلام عليه وأقام الشافعى بعد ذلك فى المدينة المنورة أربع سنوات وأشهرًا ملحوظًا بعين الإمام مالك الى أن توفى الإمام مالك فى شهر ربيع سنة ١٧٩ ، ودفن بالبقيع فى ظاهر المدينة ، ووجدت عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجدًا عظيمًا كما مرّ ذكره

رحلته الى اليمن وزواجه

مات مالك ، وبقي الشافعى ، ولا معين له فى المدينة إلا الله تعالى ، وكان عمره وقتئذ ٢٩ سنة تقريبًا ، وصادف أن جاء والى اليمن الى المدينة ، فكلّمه جماعة من قریش فى موضوع الشافعى ، فأخذه الوالى كاتبًا له

ولما عاد إلى (صنعاء) قلده عملاً مستقلاً أحسن الشافعي إدارته
وأثنى عليه الناس وأحبه الوالي

وقد تزوج الشافعي في هذه الأثناء من السيدة (حميدة) بنت
نافع (حفيدة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه) ورزق منها ابنه
(أما عثمان محمداً) وابنتيه (فاطمة وزينب) وقد ارتقى أبو عثمان
محمد في المناصب حتى كان قاضياً لمدينة حلب

حسن معاشرته لزوجته

وكان الشافعي رضي الله عنه رقيق المعاشرة مع زوجته ، حتى بلغت
به الدرجة من الرقة أن كنى ابنه منها باسم جدها سيدنا عثمان بن عفان
رضي الله عنه فكناه (بأبي عثمان محمد) ولم يكنه بأبي إدريس
أو الشافعي

وكان مثلاً أعلى للحياة الزوجية الصريحة ، حيث كان يوصي
زوجته ألا تعارضه في القول عند سورة غضبه ، مخافة أن يحوثر هذه
المعارضة ما في قلبه من المحبة لها فيقول :

« خذي العفو مني واستديمي مودتي

ولا تنطقي في سورتي حين أغضب »

« فأنى وجدت الحب في القلب والأذى

إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب »

وأقام الشافعي في اليمن على عمله، يحكم بين الناس بالعدل، ملازماً

الإمام يحيى بن حسان صاحب الإمام الليث بن سعد، غير منقطع عن

طلب العلم وتدريبه لحظة، ولم يدع الفرص تفوته مدة وجوده في

هذه البلاد، بل تعلم فيها علوم الفراسة، وهي علوم خاصة ببلاد اليمن

وقتها وقد تفوق فيها

حقد حساده عليه ووشايتهم به عند الرشيد

ثم ان تقدم الشافعي في اليمن، ومكانته عند الوالى والناس، وعلو

قدره في العلوم والمعارف، سواء أكانت فقهية، أو رياضية، أو فلسفية،

أو طبية، أو فلكية الخ. كان سبباً في حقد صدور الحاسدين عليه،

فوشوا في حقه للخليفة هارون الرشيد وهو في بغداد، واتهموه بأنه

رئيس حزب العلويين في اليمن، وأنه يدعو إلى عبد الله بن الحسين،

فأرسل الخليفة أحد قواده إلى اليمن، فبعث له ذلك القائد بكتاب

يخوفه من العلويين، ويذكر له فيه الشافعي، ويقول عنه: انه يعمل

بلسانه، مالا يقدر المقاتل عليه بحسامه وسنانه، وإن أردت يأمر المؤمنين

أن تبقى الحجاز عليك، فاحملهم اليك، فبعث الرشيد إلى والى اليمن

بأمره بأن يحمل العلويين إلى بغداد ومعهم الشافعي مكبلاً بالحديد

حادثته مع الرشيد

اعتقل العلويون وفي جملتهم الشافعي ، ووضع في رجليه الحديد تنفيذاً لأوامر الخليفة ، وأرسلوا الى بغداد ، فدخلوها في غسق الليل ، وأحضروا بين يدي هارون الرشيد ليلاً ، وكان جالساً من وراء ستار ، وكانوا يقدمون اليه واحداً واحداً ، وكل من تقدم منهم قطع رأسه كل ذلك والشافعي بالباب يدعوره بدعائه المشور عنه وهو :

« اللَّهُمَّ يَا لطيف أسألك اللطيف فيما جرت به المقادير »

ولما جاء دوره حملوه الى الخليفة ، وهو منقل بالحديد ، فرمى من محضرة الخليفة بأبصارهم اليه

فقال الشافعي : السلام عليك يا أمير المؤمنين وبركاته ، ولم يقل ورحمة الله

فقال الرشيد : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، بدأت بسنة لم تؤمر باقامتها ، ورددنا عليك فريضة قامت بذاتها ، ومن العجب أن تتكلم في مجلسي بغير أمرى

فقال الشافعي : إن الله تعالى قال في كتابه العزيز :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ

الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿١٠٤﴾

وهو الذي إذا وعد وفى ، فقد مكنك فى أرضه ، وأمنتنى بعد
خوفى ، حيث رددت على السلام بقولك (وعليك رحمة الله) فقد
شمكتنى رحمة الله بفضلك يا أمير المؤمنين

فقال الرشيد : وما عذرک من بعد ما ظهر أن صاحبك يريد عبد الله
ابن الحسن ، طغى علينا وبنى ، وأتبعه الأردلون ، وكنت أنت
الرئيس عليهم ؟

فقال الشافعى : أما وقد استنطقتنى يا أمير المؤمنين فسأتكلم على
العدل والانصاف ؛ لكن الكلام مع ثقل الحديد صعب ، فان جدت
على بفكه عن قدمى ، جثيت على ركبتى ، كسيرة أبائى عند آبائك ،
وأفصحت عن نفسى ، وإن كانت الأخرى ، فبيدك العليا ، ويدي
السفلى ، والله غنى حميد

فالتفت الرشيد إلى غلامه (سراج) وقال له : خلّ عنه يا سراج
فأخذ سراج مافى قدميه من الحديد ، فجثا الشافعى على ركبتيه وقال :
قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾

حاشا لله أن أكون ذلك الرجل ، لقد أفك المبلغ فيما أبلغك به

يأمر المؤمنين ، إن لى حرمة الإسلام ، وذمة النسب ، وكفى بهما وسيلة ، وأنت أحق من أخذ بأدب كتاب الله تعالى ، أنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذاب عن دينه ، المحامى عن ملته ، فتهلل وجه الرشيد ، ثم قال : ليفرخ روعك (ليزول فزعك) فانا نراعى حق قرابتك وعلمك ، ثم أمره بالتعود فقدم ، وأخذ الرشيد يسأله أسئلة فى علوم القرآن ، وهو يجاوبه بما أدهشه ، والحاضرين ، وسرّه سروراً عظيماً ، ثم قال له : عِظْنِي يَا شَافِعِي

فأخذ الشافعى يعظ الرشيد وعظاً تصعدت له القلوب التى فى الصدور ، حتى بكى الرشيد بكاءً شديداً ، فهاج الحاضرون ، فنظر إليهم الشافعى غضباً واستمر فى وعظه

ولما أفاق الرشيد من بكائه قال : أمرنا لك بصلة ألفى دينار ؛ فنهض الشافعى وقال : كلاً والله يأمر المؤمنين ، لا يرانى الله عز وجل ، وقد سوّدت وجه موعظتى بقبول الجزاء عنها ، ثم استأذن فى الانصراف فأذن له وخرج

لم يكن الشافعى بالرجل البسيط ، وإنما هو يدرى مقدار مسئولية الاعتذار عن عدم قبول صلة الخليفة

فبعد أيام قليلة طلب الإذن فى مقابلة الرشيد ، فأذن له . وفى هذه المرة أمر له الرشيد بألف دينار ، فتقبلها الشافعى ، ودعا لأمر المؤمنين

فضحك الرشيد وقال : ما أفطنتك ، قاتل الله عدوك

ولما خرج الشافعي أمر الرشيد غلامه سراجا باتباعه حتى يرى ماذا يفعل بالمال ، فجعل الشافعي يفرق ذلك المال قبضة قبضة على رجال حاشية القصر ، حتى انتهى الى خارج القصر ومامعه إلا قبضة واحدة ، فدفعها إلى سراج وقال له : انتفع بها . فرجع سراج الى الرشيد وأخبره بما رأى . فقال الرشيد : ألا إن بني المطلب ما فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرف ولا في سخاء

حضوره مجلس العلماء ببغداد ومناظرته لهم

وأقام الشافعي في بغداد يجالس علماءها ، ويحضر عليهم ، كالأمام وكيع بن الجراح ، وأبي أسامة وغيرها ، ويصنف التصانيف ، وأتم فيها وضع كتابه القديم ، وأقبلت عليه الناس ، وأصبحت حلقته أكبر الحلقات ، فأوغر ذلك صدور بعض علماء العراق ، وبخاصة قلوب المقربين منهم إلى الخليفة ، فاتفقوا فيما بينهم أن يضعوا عدة مسائل على شكل الألغاز التي توضع لمقياس قوة الذكاء عند الناس ، ثم يطرحونها على الشافعي أمام الخليفة في مجلس المناظرة ليعجزوه . وكان الرشيد يحضر هذا المجلس للفكاهة والعلم

و بعد أن طرحوا عليه الأسئلة ، وأجاب عليها الشافعي أجوبة
سديدة ، تبسم الرشيد وقال : « أ كثر الله في أهلي مثلك » وأمر له
بألفي دينار ، فتسلمها الشافعي وفرقها على خدام القصر وحاشيته كعادته
رضى الله عنه

امتناعه عن تولية القضاء

على أثر هذه المناظرة أراد الرشيد أن يولي الشافعي قضاء اليمن ،
فقال الشافعي :

أطال الله عمر أمير المؤمنين ، لاجابة لي في ذلك ؛ ولكن حاجتي
أن يكون لي نصيب من سهم ذوى القربى في مصر إن سمحت مكارمه
فقال الرشيد : هو كذلك إن شاء الله

مكانة الشافعي

ومن ذلك الحين أخذت مكانة الشافعي تزداد لدى الخليفة ،
وأصبح في بغداد موضع إكرام أمرائها وعلمائها وساداتها طول مدة
إقامته فيها ، حتى بلغت الدرجة من احترامه أن مرض الإمام أحمد
ابن حنبل (ولا يجهل أحد من هو أحمد بن حنبل وما هي مرتبته عند

(م - ٧ رابع)

أهل بغداد (فعاده الشافعي في بيته ، فنزل ابن حنبل من سريره ،
وأجلس الشافعي مكانه ، وجلس هو على الأرض يسأله ساعة
ولما أراد الشافعي الانصراف أركبه ابن حنبل دابته ، ومشى
تحت ركابه ، وهو مريض مخترقاً شوارع بغداد وأسواقها حتى أوصله
الى بيته

إن هذه العظمة التي نالها الشافعي من علماء بغداد وعظائما ، لم
تكن لثاني عزمه عن ديمقراطيته ومخالطة الجمهور ، والوقوف على عباداتهم
ومعاملاتهم ، حتى إذا رأى في شيء منها نقصاً أو عيباً ألف التأليف ،
وصنف التصانيف ، حتى أن الإمام أبا يوسف نفسه قال له :

« أنت أولى من يصنف في هذا الزمان يا شافعي »

وقد ألف كتاباً في أربعين مجلداً وسمّاه (الزعفران) وعرف هذا
الكتاب بالحجة وهو أحد الكتب القديمة التي وضعها الشافعي بالعراق

عودته الى مكة

بعد ذلك رأى الشافعي أن يرجع الى مكة ، فسافر اليها حوال سنة
١٨١ هـ وضرب خبائه في ظاهرها ، فخرجت اليه أهل مكة للسلام عليه ،
فقسم بينهم ما جاء به من العراق من ذهب وفضة ، عملاً بوصية أمه له
كلما جاء الى مكة . وهكذا دخل الشافعي مكة فارغاً كما خرج منها

فارغاً ، وأقام في مكة سبع عشرة سنة يعلم الناس العلم ، وينشر مذهبه بين الحجاج وهم ينقلونه عنه الى بلادهم
وفي خلال السبع عشرة سنة هذه مات الإمام أبو يوسف في سنة ١٨٢ هـ ، ومات بعده بست سنوات الإمام محمد بن الحسن سنة ١٨٨ هـ ومات بعده بخمس سنوات الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ وقيل بعده بخمس سنوات ابنه الأمين سنة ١٩٨ هـ ، وانفرد بالخلافة الخليفة المأمون في هذه السنة واشتهر عنه حبه للعلميين وعطفه عليهم

عودته الى بغداد

فرأى الشافعي أن يعود الى بغداد ، فعاد اليها في تلك السنة ، وهي سنة ١٩٨ هـ وأقام فيها شهراً واحداً ، وكان يلقي دروسه في جامعها الغربي ، وكانت حلقات العلماء في هذا الجامع تربو على العشرين حلقة ، فأصبحت ثلاثاً فقط ، وانضم الباقيون إلى حلقة الإمام الشافعي

سفره الى مصر

وصادف أن غضب المأمون على عامله في مصر ، وكان المطلب بن عبد الله ، فأمر بعزله وتولية العباس بن موسى مكانه ، وهو أحد رجال بني العباس ، فرأى الشافعي السفر من بغداد الى مصر مع العباس بن موسى

فخرج أهل بغداد لوداعه ، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل
فمسك الشافعي بيد ابن حنبل ساعة الوداع وقال :

« لقد أصبحت نفسي تنوق الى مصر

ومن دونها أرض المهامة والقفقر »

« فوالله لا أدري ألعز والغني

أساق إليها أم أساق إلى القبر؟ »

وكان الشافعي أحسّ بأنه سيموت في مصر ، وأن قبره سيكون في
مصر فبكي ، وبكى لفراقه ابن حنبل والمودعون ، وعاد ابن حنبل وهو
يقول لأهل العراق : لقد كان الفقه قفلاً ففتحه الله بالشافعي

ورافق الشافعي في رحلته هذه الى مصر الربيع بن سليمان المرادي

وعبد الله بن الزبير الحميدي وغيرها

وفي ٢٨ شوال سنة ١٩٨ دخل الشافعي مصر مع العباس بن موسى
الذي أراد أن ينزله في داره فاعتذر ونزل عند أهله من بني أزد ، كما
فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة المنورة ونزل عند أخواله
من بني النجار

وفي الصباح دخل على الشافعي عبد الله بن الحكم ، وكان من كبار
علماء مصر وأعيانها ، ومن أملى عليهم الشافعي الموطأ في المدينة ، فرآه

مخضباً شعره بالحمرة ، طويل القامة ، جهورى الصوت ، كلامه حجة في اللغة ، عليه دلائل الشجاعة والفراسة ، قليل لحم الوجه ، مستطيل الخدين ، طويل العنق ، طويل عظم العضد والساعد والفخذ والساق ، ورأى في يده اليسرى خاتماً منقوشاً عليه : « وكفى بالله ثقة لمحمد بن إدريس » فسلم عليه ، فرد عليه الشافعي السلام ، ثم وضع عبد الله بن عبد الحكم بين يدي الشافعي أربعة آلاف دينار ، منها ألف من عنده وثلاثة آلاف من عند أعيان مصر وتجارها ، فشكر له الشافعي جميله وإكرام المصريين له

القاء دروسه في جامع عمرو

وابتدأ الشافعي رضي الله عنه في القاء دروسه بجامع عمرو بن العاص من بعد صلاة الصبح إلى الظهر ، ثم يأخذ عصاه وينصرف إلى داره ومعه بعض تلاميذه (كالمزني والربيع الجيزي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم) ويقول : الدنيا دار سفر ، ولا بد للمسافر من العصا وهو أول من سن سنة العمل في مصر إلى الظهر ، وكان يعمل في المسجد ثمانى ساعات ، أى من الساعة الرابعة صباحاً إلى الثانية عشرة ، وكان يطلق لتلاميذه الحرية في التفكير في أدلة المسائل وبراهينها ،

ويقول لهم : إذا ذكرت لكم دليلاً أو برهاناً لم تقبله عقولكم فلا تقبلوه ؛ لأن العقل مضطر لقبول الحق

وكانت العلماء تسمع منه في الجامع ، وعلى باب داره ، إلا محمد بن عبد الحكم ، فإنه كان يصعد إلى أعلى الدار ، وربما تغدى مع الشافعي ، وإذا نزل أركبه دابته وأتبعه بصره حتى يفيب ، فإذا غاب كان يقول : « وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ لِي وَلِذَا مِثْلَهُ ، وَعَلَى أَلْفِ دِينَارٍ لَا أَجِدُهَا وَفَاءً »

وكانت العلماء تحضر على الشافعي رجالاً ونساءً كنظام جامعات أوروبا الآن ، ولم يكن هناك حرج من هذا النظام إذ ذاك ، لوجود العفة والحياء بين الرجال والنساء

مَنْ نَبَغَ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ وَالْمَصْرِيَّاتِ عَلَى يَدَيْهِ

ونبغ على الشافعي كثير من المصريين والمصريات ، فمن الرجال : الربيع الجيزي ، وحرملة ، والمزني ، والبويطي ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وغيرهم ، وكلهم صاروا أئمة في الدين أساتذة في الأدب ومن النساء كثيرات كذلك ، كالسيدة أخت المزني التي أخذ عنها العلماء ودرج اسمها في جدول كبار فقهاء الشافعية رضي الله عنها

وكان الربيع الجيزي أكثر الناس ملازمة للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وقد سمي باسمه شارع في الجيزة ، وقبر الربيع لم يزل موجوداً

الى وقتنا هذا فى داخل شونة من شون الغلال التى على النيل فى
جنوب بندر الجزيرة

تآليف الشافعى

وضع الشافعى فى مصر كتبه الجديدة ، وكانت نحو عشرين مجلداً :
منها كتابه الجديد ، وكان يدرس فيه مذهبه بمسجد سيدنا عمرو بن
العاص رضى الله عنه . و « كتاب الأم » وقد طبعه المرحوم أحمد بك
الحسينى « وهو من أجل الكتب فى أصول الفقه جمع بين حجة المأخذ
وبين متانة العبارة ، فهو الأم الولود حقيقة لكل حقيقة فى علم الفقه ومعرفة
الأحكام » والاملاء الصغير ، والأمالى الكبرى ، ومختصر الربيع ،
ومختصر المزنى ، ومختصر البويطى وكتاب الرسالة ، وكتاب الجزية
وغيرها من كتب التفسير والأدب

ووضع وهو فى مصر علم أصول الفقه ، وهو أول من وضع هذا العلم

مناقبه

١ - زهده - كان رضى الله عنه زاهداً فى دنياه ، مقتصداً فى لبسه ،
يلبس الثياب الرفيعة من الكتان والقطن البغدادى ، وكان ربما يلبس
قلنسوة ليست مشرفة جداً ، ويلبس العمامة والخف

وكان يعيش وهو في مصر على ما كان مرتباً له من جهة السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وعلى ما كانت ترسله اليه السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد من بغداد من نقود وثياب وشى ، وكان يقسمها كلها بين الناس كعادته

٢ - ورعه - مما يدل على ورعه رضى الله عنه أن عبد القاهر بن عبد العزيز ، وكان رجلاً صالحاً ورعاً سأل الشافعى عن مسائل فى الورع والشافعى يقبل عليه لورعه

فقال للشافعى : أيما أفضل ؟ الصَّبرُ أو المحبة أو التمكين ؟

فقال الشافعى رضى الله : التمكين درجة الأنبياء ، ولا يكون التمكين إلا بعد المحبة فاذا امتحن وصبر مكن ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكاً ، والتمكين أفضل الدرجات . وكان يقول رضى الله عنه فى الورع :

« المرء إن كان عاقلاً ورعاً أشغله عن عيوب غيره ورعه »

« كما العليل السقيم أشغله عن وجع الناس كلهم وجمعه »

٣ - تقواه وخوفه من الله تعالى - كان رضى الله عنه تقياً يخاف

الله فلا يرتكب خطيئة ، ولا يقع في منكر ، وقيل : انه قرأ بعضهم عنده يوماً قوله تعالى :

﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴾

فتغير لونه ، واقشعر جلده ، واضطربت مفاصله ، وخرَّ مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : أعوذ بك من مقام الكاذبين ، واعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوب العارفين ، وذلت هيبة المشتاقين ، إلهي هب لي جودك وجملني بسترِكَ ، واعف عني في تقصيري بكرمك فاذا كان هذا خوف الشافعي من الله مع علمه به فكيف حالك أيها الانسان مع جهلك بجميل صفاته ؟

ويل للجاهلين الغافلين ! وويل ثم ويل للقاسية قلوبهم وقال عبد الله بن محمد البكري : كنت مع الإمام الشافعي رضي الله عنه بشط بغداد فرأى شاباً يتوضأ فقال له : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك في الدنيا والآخرة ، ثم مضى

فأسرع الشاب في وضوئه ثم لحق بالإمام الشافعي ولم يعرفه فالتفت اليه الإمام وقال له : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، فعلمني مما علمك الله فقال له : اعلم أن من عرف الله نجما ، ومن أشفق على دينه سلم من الردى ، ومن زهد في الدنيا قرَّت عيناه بما يراه من ثواب الله غداً ، أفلا أزيدك ؟ قال : بلى . قال : من كانت فيه ثلاث خصال فقد

استكمل الايمان : من أمر بالمعروف وأتمر به ، ونهى عن المنكر وانتهى
عنه ، وحافظ على حدود الله تعالى ، ألا أزيدك ؟ قال : بلى . قال : كن
في الدنيا زاهداً ، وفي الآخرة راغباً ، واصدق الله في جميع أمورك تنج به
غدأً مع الناجين ، ثم مضى

فسأل الشاب عنه ، فقيل له : هذا الإمام الشافعي رضي الله عنه ،
وكان يقول : وددت لو أن الناس اتفقوا بهذا العلم ولم ينسب الي
منه شيء .

وقال أيضاً رضي الله عنه : ما نظرت أحداً قط إلا أحببت أن
يوفق ويسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله عز وجل ، وما كنت
أحداً قط إلا لا أبالي أن يبين الله تعالى الحق على لساني أو على لسانه
وقال أيضاً : ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته
واعتقدت مودته ، ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط
من عيني ورفضته

مثال من تقواه وتوحيده لله - روى سويد بن سعيد رحمه الله قال :

كان الشافعي رضي الله عنه جالساً بعد صلاة الصبح في المسجد النبوي
إذ دخل عليه رجل فقال له : إني أخاف من ذنوبي أن أقدم على ربي
وليس لي عمل غير التوحيد

فقال له الإمام الشافعي رضي الله عنه : يا مؤمن لو أراد الله عز وجل

أن يُؤيسك (يحل بك اليأس) من المسامحة لديه . لما أحالك في
مغفرة الذنوب عليه ، حيث قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

ولو أراد عقوبتك في جهنم وتخليدك في النار لما أهلك معرفتك به
وتوحيدك إياه ، ثم أنشد فقال :

« إن كنت تغدو في الذنوب جليداً

وتخاف في يوم المعاد وعيداً »

« فلقد أتاك من المهيمن عفوه

وأباح من نعم إليك مزيداً »

« لا تيأسن من لطف بك في الحشا

في بطن أمك مضغمةً ووليداً »

« لو شاء أن تصلى جهنم خالداً

ما كان ألهم قلبك التوحيداً »

فبكى الرجل ، وأقبل على العبادة ، وفرح بكلامه رضى الله عنه

مثال من أدعيته - روى عبد الله بن مروان قال : كنت أجلس في

حلقة العلم عند الإمام الشافعي رضى الله عنه ، وأكتب ما أفهمه ،

فجثته سحراً فوجدته في المسجد وهو قائم يصلى ؛ فجلست حتى فرغ من

صلاته ، ثم دعا بدعوات حفظها منه . فكان من جملة ذلك : « اللهم

امنن علينا بصفاء المعرفة ، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك
على السنة ، وارزقنا صدق التوكل عليك ، وحسن الظن بك ، وامنن
علينا بكل ما يقربنا اليك ، مقرونا بالعفو في الدارين برحمتك يا أرحم
الراحمين »

قال : فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف
ينظر الى السماء وهو يتمثل بهذه الآيات :

« بموقف ذلى دون عزتك العظمى

بمخفى سر لا أحيط به علما »

« باطراق رأسي باعترافي بزلتى

بجد يدي أستمطر الجود والرحما »

« بأسمائك الحسنى التي بعض وصفها

لعزتها تستغرق النثر والنظما »

« بعهد قديم من ألت بربكم

بمن كان مجهولا فعلمته الاسما »

« أذقنا شراب الأانس يامن اذا سقى

محببا شرابا لا يضام ولا يظما »

مثال آخر من دعائه - من جملة دعائه رضى الله عنه الذى دعا به

حين دخل على الرشيد : اللهم انى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ،

وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة وطارق من الإنس والجن إلا
طارقاً يطرق بخير

اللهم أنت عياذى بك أعوذ ، وأنت ملاذى بك ألوذ ، يامن
ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له مقاليد الفراعنة ، أعوذ بجلالك
وكرمك من خزيك ، وكشف سترك ونسيان ذكرك ، والانصراف
عن شكرك : أنا فى كنتك فى ابلى ونهارى ، وطمعنى وإسفارى ، ذكرك
شعارى ، وثناؤك دثارى ، لا إله إلا أنت تزيهياً لاسمك ، وتكريماً
لسبحات وجهك ، أجرنى من خزيك ومن شر عذابك ، وقنى سيئات
مكرك واضرب على سرادقات حفظك ، وادخلى فى حفظ عنايتك
برحمتك يا أرحم الراحمين

عفته عن اللغو وفحش الكلام - كان الشافعى رضى الله عنه
عفيفاً عن اللغو وفحش الكلام ، فيحكى أنه مر يوماً برجل يسفه على
رجل من أهل العلم فالتفت إليه الشافعى وقال : نزهوا أسماءكم عن
سماع الحنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فان المستمع شريك القائل ،
وإن السفیه لينظر الى أخبث شىء فى وعائه ، فيحرص أن يفرغه فى
أوعيتكم ، ولوردت كلمة السفیه لشي رادها كما يشقى قائلها :
وكان ينشد ويقول :

« يخاطبني السفيه بكل قبح
« يزيد سفاهةً فأزيد حـالماً
فأكره أن أكون له مجيباً »
كعود زاده الإحراق طيباً »
وقال رضى الله عنه :

« إذا سبني نذل تزايدت رفعة
« ولولم تكن نفسى علىّ عزيزة
وما العيب إلا أن أكون مسابيه »
لمكنتها من كل نذل تحاربه »
وقال رضى الله عنه :

« قل بما شئت فى مَسَبَةِ عرضى
« ما أنا عادم الجواب وإن كنت
فسكوتى عن اللئيم جوابٌ »
مامن الأسد أن تحيب الكلاب »
عزة نفسه - لم يكن فى نظره شىء أحط من أن يذل المرء نفسه
لمنصب يتولاه ، أو مرتب يتقاضاه ، مع أنه فى هذه الحياة الدنيا يكفيه
للمعيشة كسرة ، وبعد الموت حفرة
وكان يقول :

« أمطرى لؤلؤاً جبال سرندي
« أنا ما عشت لست أعدم قوتاً
يب وفيضى آبار تكرور تبراً »
« همتى همة الملوك ونفسى
« واذا ما قنعت بالقوت عمرى
واذا مات لست أعدم قبراً »
فماذا أزور زيدا وعمراً »

ويحكى أنه دخل على الإمام الشافعى طالب بعد انتهاء الدرس

وقال له : أوصني ، فقال له الشافعي : يا أبا عبد الله خَلَقَكَ اللهُ حَرًّا فَكُنْ كَمَا
خَلَقَكَ اللهُ

قناعته - كان رضى عنه يرى الحرية الصحيحة في القناعة ، والذل
كل الذل في الطلب والسؤال فيقول :

« العبد حرٌّ إن قنعَ والحرُّ عبدٌ إن قنعَ »

ويقول :

« رأيت القناعة رأس الغنى فصرت بأذيالها متمسك »

« فلاذا يرانى على بابهِ ولا اذا يرانى به منهمك »

« فصرت غنياً بلا درهم أمرُّ على الناس شبه الملك »

قال الربيع : قال عبد الله بن عبد الحكم للشافعي : إذا أردت أن

تسكن البلد يعنى (مصر) فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان

تعزز به

فقال له الشافعي : يا أبا محمد، من لم تعزه التقوى فلا عزَّ له ، ولقد

ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جاعاً

قط ، وكان يقول :

« إذا أصبحت عندى قوت يومى فخل الهمَّ عني ياسعيد »

« ولا تخطر هموم غد بيالى فان غداً له رزق جديد »

« أسلم إن أراد الله أمراً وأترك ما أريد - لما يريد »

وكان يقول :

« قنعت بالقوت من زمانى وصنت نفسى عن الهوان »

« خوفاً من الناس أن يقولوا فضل فلان على فلان »

« ومَن كنت عن ماله غنياً فلا أبالى إذا جفانى »

« ومَن رآنى بعين نقص رأيتُه بالذى رآنى »

« ومَن رآنى بعين تيمُّ رأيتُه كامل المعانى »

كرمه وسخاؤه - أحبه المصريون لكرمه ومروءته ، وصدق
رؤياه ، ولعلمه وفضله وتقواه ، ولقربه من نسب رسول الله صلى الله
عليه وسلم

فمن كرمه، أنه خرج يوم وقفة العيد الكبير من مسجد سيدنا عمرو
ابن العاص مع تلميذه المزني ، ولما وصل الى البيت رأى غلاماً ينتظره
لدى الباب ومعه كيس مملوء بالنقود ، فتقدم الغلام الى الشافعي وقال
له : يُقرئك سيدى السلام ، ويقول لك : خذ هذا الكيس

أخذ الشافعي الكيس ، ووضع قدمه على سلم الدار يريد الصعود ،
فخرج له رجل من أهل الفسطاط وقال له : وضعت إمرأتى الساعة ،
ولم يكن معنا شيء ، فناوله الشافعي الكيس بما فيه ، ودخل هو بته
ولم يكن معه شيء

وأخرج البيهقي من طريق الحسن بن حبيب قال : سمعت الربيع يقول : رأيت الشافعي ركب حماراً فر على سوق الحدائين (صانعي الأحذية) فسقط سوط من يده فوثب غلام من الحدائين فمسح السوط بكفه وناولته إياه ، فقال الشافعي لغلامه : ادفع تلك الدنانير التي معك لهذا الفتى ، قال : ما أدري إن كانت تسعة أو سبعة

وروى الحميدي : أن الشافعي رضي الله عنه خرج إلى اليمن في بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعه عشرة آلاف درهم ، فضرب خيمة خارج مكة ، فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعاً بره بأقاربه - كان باراً بأقاربه ، يحترمهم ، ولا يتكبر عليهم ، وكان يقول : أظلم الظالمين لنفسه الذي إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأسواق ، وتكبر على ذوى الفضل

مواساته وتفقده للفقراء - كان لا يأتي عليه يوم إلا يتصدق فيه ، وكان يتصدق بالليل ولا سيما في رمضان ، ويتفقد الفقراء والضعفاء ، وكان نفقته على أهله ما يتعارف من سعة التجار وأهل الفضل ، وكان أكرم الناس مجالسة

حلمه وعفوه - كان رضي الله عنه عفواً حليماً لمن أساء إليه ، يقابل السيئة بالحسنة ، ولا يضرر حقداً لأحد ، وفي ذلك يقول :

« لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحمت نفسي من هم العداوات »
« إني أحبي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات »
« وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد حشى قلبي مودات »

ثناء الناس عليه - قال هارون بن سعيد : ما رأيت مثل الشافعي قط ، واتقد قدم علينا مصر ، فقالوا : قدم علينا رجل من قريش فقيه ، فجنناه وهو يصلي ، فما رأيت أحسن منه وجهاً ، ولا أحسن صلاة ، فافتننا به ، فلما قضى صلاته تكلم ، فأرأينا أحسن منه منطلقاً ، وكان يتكلم في الحقيقة ، وفي الزهد ، وفي أسرار القلوب ، وكان يقول :

كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة ؟

وكيف يسلم من لا يسلم الناس من لسانه ويده ؟

وكيف ينطق بالحكم من لا يريد بقوله وجه الله عز وجل ؟

وسأله بعض الناس عن الرياء فقال له : أنت إذا خفت على نفسك

العجب فانظر طلب رضا من تطاب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي

عقاب ترهب ، وفي أي عافية تشكر ، وأي بلاء تذكر ؟

ثناء الإمام أحمد بن حنبل على الإمام الشافعي

اتفق أن الإمام الشافعي بات عند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله

عنهما . وكانت بنت الإمام أحمد تسمع كثيراً عن الشافعي ، وكان

أبوها بعظمه جداً ، فكانت تؤذُّ لورأت الشافعي ، فلما نزل عند أبيها فرحت لعلمها ترى أفعاله الطيبة العظيمة ، أو تسمع أقواله الكريمة

ولما كان الليل ، قام الإمام أحمد إلى الصلاة وذكره كعادته ، والإمام الشافعي مستلق على ظهره (نائم على ظهره) والبنت ترقبه إلى الفجر ، فجاءت إلى أبيها الإمام أحمد وقالت له : رأيتك تعظم الشافعي ، وما رأيت له في هذه الليلة صلاةً ولا ذكراً ولا ورداً ؛ وبينما هم في الحديث إذ قام الإمام الشافعي ، فقال له الإمام أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ فقال : مارأيت ليلةً أطيب منها ، ولا أبرك ولا أربح ، فقال : كيف ذلك ؟ فقال الشافعي : لأنني رتبت في هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهري كلها في منافع المسلمين ، ثم ودعه ومضى

فقال الإمام أحمد بن حنبل لابنته : هذا الذي عمل الشافعي الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم

(المغزى) العالم الذي يشتغل بالعلم لينفع الناس أفضل من العابد الذي يعبد ويذكر ، وأن طلب العلم قد يفضل العبادة

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاةً منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي

فقال له ابنه : يا أبت ، أي رجل كان الشافعي حتى تدعوه كل

هذا الدعاء ؟

فقال الإمام أحمد بن حنبل : يا بني ، الشافعي كالشمس للدينا

وكالعافية للبدن ، فانظر يا بني هل من هذين خف ؟

وقال عبد الملك بن عبد الحميد اليموني : كنت عند أحمد بن حنبل

وجرى ذكر الشافعي ، فرأيت أحمد يعظمه وقال : بلغني ، أوقان : يروى

عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على

رأس كل مائة سنة رجلا يقيم لها أمر دينها ، فكان عمر بن عبد العزيز

على رأس المائة الأولى ، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة

الأخرى

مرضه - أقام الشافعي في مصر خمس سنين وتسعة أشهر من ٢٨

شوال سنة ١٩٨ هـ إلى ٢٩ رجب سنة ٢٠٤ هـ يعلم الناس ، ويؤلف كتبه

الجديدة السالفة الذكر ، وينشر مذهبه بين الناس

وفي نهاية هذه المدة أصابه نزف شديد بسبب داء (البواسير) حيث

بلغت به الدرجة أنه إذا ركب الدابة ملأ الدم سراويله والسرج وربما

وصل إلى الحفنين

ولما اشتد به الضعف لازم بيته فزاره تلميذه المزني فوجد أهله

وقد ثقبوا له السرير ووضعوا تحته الطشت ليجمع الدم فيه ، فسأله عن

حاله فقال : أصبحت والله لا أدري أروحي تساق إلى الجنة فأهنتها ،

أوالى النار فأعزبها . ثم رفع بصره الى السماء وقال :
« وما قسا قلبي وضافت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سئما »
« تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما »
وبعد ذلك نظر إلى من حوله من أهله وقال لهم : إذا أنامتُ
فاذهبوا الى اوالى واطلبوا اليه أن يعساني

وفاته - في ليلة الجمعة الأخيرة من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ ، وبعد
العتاء الأخيرة فاضت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية بين يدي
تلميذه الربيع الجيزي

وما انتشر خبر نعيه في مصر إلا وقد عم أهلها الحزن والأسى
وخرجت الناس من بيوتهم يريدون حمله فوق أعناقهم من شدة
هول المصاب

أصبح يوم الجمعة ٣٠ رجب سنة ٢٠٤ هـ ولا حديث للناس إلا طلب
الرحمة والرضوان للراحل الكريم ، وذهب أهله الى اوالى ، وكان
محمد بن السرى بن الحكم ، وطلبوا اليه الحضور لتفسير الإمام الشافعي
كما أوصى . فقال لهم اوالى : هل ترك الإمام ديناً ؟ قالوا : نعم . فأمر
الوالى بسداد ذلك الدين كله ، ثم نظر اليهم وقال لهم : هذا معنى
تفسيرى له (أى براءة ذمته من دينه)

جنازته ودفنه - وبعد صلاة العصر خرجت الجنازة من بيت الشافعي

مختزقة شوارع الفسطاط وأسواقها ، حتى اذا ما وصلت الى درب السباع وهو شارع السيدة نفيسة الآن ، أمرتهم السيدة نفيسة رضي الله عنها بادخال النعش الى بيتها ، فأدخل النعش ، ونزلت هي الى فناء الدار وصلت عليه صلاة الجنازة وقالت : رحم الله الشافعي إنه كان يُحسن الوضوء

واستمرت الجنازة سائرة إلى أن وصلت الى القرافة الصغرى حيث تربة بنى زهرة وهم أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وعرفت بتربة أولاد بن عبد الحكم ، وفيها دفن الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وعرفت بعد دفنه بتربة الشافعي الى وقتنا هذا
تأيينه - ورثي الشافعي خلق كثير يوم وفاته منهم تلميذه المزني حيث قال :

« لقد كان كفوًّا للعداة ، وركنًا لهذا الدين أيما ركن »

وبعد وفاته رثاه أبو بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة المشهورة

بقصيدة عصماء قال فيها :

« تسربل بالتقوى وليدًا وناشئًا وخصَّ بلب الكهل مذ هو يافع »
« فمن يك علم الشافعي أمامه فمرتعه في ساحة العلم واسع »
« سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المدجنات الهوامع »
« لئن فجمتنا الحادثات بشخصه وهن لنا حكن فيه فواجع »
« فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع »

وعاد المشيعون وقد رأوا هلال شعبان وقد بدا في السماء ،
ولازم أهل مصر زيارة قبره رضى الله عنه أربعين يوماً بلياليها ،
وكان الزائر لا يصل الى القبر إلا بشق الأنفس من كثرة الزحام
ولما آل ملك مصر الى صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ أمر
ببناء مدرسة لتدريس مذهب الشافعي بجوار قبره فبنيت (المدرسة
الناصرية ، أو الصلاحية) نسبة الى صلاح الدين ورتبت لها الأساتذة
والمدرسون ، وأوقفت عليها أرض (جزيرة الفيل) وهي منطقة (جزيرة
بدران) بشبرا الآن

ولما مات العزيز عثمان بن صلاح الدين وأمه شمسة دفنا بجوار
تربة الشافعي في سنة ٥٩٥ هـ

نبد من بليغ كلامه نثرا

له رضى الله عنه كلام مشور كثير جداً لو جمع لكان كتاباً على
حدة فلند كر نبدأ منه لاحتوائه على الحكمة والموعظة الحسنة
قال رحمه الله : سياسة الناس أشد من سياسة الدواب
إن للعقل حداً ينتهى اليه ، كما أن للبصر حداً ينتهى اليه
للمروءة أربعة أركان : حسن الخلق ، والسخاء ، والتواضع ، والشكر

لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع : الديانة ، والأمانة ، والصيانة ،
والرزالة

الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مكسبة
للعداوة ، فكن بين المنقبض والمنبسط
ما أكرمت أحداً فوق مقداره إلا اتضع من قدرى عنده بمقدار
ما أكرمته

ما نظر الناس الى من هم دونه إلا بسطوا ألسنتهم فيه
ثلاثة إن أهنتهم أكرموك ، وإن أكرمتهم أهانوك : المرأة ،
والعبد ، والفلاح

من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق كان كمن حضر الطاحون
بغير قمح

أصل كل عداوة الصنيعة الى الأندال
من أحسن ظنه بلثيم كان أدنى عقوبته الحرمان
صحبة من لا يخاف العار عار يوم القيامة
أظلم الظالمين لنفسه ، من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب في مودة من
لا ينفعه ، (وقيل : مدح من لا يعرفه)

طبع ابن آدم على اللؤم ، فمن شأنه أن يتقرب ممن يتباعد عنه ،

ويتباعد ممن يتقرب منه .

من برك فقد أوثقتك ، ومن جفاك فقد طلقك

خير الدنيا والآخرة في خمس خصال : غنى النفس ، وكف الأذى ،

وكسب الحلال ، ونيل التقوى ، والثقة بالله في كل حال

الشفاعات ، زكاة المروءات - أصحاب المروءات في جهود

مثل الذي يطب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب

وفيه فعي تلذغه وهو لا يدري . ليس العلم محفظاً إنما العلم مانع

رتبة العلماء التقوى . وحليتهم حسن الخلق ، وجمالهم كرم النفس

من لا يحب العلم لا خير فيه ، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة

من أظهر شكرك بما أنعمت الله ، فاحذر أن ينكر نعمتك فيما أتيت الله

من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً

ليس سرور يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم يعدل فراقهم

لا تقصر في حق أخيك اعتماداً على مروءته

إنك لا تقدر أن ترضى الناس كلهم ، فأصلح ما بينك وبين الله ،

ثم لا تبال بالناس

من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض

فهو شيطان

التلطف في الخيلة ، أجدى من الوسيلة

لا تشاور من ليس في بيته دقيق

ترك العبادة ذنب مستحدث

ليس من المروءة أن تخبر الرجل بسنه

من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبل قدره ، ومن

كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رق طبعه ، ومن نظر

في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه

من نمّ لك نمّ بك ، ومن نقل اليك نقل عنك ، ومن إذا أرضيته

قال فيك ما ليس فيك كذلك إذا أغضبتك قال فيك ما ليس فيك

ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير؛ ولكن العاقل

من عقله عقله عن كل مذموم

ما أوردتُ الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبتة واعتقدت

مودته ، ولا كابرني على الحق أحد ودفع الحجة إلا سقط من عيني

أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع في خلوة ، وكلمة الحق

عند من يرضى ويخاف

من طلب الرياسة في غير حينها لم يزل في ذل ما بقى

وددت أتى إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يده

تفقه قبل أن ترأس ، فاذا رأست فلا سبيل إلى التفقه

من طلب الرياسة فرّت منه
من سامى بنفسه فوق مايساوى رده الله الى قيمته
أكثر الناس فضلا من لا يرى فضله

نبت من عيون شعره مما ثبت بالأسانيد الجيدة

للشافعي رضى الله عنه شعر كثير فمن ذلك قوله فيما أنشده
البيهقي بسنده :

« لاخير في حشو الكلا م إذا اهتديت الى عبونه »

« والصمت أجمل بالفتى من منطلق في غير حينه »

« وعلى الفتى لطباعه سمة تلوح على جبينه »

وأنشده الرياشي فيما سمعه منه وأسنده البيهقي عن الرياشي :

« المرء يخطئ ثم يعمل ذكره حتى يزين بالذى لم يفعل »

« وترى الشقى إذا تكامل عيبه يشقى وينحل كل مالم يعمل »

وله :

« ومن الشقاوة أن تحبّ ومن تحب يحب غيرك »

« أو أن تريد الخير للإنسان وهو يريد ضيرك »

ذكر المزني أن الشافعي رضى الله عنه أخذ بيده فقال :

« أحب من الإخوان كلّ موات وكل غضيض الطرف عن عثراتي »

« بصاحبني في كل أمر أحبه ويحفظني حياً وبعد وفاتي »
« فمن لي بهذا ليت أتى أصبته فقاسمته مالي مع الحسنات »
وعن المزني أن الشافعي رضي الله عنه أملى عليه :

« وأكثر من الإخوان ما استطعت منهم
بطون إذا استنجذتهم وظهور »

« وليس كثير ألف خيلٍ لعامل
وإن عدواً واحداً لكثير »

وقال رضي الله عنه :

« ثلاثة هن مهلكة الأنام وداعية الصحيح إلى السقام »
« دوام مدامة ودوام وطء وإدخال الطعام على الطعام »

وقال رضي الله عنه :

« إذا لم أجد خلاً تقياً فوحدتني ألد وأشهبى من غوى أعاشره »
« وأجلس وحدى للعبادة آمنة أقر أعينى من سفيه أحاذره »

وقال رضي الله عنه :

« الدهر يومان ذا إمن، وذا خطر والعيش عيشان، ذا صفو، وذا كدر »
« أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ويستقر بأقصى قاعه الدرر »
« وفي السماء نجوم لا عدد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر »

وقال رضى الله عنه :

« العلم مغرس كل فخر فافتخر
« واعلم بأن العلم ليس يناله
« إلا أخو العلم الذى يعنى به
« فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً
« فاعلم يوماً إن حضرت بمجلس
« فقلت يوماً إن حضرت بمجلس
« واحذر يفوتك فخر ذلك المغرس
« من همّة فى مطعم أو ملبس
« فى حالته عارياً أو مكتسباً
« واهجر له طيب الرقاد وعسس
« كنت الرئيس وفخر ذلك المجلس
«

وقال :

« كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي
« وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي
«

وقال رضى الله عنه فى الدعاء وطاب العفو والمغفرة :

« ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي
« تعاضمني ذنبي فما قرنته
« فله در العارف الندب انه
« يقيم إذا ما الليل مدّ ظلاله
« فصيحاً إذا ما كان فى ذكر ربه
« ويدكر أياماً مضت من شبابه
« فصار قرين الهمّ طول نهاره
« يقول حبيبي أنت سؤلى وبغيتي
« جعلت الرجا منى لعفوك سماً
« بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
« تسبح لفرط الوجد أجفانه دماً
« على نفسه من شدة الخوف مأتماً
« وفى ماسواه فى الورى كان معجماً
« وما كان فيها بالجهالة أجراماً
« وينخدم مولاه إذا الليل أظلماً
« كفى بك للراجين سؤلاً ومغتماً
«

« أأست الذى غذيتنى وكفلتنى ولا زلت منانا على ومنعما »
« عسى من له الإحسان يغفر زلتى ويستر أوزارى وما قد تقدما »
وقال رضى الله عنه فى العفة وعدم ارتكاب الزنا :

« عفوا تعف نساؤكم فى المحرم »
« إن الزنا دين فان أقرضته »
« ياهاتكأ حرم الرجال وقاطعأ »
« لو كنت حرأ من سائلة ماجد »
« من يزن يزن به ولو بجداره »
وقال رضى الله عنه فى الصبر والتأسى :

« دء الأيام تفعل ما تشاء »
« ولا تجزع لحادثة الليالى »
« وكن رجلاً على الأهوال جلدأ »
« يغطى بالسماحة كل عيب »
« ولا حزن يدوم ولا سرور »
« ولا تثرى الأعادى قط ذلا »
« ولا ترج السماحة من بنخيل »
« ورزقك ليس ينقصه التأنى »
« إذا ما كنت ذا قلب قنوع »
« وطب نفسأ إذا حكم القضاء »
« فما لحواث الدنيا بقاء »
« وشيمتك السماحة والسخاء »
« وم عيب يغطيه السخاء »
« ولا بأس عليك ولا رخاء »
« فان شماتة الأعدا بلاء »
« فما فى النار للظآن ماء »
« وليس يزيد فى الرزق العناء »
« فأنت ومالك الدنيا سواء »

« ويرزق من يشاء بلا حساب وبحرم من يريد كما يشاء »
« ومن نزلت بسحته شيئاً فلا أرض تقيه ولا سماء »
« وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء »
« دع الأيام تغدر كل حين ولا يغنى عن الموت الدواء »
ونكتفي بذكر هذه لأشعره. ومن أراد الكثرة فليطالع على كتاب
« الجواهر النفيس في أشعر الإمام محمد بن إدريس » للجامعة ومصححه
المرحوم محمد افندي مصطفى أحمد موظفي دار الكتب ووزارة
المعارف سابقاً

مذهب الشافعي رضي الله عنه

جاء في رسالة المرحوم أحمد باشا تيمور الخاصة بالمذاهب الأربعة
ما خلاصته :

يذكر أصحاب الطوائف أن ظهوره (أي مذهب الشافعي) كان
أولاً بمصر وكثير أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق ، وغلب على بغداد ،
وعلى كثير من بلاد خراسان ، والداغستان ، وكان اصطلاح أهل
خراسان إذا أطلقوا (أصحاب الحديث لا يعنون إلا الشافعية) ثم ظهر
بتوران والشام واليمن ، ودخل ماوراء النهر ، وبلاد فارس والحجاز ،
وبعض بلاد الهند ، ودخل شىء منه أفريقيا والأندلس بعد سنة ٣٠٠ هـ

والغالب على اهل مصر في عصرنا هذا هو مذهب الشافعي رضي
الله عنه ، وقد كان الحكم لأصحاب الشافعي في أزمان كثيرة بمصر ،
ولم يفقده صقل الدولة لمذهب أبي حنيفة بالحكم قيمته في غلبته على
المسلمين في مصر تعبدًا وتقليدًا في المعاملات

وكانت مشيخة الأزهر الشريف محصورة في علمائه منذ عام ١١٣٧ هـ
إلى أن تولاهم من الحنفية المرحوم الشيخ محمد المهدي العباسي سنة ١٢٨٧
مضافة الى الافتاء

ولم تنحصر بعد ذلك في مذهب من المذاهب إذ تولاهم حنفية
ومالكية ولم يتولها حنبلي لقلة عدد الحنابلة بمصر

وقد عادت الآن الى الشافعية مذ تولاهم الاستاذ الأ كبر شيخ
الجامع الأزهر الحالي الشيخ محمد الأحمدى الظواهري حفظه الله
ونفع به المسلمين

٤ - الامام احمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه

مولده وأصله وكنيته - ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ في ربيع الأول ،
وحجى به حملاً من (مرو) وتوفي أبوه وله ثلاثون سنة ، فوليته أمه فلم
يربه أبوه ، لأنه تركه طفلاً ، وأصله من (مرو) من أهل (خراسان)
ويكنى : أبا عبد الله سدوسي

نسبه - هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال
ابن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن
عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ربيعة بن نزار ،
ويتصل نسبه بسيدنا اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، ويجتمع
نسبه والنبي صلى الله عليه وسلم في نزار ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم
مضري من ولد مضر بن نزار ، وكل قريش من مضر

نشأته - نشأ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ببغداد يتيمًا وطلب
العلم والحديث بها من شيوخها ثم رحل بعد ذلك في طلب العلم الى البلاد
قال المروزي : قال لي أبو سراج بن خزيمة : كنا مع أبي عبد الله في
الكتاب فكان النساء يبعثن إلى المعلم ابعث الينا با بن حنبل ليكتب
جواب كتبهم ، فكان إذا دخل اليهن لا يرفع رأسه ولا ينظر اليهن

قال أبو سراج : فقال أبي وذكره ، فجعل يعجب من أدبه وحسن
طريقته

فقال لنا ذات يوم : أنا أنفق على أولادى وأجيتهم بالموذيين على أن
يتأدبوا فما أراهم يفلحون ، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم انظر كيف
يخرج ؟ وجعل يعجب

قال أبو بكر المروزي : وقال لى أبو عبد الله : كنت وأنا غلام
أختلف الى الكتاب ثم اختلفت الى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة

طلبه للعلم ورحلاته اليه

ابتداً أحمد رضى الله عنه فى طلب العلم من شيوخ بغداد ثم رحل
الى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكتب
عن علماء كل بلد

وأول من كتب عنه الحديث أبو يوسف وكان عمره ست عشرة
سنة فى سنة تسع وسبعين ومائة وهى السنة التى مات فيها الإمام مالك.
ابن أنس رحمه الله

وكان رضى الله عنه لا ينقطع عن طلب العلم ، وروى : أنه رآه رجل
ومعه المحبرة فقال له : يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت
إمام المسلمين . فقال : مع المحبرة الى المقبرة

وكان يقول : أنا أطلب العلم الى أن أدخل القبر ، وهذا يتفق مع

القول المشهور : اطلب العلم من المهد الى اللحد

وقال محمد بن اسماعيل الصائغ : كنت في إحدى رحلاتي ببغداد
فمررت بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ونعلاه في يده ، فأخذ أبي بجامع ثوبه
فقال : يا أبا عبد الله ألا تستحي إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان ؟
فقال : إلى الموت

تأديبه عند مشايخه إحتراماً للعلم

حدث اسماعيل الديلمي عن عمرو الناقد قال : كنا عند وكيع وجاء
أحمد بن حنبل فقعده وجعل يصف من تواضعه بين يديه . فقال عمرو :
فقلت : يا أبا عبد الله إن الشيخ يكرمك فما لك لا تتكلم ؟ قال : وإن
كان يكرمني فينبغي لي أن أجله

قال خلف : جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة فاجتهدت
أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع
لمن نتعلم منه

إقباله على العلم واشتغاله به

كان رضى الله عنه شديد الإقبال على العلم ، سافر في طلبه السفر البعيد ، وتوفر على تحصيله الزمان الطويل ، ولم يتشاغل بكسب ولا زواج حتى بلغ منه ما أراد . وقيل : انه لم يتزوج إلا بعد الأربعين سنة حتى لا يتشاغل عن العلم ، فبلغ منه ما أراد . كان علم الدنيا كأنه بين عينيه ، جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ماشاء ويمسك ماشاء .

كثرة حفظه للحديث

وقال ابن رجاء : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبا زرعة يقول : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقبل له : وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب وقيل لأبي زرعة : أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل ؟ قال : بل أحمد ابن حنبل . قيل : وكيف علمت ذلك ؟ قال : وجدت كتب أحمد ابن حنبل ليس في أوائل الأجزاء أسماء المحدثين الذين سمع منهم فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه وأنا لا أقدر على هذا وقيل أيضاً لأبي زرعة : من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟

قال : أحمد بن حنبل حرر كتبه اليوم الذي مات فيه قبلت اثني عشر
جملًا وعدلاً : ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا في بطنه
حدثنا فلان ، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه
ولذا كان إمام المحدثين في عصره

ويقول أحمد بن سعيد الرازي : مارأيت أسود الرأس أحفظ
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي
عبد الله أحمد بن حنبل

رحلته في طلب الحديث

بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلاً في بلد بعيد عنه ، يروي أحاديث
ثلاثية ، أي يحفظ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينقله الى
من يريد

وكان الإمام أحمد يرغب في ذلك كثيراً فرحل إلى هذا الرجل
حتى أتى إليه فوجده يطعم كلباً . فسلم عليه الإمام أحمد رضي الله عنه
فرد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب ولم يقبل على الإمام أحمد ،
أي لم يلتفت إليه أو يكلمه ، فوجد الإمام أحمد في نفسه شيئاً ؛ لأن
الرجل أقبل على الكلب ولم يلتفت إليه ، وهذا بالطبع يكدر
الإنسان وبعيظه

فلما فرغ الرجل من طعمة الكلب ، التفت الى الإمام وقال :
لعلك وجدت في نفسك إذ أقيت على الكلب
قال الإمام أحمد : نعم . فقال الرجل : حدثني أبو الزناد عن
الأعرج ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « من قطع رجاء من ارتجاءه قطع الله رجاءه يوم القيامة ، فلن
يلج الجنة »

ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدنى هذا
الكلب فحفت أن أقطع رجاءه ، فقال الإمام أحمد : يكفينى هذا
الحديث ، ثم رجع

ثناء مشايخه عليه

لما كانت علامات الذكاء فى المرء تظهر فى صباه ، وتلمح فى بدء أمره
ومنتهاه ، فقد كانت آيات العلم والتقى تظهر على الإمام أحمد بن حنبل
فى بدايته ، ولذلك أثنى عليه مشايخه وقدموه . فمن أثنى عليه من
مشايخه (يزيد بن هارون)

قال أحمد بن شيبان : مارأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيماً
منه لأحمد بن حنبل ، ولا رأيت أكرم أحداً إكرامه لأحمد بن
حنبل ، وكان يقعده إلى جنبه إذا حدثنا

وكان يوقر أحمد بن حنبل ولا يمازحه ، ومرض مرة أحمد بن حنبل فركب اليه يزيد بن هارون وعاده

قال خلف بن سالم : كنا في مجلس يزيد بن هارون فمزح يزيد مع مستمليه فتحنح أحمد بن حنبل فضرب يزيد يده على خده وقال : ألا أعلمتموني أن أحمد ههنا حتى لا أمزح ؟

ومنهم (اسماعيل بن عليه) قال أبو بكر بن أبي عون ومحمد بن هشام : رأينا اسماعيل بن عليه إذا أقيمت الصلاة قال : ههنا أحمد بن حنبل قولوا له يتقدم

قيل : كان جماعة عند اسماعيل بن عليه وتكلم إنسان فضحك بعضنا ؛ وثم أحمد بن حنبل ، قيل : فأتينا اسماعيل فوجدناه غضبان . فقال : أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل ؟ (وغيرها كثيرون وهم مذكورون في كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي)

ثناء نظرائه وأقرانه ومقاربيه في السن عليه

فمنهم (١) محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه كان يقول : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أروع ولا أتقى ولا أقمه ولا أعلم من أحمد بن حنبل

ومن المروى من شعر الإمام الشافعي :

« قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله »

« إن زارني فبفضله أو زرته فلفضله فالفضل في الحالين له »

(٢) أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى كان يقول :

مادمت بالحجاز، وأحمد بالعراق، واسحق بخراسان، لا يغلبنا أحد

(٣) ابن أبي أويس كان يقول - حينما قال بعضهم عنده : ذهب

أصحاب الحديث - أتقى الله أحمد بن حنبل فلم يذهب أصحاب الحديث

(٤) على بن المدينى - وذكر عنده أحمد بن حنبل - فقال :

حفظ الله أبا عبد الله ؛ أبو عبد الله اليوم حجة الله على خلقه

وكان يقول أيضاً : إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين ليس

لها ثالث : أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة

وكان يقول : ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما قام أحمد بن حنبل ، فليل له يا أبا الحسن ، ولا أبو بكر

الصديق ؛ قال : ولا أبو بكر الصديق ؛ ان أبا بكر الصديق كان له

أعوان وأصحاب ، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب

وغيرهم كثيرون مذكورون في الكتاب السالف الذكر

ثناء كبار أتباعه عليه بما عرفوه منه في صحبته

فمنهم (١) أبو داود السجستاني ، كان يقول : لقيت مائتين من مشايخ العلم ، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس ، فإذا ذكر العلم تكلم

(٢) عبد الوهب الوراق كان يقول : أبو عبد الله إمامنا وهو من الراسخين في العلم ، إذا وقفت غداً بين يدي الله عز وجل فسألني بمن اقتديت ؟ أقول : بأحمد ، وأي شيء ذهب علي أبي عبد الله من أمر الإسلام وقد بلى عشرين سنة في هذا الأمر ؟

وكان يقول أيضاً : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل . قالوا له : وأي شيء بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت ؟ قال : رجل سئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قال : حدثنا وأخبرنا

مصنفاته

كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه لا يرى وضع الكتب ، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله ، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة. ولنقلت عنه كتب عديدة

فكانت تصانيفه المنقولات هي : المسند وهو ثلاثون

ألف حديث ، وكان يقول لابنه عبد الله : احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إماماً

والتفسير ، وهو مائة ألف وعشرون ألفاً ، والناسخ والمنسوخ ،
والتاريخ ، وحديث شعبة ، والمقدم والمؤخر في القرآن ، وجوابات
القرآن ، والمناسك الكبير والصغير وأشياء أخر

مناقبه

زهده - كان رضى الله عنه زاهداً في الدنيا . قال سليمان بن الأشعث :
مارأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط ، وكان إذا جاع أخذ الكسرة
اليابسة فففضها من الغبار ، ثم صب عليها الماء في قصعة حتى تبل ثم
يأكلها بالملح

وكانوا في بعض الأوقات يطبخون له في فخارة عدساً وشحمًا
وكان أكثر إدامه الخل

وقال اسحق بن هانىء النيسابورى . قال لى أبو عبد الله : بكر يوماً حتى
تعارضنى بشىء من الزهد ، فبكرت اليه ، وقلت لأم ولده : أعطنى حصيراً
ومخدة ، فبسطته فى الدهليز ، فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمخبرة ،
فنظر الى الحصير والمخدة ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : لتجلس عليه

فقال : ارفعه ، الزهد لا يحسن إلا بالزهد ، فرفعته وجلس على التراب

وقال أبو جعفر القطان ويعرف بابن أبي القدور : كان أيام الغلاء
يحيتني أبو عبد الله بغزل ويستره لأبيعه ، فكنت ربما بعته بدرهم
ونصف ، وربما بعته بدرهمين ، فتخلف يوماً فلما جاء قلت له : يا أبا
عبد الله لم تجيء أمس ؟ فقال :

أم صالح اعتت ، ودفع إليّ غزلاً فبعته بأربعة دراهم ، فجئت بها
فأنكر ذلك وقال : لعلك زدت فيه من عندك ؟ قلت : لا ، ما زدت
فيه من عندي ، كان غزلاً دقيقاً

وقيل : تعرت أمه من الثياب ، فجاءته زكاة فردّها وقال : العرى
لهم خير من أوساخ الدنيا ، وأنها أيام قلائل ثم ترحل من هذه الدار
وقال صالح بن أحمد : قال أبي : كانت والدتك في الغلاء تغزل
غزلاً دقيقاً فتبيع الاستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا
وقال صالح أيضاً : وكنا ربما اشترينا الشيء فنستره عنه كيلا يراه
فيوبخنا على ذلك

وقال أبو بكر المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : أسرّ أيامي إلى
يوم أصبح وليس عندي شيء

كلامه في الزهد

قال أبو حفص الطرسوسي : ذهبت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل

فسأته ، وكان معه أصحابه ، فقلت : رحمتك الله يا أبا عبد الله ، بسم
تلين القلوب :

فنظر الى أصحابه فغمزهم بعينه ، ثم أطرق ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :
يا نبيَّ بأكل الحلال

فهررت الى أبي نصر بشر بن الحارث فقلت له : يا أبا نصر بسم
تلين القلوب :

فقال : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

فقلت : إني جئت من عند أبي عبد الله ، فقال : أى شيء قال
لك أبو عبد الله ؟

قلت : قال بأكل الحلال . قال : جاء بالأصل ، جاء بالأصل

فهررت الى عبد الوهاب الوراق فقلت : يا أبا الحسن ، بسم تلين
القلوب ؟ قال :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

قلت : فإني جئت من عند أبي عبد الله ، فاحمرت وجنتاه من
الفرح وقال لى : أى شيء ، قال أبو عبد الله ؟ فقلت : قال بأكل
الحلال . فقال : جاءك بالجواهر ، جاءك بالأصل كما قال
الأصل كما قال

قال أبو بكر المروزي أنه سمع أبا عبد الله يقول : بأنفس انصبي
وإلا فستحزنين

وكان يقول أيضا : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول :
ما أعدل بفضل الفقر شيئا ، تدرى إذا سألك أهلك حاجة لا تقدر عليها
أى شيء لك من الأجر ؟

وقال أبو سهل بن زياد : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل
يقول : سئل أحمد عن الفتوة فقال : ترك ما تهوى لما تخشى

وقال علي بن المديني : ودعت أحمد بن حنبل فقلت له : توصيني
بشيء ؟ قال : نعم : (اجعل التقوى زادك ، وانصب الآخرة أمامك)

وقال عيسى الوراق : سمعت يحيى الجلا يقول : سمعت أحمد
ابن حنبل يقول : « عزيز عليّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت
صدورهم القرآن »

وقال عبد الله بن أحمد : قلت لأبي بومًا أوصني يا أباي . فقال :
« يا بني انو الخير فانك لاتزال بخير مانويت الخير »

وقال أبو بكر المروزي : سمعت أحمد بن حنبل - وسئل بمّ يباغ
القول حتى مدحوا ؟ قال : بالصدق

ورعه

كان رضى الله عنه ورعاً لا يقبل أن يأخذ من أحد شيئاً
قال اسحق بن موسى الأنصارى : دفع المأمون مالاً وقال لى :
اقسمه على أصحاب الحديث، فان فيهم ضعفاء ، فما بقى منهم أحد إلا
أخذ إلا أحمد بن حنبل فانه أبى

قال أحمد بن القاسم الطوسى : كان أحمد بن حنبل إذا نظر إلى
نصرانى غمض عينيه ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : لا أقدر أن أنظر الى
من افترى على الله وكذب عليه

قال ابراهيم الحربى : لزم أحمد بن حنبل سنتين فكان إذا
خرج يحدثنا معه محبرة مجلدة بجلد أحمر وقلماً فاذا مرّ به سقط أو خطأ
فى كتابه أصلحه بقلمه من محبرته ، يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا
شيئاً ، وكنا نقول لأحمد فى الشئ يحفظه فيقول : لا ، إلا من كتاب

تمسكه بالسنة والأثر

كان رضى الله عنه شديد التمسك بالسنة واتباع الآثار . قال الحسن
ابن أيوب البغدادى :

قيل : لأبى عبد الله أحمد بن حنبل أحياءك الله يا أبا عبد الله على

الإسلام . قال : والسنة

وقال عبد الملك اليموني : مارأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل ،
وما رأيت أحداً من المحدثين أشد تعظيماً لحرمان الله عز وجل وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم إذا صحت عنده ولا أشد اتباعاً منه

تعظيمه لأهل السنة والنقل

قال صالح بن أحمد بن حنبل . سمعت أبي يقول : من عظم
أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن
حقرهم سقط من عين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن أصحاب
الحديث أحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أبو بكر المروزي : قلت لأبي عبد الله : من مات على الإسلام
والسنة مات على خير

فقال لي : اسكت من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله
وقد كان الإمام أحمد بن حنبل لشدة تمسكه بالسنة ، ونهيه عن
البدعة ، يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة
وكلامه ذلك محمول على النصيحة

إعراضه عن المناصب

قال إبراهيم المزني : قال الشافعي : لما دخلت على هارون الرشيد قلت له بعد المحاطبة : إني خلفت ضائعة تحتاج إلى حاكم فقال : انظر رجلاً من مجلس اليك حتى توليه قضاءها ، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم أقبل عليه فقال : إني كنت أمير المؤمنين أن يولى قاضياً باليمن ، وأنه أمرني أن أختار رجلاً ممن يختلف إلى ، وإني قد اخترتك فتها حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليكَ قضاء اليمن ؟ فأقبل عليه أحمد وقال :

إنما جئت اليك لأقبس منك العلم ، تأمرني أن أدخلهم في القضاء ؛ ووبخه ، فاستحيا الشافعي

وقال ابن الجوزي رحمه الله : وقد روي لنا أن هذا كان في

زمان الأمين

تواضعه

كان رضى الله عنه متواضعاً جداً ويحمل حاجته بيده
قال صالح : كان أبي ربما أخذ القدوم وخرج إلى دار السكان
يعمل الشيء بيده ، وربما خرج إلى البقال فيشتري الجزرة الحطب
والشيء فيحمله بيده

وقيل لأبي عبد الله : جزاك الله عن الإسلام خيراً . فقال :
لا ؛ بل جزى الله الإسلام عنى خيراً ، ثم قال : ومَن أنا ؟
ودُفع إلى أبي عبد الله كتاب من رجل يسأله أن يدعو الله له .
فقال : فإذا دعونا بهذا نحن فَمَن يدعو لنا ؟

وقال محمد بن أحمد بن واصل . سمعت أبا عبد الله غير مرة يقول :
مَن أنا حتى تجيئون إلى ؟ مَن أنا حتى تجيئون إلى ، اذهبوا اطلبوا
الحديث

وقيل لأبي عبد الله : ما أكثر الداعين لك ؟ فتغرغرت عيناه وقال :
أخاف أن يكون هذا استدراجاً ، أسأل الله أن يجعلنا خيراً مما
يظنون ، ويفقر لنا ما لا يعلمون

قيل لأبي عبد الله : ان بعض المحدثين قال لي : أبو عبد الله لم
يزهد في الدراهم وحدها ؛ بل قد زهد في الناس . فقال أبو عبد الله : ومَن
أنا حتى أزهد في الناس ؟ الناس يريدون أن يزهدوا فيَّ

حبه للفقير والفقراء

قال أبو بكر المروزي : كان أبو عبد الله يحب الفقراء ، لم أر الفقير في
مجلس أحد أعز منه في مجلسه

وقال أيضاً : قال لي أبو عبد الله، وذكر رجلاً فقيراً مريضاً، فقال لي :
اذهب إليه وقل له : أي شيء تشتهي حتى نعمل لك ؟ ودفع إليّ
طيباً وقال لي : طيبه

وقال أبو بكر المروزي : قال أبو عبد الله، أحمد بن حنبل : ما أعدل
بالفقر شيئاً ، ما أعدل بالفقر شيئاً، أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء
وذكرت له رجلاً صبوراً على الفقر في أطار ، وكان يسألني عنه
ويقول : اذهب حتى تأتيني بخبره ، سبحان الله الصبر على الفقر ،
الصبر على الفقر ، ما أعدل بالصبر على الفقر شيئاً ، أتدرى الصبر على
الفقر أي شيء هو ؟ وقال : كم بين من يُعطى من الدنيا ليفتن إلى آخر
تزوى عنه

إيثاره العزلة والوحدة

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي أصبر الناس على الوحدة ،
لم يره أحد إلا في مسجد ، أو تشيع جنازة ، أو عيادة مريض ،
وكان يكره المشي في الأسواق ، وكان إذا مشى في الطريق لا يمكن
أحداً أن يمشي معه

وقال أبو بكر المروزي . قال لي أبو عبد الله : ما أبالي ألا يراني أحد
ولا أراه . وقال : رأيت الخلوة أروح لقلبي

تقواه وخوفه من الله

قال صالح بن أحمد بن حنبل : كان أبي إذا دعا له رجل يقول :
الأعمال بخواتيمها ، وكنت أسمعه كثيراً يقول : اللهم سلم سلم
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبي يقول : وددت إني
نجوت من هذا الأمر كفافاً لا على ولا لى
وقال المروزي : سمعت أبا عبد الله يقول : الخوف يمنعني من أكل
الطعم والشراب فما أشتهيه

وقال المروزي : دخلت على أحمد يوماً فقلت : كيف أصبحت ؟
فقال : كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض ، ونبيه يطالبه
بأداء السنة ، والملاك يطالبه بتصحيح العمل ، ونفسه تطالبه بهواها ،
وإبليس يطالبه بالفحشاء ، وملاك الموت يطالبه بقبض روحه ، وعياله
يطالبونه بالنفقة ؟

وكان رضى الله عنه يضرب به المثل فى اتباع السنة واحتساب البدعة

تعبده

قال صالح بن أحمد : كان أبى لا يدع أحداً يستقى له الماء لوضوئه
إلا هو ، وكان إذا أخرجت الدلو ملأى قال : الحمد لله . قلت : يا أبى

ما الفائدة في هذا ؟ فقال : يا بني أما سمعت قول الله عز وجل ؟

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة

ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلي كل

يوم وليلة مائة وخمسين ركعة ، وقد كان قرب من الثمانين ، وكان يقرأ

كل يوم سُبْعًا ، يختم في كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة في كل سبع

ليال سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلي العشاء الأخيرة ينام نومة

خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو

قال هلال بن العلاء : خرج الشافعي ، ويحيى بن معين ، وأحمد بن

حنبل إلى مكة ، فلما أن صاروا بمكة نزلوا في موضع ، فأما الشافعي فإنه

استلقى ، ويحيى بن معين أيضاً استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلي ،

فلما أصبحوا قال الشافعي : لقد عمات للمسلمين مائتي مسألة : وقيل

ليحيى بن معين ، أي شيء عملت ؟ قال : نفيت عن النبي صلى الله

عليه وسلم مائتي كذبة ، وقيل لأحمد بن حنبل : فأنت . قال :

صليت ركعات ختمت فيها القرآن

وقال صالح بن أحمد : كانت لأبي قلنسوة قد خاطها يده فيها قطن ،

فاذا قام من الليل لبسها وكنت أسمع أبي كثيراً يتلو سورة الكهف

حكى إبراهيم بن هاني أنه لم يرَ أحداً أقوى على الزهد والعبادة
وجهد النفس من أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، كان يصوم النهار ،
ويعجل الافطار ، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات ثم ينام نومة
خفيفة ، ثم يقوم فيستطهر ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر ، ثم يوتر بركعة ،
وكان هذا دأبه طول مقامه عندي ، ما رأيته فتر ليلة واحدة ، وكنت
لأقوى معه على العبادة ، وما رأيته مفطراً إلا يوماً واحداً أفطر واحتجم
وكان رضى الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على تمر
وسويق (الناعم من اللقيق)

قال عبد الله بن أحمد : رأيت أبي لما كبر وأسن اجتهد في قراءة
القرآن وكثرة الصلاة بين الظهر والعصر ، فإذا دخلت عليه انقلبت
من الصلاة وربما تكلم وربما سكت ، فإذا رأيت ذلك خرجت فيعود
لصلاته ، ورأيت أنه وهو مختلف أكثر ذلك يقرأ القرآن

عدد حجته - وقال عبد الله بن أحمد : حجج أبي خمس حججات :

ثلاث حجج ماشياً ، واثنين راكباً ، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهماً

وقال صالح بن أحمد ، سمعت أبي يقول : حججت خمس حجج :

منها ثلاثة راجلاً ، وأنفقت في أحد هذه الحجج ثلاثين درهماً

دعاؤه ومناجاته

قال عبد الله بن أحمد : كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دبر صلاته :
« اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن
المسألة لغيرك »

قلت : أسمعك تكثير من هذا الدعاء فعندك فيه أثر ؟
فقال لي : نعم ، كنت أسمع وكيع بن الجراح كثيراً يقول هذا في
سجوده ، وكنت أسمع سفيان الثوري يقول هذا كثيراً في سجوده ،
وكنت أسمع منصور بن المعتمر يقوله
ومن دعائه : اللهم من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه
على الحق ، وليس هو على الحق ، فرده الى الحق حتى لا يضل من
هذه الأمة أحد ؛ اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به ، ولا تجعلنا
في رزقك حولاً لغيرك ، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، ولا ترنا
حيث نهيتنا ، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا ، أعزنا ولا تذلنا ، أعزنا
بالطاعة ، ولا تذلنا بالمعاصي

جاء الى الإمام أحمد بن حنبل رجل فقال له شيئاً ، فقال له : اصبر
فان النصر مع الصبر ؛ ثم قال : سمعت عفان بن مسلم يقول : حدثنا
همام بن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : النصر

مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا
ومن دعائه أن قال : اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات
والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ اللهم وفقنا
لمرضاتك ، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ونعوذ بك من الذل
إلا لك ، اللهم لا تكثر علينا فنظني ، ولا تقل علينا فننسى ، وهب
لنا من رحمتك ، وسعة من رزقك ، ما يكون بلاغاً لنا ، وغنى من فضلك

هيئته

قال محمد بن مسلم : كنا نهاب أن نرد أحمد بن حنبل في الشيء ،
أو نواجهه في شيء من الأشياء ، يعني لجلالته وهيبة الإسلام الذي رزقها
وقال أبو بكر المروزي : قال الحسن بن أحمد - والى الجسر - وكان
في جوارنا : دخلت على اسحق بن ابراهيم وفلان وفلان - ذكر
السلطين - مارأيت أهيب من أحمد بن حنبل ، صرت إليه أكله في
شيء فووقت على الرعدة حين رأيت من هيئته

وقال أبو عبد القاسم بن سلام : جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن
ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي فما هبت أحداً منهم ما هبت
أحمد بن حنبل ، ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه فسألني رجل
عن مسألة فلم أجبه هيبة له

نظافته وطهارته

قال عبد الملك بن عبد الحميد الميموني : ما أعلم أتى رأيت أحداً
أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه في شارب به وشعر رأسه وشعر بدنه ،
ولا أتقى ثوباً ، وشدة يياض من أحمد بن حنبل

سهولة أخلاقه وحسن معاشرته

حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي البخاري قال : سمعت
محمد بن ابراهيم البوسنجي قال : مارأيت أحداً في عصر أحمد ممن
رأيت أجمع منه ديانةً وصيانةً وملاكاً لنفسه ، وطلقاً لها وفقهاً وعلماً ،
وأدب نفس ، وكرم خلق ، وثبات قلب ، وكرم مجالسة ، وأبعد من
التحادث . قال الحسين بن المنادي : سمعت جدي يقول : كان أحمد
ابن حنبل من أحيي الناس ، وأكرمهم نفساً ، وأحسنهم عشرة وأدباً ،
كثير الإطراق والفض ، معرضاً عن القبيح واللغو ، لا يسمع منه إلا
المذاكرة بالحديث ، وذكر الصالحين والزهاد في وقار وسكون وانفظ
حسن ، وإذا لقيه انسان بشاً به ، وأقبل عليه ، وكان يتواضع للشيخ
تواضعاً شديداً ، وكانوا يكرمونه ويعظمونه

قال عبد الله بن أحمد : كان أبي إذا دخل من المسجد إلى البيت

بضرب برجله قبل أن يدخل الدار حتى يسمع ضرب نعله لدخوله الى الدار ، وربما تنحج ليعلم من في الدار بدخوله

قال أبو بكر المروزي: كان أبو عبد الله لا يجهل ، وإن جهل عليه احتمال وحلم ويقول : « كفى بالله حسيبا » ولم يكن بالحقود ولا العجول . ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة فكانوا يجيئون الى أبي عبد الله فلا يظهر لهم ميله مع عمه . ولا يغضب لعمه ، ويتلقاهم بما يعرفون من الكرامة وكان كثير التواضع ، يحب الفقراء ، لم أرَ الفقير في مجلس أعز منه في مجلسه ، مائلا اليهم ، مقصراً عن أهل الدنيا ، تعلوه السكنينة والوقار ، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل ، وإذا خرج الى مسجده لم يتصدر ، يقعد حيث انتهى به المجلس

وكان لا يمد قدمه في المجلس ، ويكرم جلسيه ، وكان حسن الخلق ، دائم البشر ، ابن الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، وكان يحب في الله ، ويفض في الله ، وكان إذا أحب رجلاً أحب له ما يحب لنفسه ، وكره له ما يكره لنفسه ، ولم يمنعه حبه إياه أن يأخذ على يديه ، ويكفه عن ظلم أو اثم أو مكروه إن كان منه ؛ وكان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله ، وكان رجلاً فطناً إذا كان شيء لا يرضاه اضطرب لذلك ، يغضب لله ، ولا يغضب لنفسه ، ولا

ينتصر لها، فاذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه حتى كأنه ليس هو، لاتأخذه في الله لومة لائم، وكان حسن الجوار يؤذى فيصبر، ويحتمل الأذى من الجار

ولقد أخبرني بعض جيرانه ممن بينه وبينه حائط قال : كان لي برج فيه حمام ، وكان يشرف على أبي عبد الله ، فكنت أصد وأنا غلام أشرف عليه ، فمكث على ذلك ضابراً لا ينهاني ، فبينما أنا يوماً إذ صعد عني فنظر الى البرج مشرفاً على أبي عبد الله فقال :

وبحك ! أما تستحي أن تؤذى أبا عبد الله ؟ قلت له : فانه لم يقل لي شيئاً

قال : فلست أبرح حتى تهب لي هذه الطيور ، فابرح حتى وهبتها له فذبحها وهدم البرج

وقال ابراهيم الحربى : كان أحمد رضى الله عنه يأتى العرس ، والأملآك ، والختان ، يجيب ويأكل

حامه وعفوه

قال ابراهيم الحربى : كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وفق للأدب ، وسدد بالحلم ، وملىء بالعلم ، أتاه رجل يوماً فقال له : عندك كتاب زندقة ؟ فسكت ساعة ثم قال له : إنما يحرز المؤمن قبره

وقال إبراهيم : كنا يوماً عند داود بن عمر فقال له داود : يا أبا عبد الله كيف أكلت ؟ كيف نومك ؟ فقال أحمد : ليس أنا بخصور ، ولا روحاني ، ولم يزده على هذا

وقال ابن هاني : كنت عند أحمد بن حنبل فقال له رجل : يا أبا عبد الله قد اغتبتك فاجعاني في حل . قال : أنت في حل ان لم تعد . فقالت له : تجعله في حل وقد اغتبتك ؟ قال : ألم ترني اشترطت عليه ؟

ماله ومعاشه

كان أحمد رضي الله عنه قد خاف له أبوه طرزاً (ثوباً) وداراً يسكنها ، وكان يكره تلك الطرز ويتعفف بكرائها عن الناس . وقال محمد بن عبد الله : قال لي أحمد بن حنبل : أنا أزرع هذه الدار التي أسكنها وأخرج الزكاة عنها في كل سنة . وقال أحمد بن جعفر : سألت رجلاً من حنبل عن العقار الذي كان يستغله ويسكن داراً منه كيف سبيله عنده ؟ فقال له : هذا شيء قد ورثته عن أبي ، فان جاءني أحد فصحيح أنه له خرجت عنه ودفعته إليه

تعفقه عن أموال الناس

قيل : أنه لما خرج أحمد بن حنبل الى عبد الرزاق انقطعت به النفقة فأكرى نفسه من بعض الجمالين الى أن وافى صنعاء ، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواصلة فلم يقبل من أحد شيئاً

وقال عبد الرزاق : قدم علينا أحمد بن حنبل هاهنا فأقام سنتين إلا قليلا فقلت له : يا أبا عبد الله خذ هذا الشيء فانتفع به فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب

فقال أحمد : أنا بخير ولم يقبل منه

وقيل : أنه رهن نعله عند خباز على طعام أخذ منه عند خروجه من اليمن وأكرى نفسه من ناس من الجمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها

وقال حمدان بن سنان الواسطي : قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة فنقدت نفقاتهم فبررتهم فأخذوا ، وجاءني أحمد بن حنبل بفروة فقال : قل لمن يبيع هذه ويجيئني بثمنها فأتسع به . قال : فأخذت صرة دراهم فضيت بها اليه ، فردها . فقالت امرأتي هذا رجل صالح ، لعله لم يرضها فأضعفها ، فأضعفتها فلم يقبل ، وأخذ الفروة مني وخرج

قيل : أن رجلا كان رقيقاً لأبي عبد الله أحمد بن حنبل بواسطة علي

باب يزيد بن هارون ، فجاهه أبو عبد الله بحجة يبيعها في شدة البرد قال :
فلم أزل به حتى صرفته عن بيعها ، ثم صرت الى يزيد بن هارون فقلت :
يا أبا خالد إن أحمد بن حنبل جاءني بحجة لأبيعها له في هذا البرد .
فقال لجاريته : زني مائة درهم وهاتيها ، فدفعتها اليّ وقال : ادفعها اليه .
فجئت بها اليه . فقلت : هذه بعثها أبو خالد . فقال : انى نحتاج اليها ،
وانى لابن سبيل ؛ ولكن لا أحب أن أعود نفسي هذا ، ردها عليه ،
فرددتها اليه . فدفعت اليّ جيبته فبعتها له

قال على بن الجهم بن بدر : كان لنا جار فأخرج لنا كتاباً فقال :
أتعرفون هذا الخط ؟ قلنا : نعم . هذا خط أحمد بن حنبل ، كيف
كتب لك ؟

قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل
أياماً لم نره ، ثم جئنا اليه لنسأل عنه . فقال لنا أهل الدار التي هو فيها :
هو في ذلك البيت ، فجئنا اليه والباب مردود عليه واذا عليه خلقان ؟
(ثياب ممزقة) فقلنا له : يا أبا عبد الله ما خبرك لم ترك منذ أيام ؟ فقال
سرق ثيابي . فقلت له : معى دنائير فان شئت خذ قرصاً ، وإن شئت
صلة فأبى أن يفعل ، فقلت : تكتب لى بأجرة ؟ قال : نعم ، فأخرجت
ديناراً ، فأبى أن يأخذه ، وقال : أشتري لى ثوباً وأقطعه نصفين ،
فأومى اليّ انه يأتزر بنصف ، ويرتدى بالنصف الآخر . وقال : جئني

ببقيته ، ففعلت ، وجئت بورق فكتب لي ، فهذا خطه

قال موسى بن حماد البربري : حمل الى الحسن بن عبد العزيز الجروى ميراثه من مصر مائة ألف دينار ، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار ، فقال : يا أبا عبد الله هذه من ميراث حلال ، خذها فاستعن بها على عائلتك . قال : لا حاجة لي فيها ؛ أنا في كفاية ، فردها ولم يقبل منه شيئاً

كرمه وجوده

كان أبو عبد الله كريماً ، يعجبه السخاء والجود ، فما يؤثر عنه : أن أبا سعيد بن أبي حنيفة المؤدب قال لعبد الله بن أحمد بن حنبل : كنت آتى أباك فرجماً أعطاني الشيء وقال : أعطيتك نصف ما عندنا ، فجئت يوماً فأطلت القعود ، فخرج ومعه أربعة أرغفة فقال : يا أبا سعيد هذا نصف ما عندنا . فقلت : يا أبا عبد الله هذه الأربعة الأرغفة أحبُّ إلى من أربعة آلاف من غيرك

وقال يحيى بن هلال الوراق : جئت مرة الى أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فأخرج إلى أربعة دراهم وقال : هذه جميع ما أملك وقال هارون المستملي : لقيت أحمد بن حنبل فقلت له : ما عندنا شيء ، فأعطاني خمسة دراهم وقال : ما عندنا غيرها

وقال أبو بكر المروزي : كان أبو عبد الله ربما واسى من قوته ،
وجاءه أبو سعيد الضرير فشكا اليه . فقال له : يا أبا سعيد ما عندنا إلا
هذا الجذع ، فجئ ، بمجال يحمله . قال : فأخذت الجذع فبعته بتسعة دراهم
ودائنين . وكان أبو عبد الله شديد الحياء كريم الأخلاق يعجبه السخاء

قبوله الهدية ومكافأته عليها

قال أبو بكر المروزي : رأيت أبا عبد الله وقد أهدى اليه إنسان
ماء زمزم ، فأرسل اليه سويقاً وسكراً (السويق الناعم من دقيق الحنطة
والشعير) وأمرني أن أشتري للإنسان هدية بما يقرب من خمسة دراهم
وقال : اذهب إلى صبيانه فانه قد وهب لسعيد شيئاً

قال صالح بن أحمد : ان رجلاً أهدى إلى أبيه فاكهة ، فبعث اليه ثوباً
أهدى جار لأبي عبد الله شيئاً من جوز وزبيب وتين في قصعة
مايساوي ثلاثة دراهم أو أقل فأعطى ابنه ديناراً وقال له : اذهب فاشتر
بعشرة دراهم سكراً وبسبعة دراهم تمرأ ، واذهب به اليه في الليل ، ففعل

المحنة التي أصيب بها وسببها

لم يزل الناس بخير في عهد السلف الصالح يؤمنون بالله وكتبه
ويعتقدون حقاً أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق حتى ظهرت

المعتزلة . فقالت : (بخلق القرآن) وكانت تستر ذلك ، وكان القانون محفوظاً في زمن الرشيد ، وكان يحارب كل من ادعى بخلق القرآن قال محمد بن نوح : سمعت هارون الرشيد أمير المؤمنين يقول : بلغني أن بشراً المريسي زعم أن القرآن مخلوق ، علّ إن أظفرتني الله به لأقتله قتلة ماقتلتها أحداً قط . فكان بشر متوارياً أيام هارون الرشيد نحواً من عشرين سنة حتى مات هارون ، فظهر ودعا إلى الضلالة وكان من المحنة ما كان

فلمّا توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين ، فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن ، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأشياخ ، ثم قوى عزمه على ذلك فحمل الناس عليه . وكان أحمد بن حنبل من أشد الناس معارضة لذلك ، وأصيب بمحنة شديدة لامتحانه في هذه المسألة وهي :
(خلق القرآن)

قصته مع المأمون

قال العلماء بالسير : كتب المأمون وهو بالرقعة الى اسحق بن ابراهيم وهو صاحب الشرطة ببغداد بامتحان الناس فامتحنهم قال صالح بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول : لما ادخلنا على

سحق بن ابراهيم للمحنة قريء، علينا كتاب المأمون ، فكان فيما قريء
علينا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وهو ﴿ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ ﴾ فقلت : وهو السميع البصير

قال صالح : ثم امتحن القوم فوجه بمن امتنع الى الحبس فأجاب
القوم جميعاً غير أربعة، أي (أحمد بن حنبل) ومحمد بن نوح ، وعبيد الله
ابن عمر القواريري ، والحسن بن حماد سجادة ، ثم أجاب عبيد الله
ابن عمر ، والحسن بن حماد ، وبقى أبي ومحمد بن نوح في الحبس
فمكث أياماً في الحبس ثم ورد الكتاب من « طرسوس » بحماهما
فحملاً مقيدين زميلين

كيف امتحن أحمد بن حنبل ؟

قال ميمون بن الأصبع : كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت :
ما هذا ؟ فقالوا : أحمد بن حنبل يُمتحن ، فأتيت منزلي فأخذت مالاً له
خطر فذهبت به الى من يدخلني الى المجلس فأدخلوني ، فاذا بالسيوف
قد جردت ، وبالرماح قد ركزت ، وبالتراس قد نصبت ، وبالسياط
قد طرحت ، فألبسوني قباء أسود ومنطقة وسيفاً ، وأوقفوني حيث
أسمع الكلام

فأتى أمير المؤمنين فجلس على كرسى ، وأتى بأحمد بن حنبل فقال له : وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربنك بالسياط أو تقول كما أقول ؟ ثم التفت الى جلاد فقال : خذ اليك ، فأخذه . فلما ضرب سوطاً قال (بسم الله) فلما ضرب الثانى قال : (لا حول ولا قوة إلا بالله) فلما ضرب الثالث قال : « القرآن كلام الله غير مخلوق » فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) فضربه تسعاً وعشرين سوطاً ، وكان تكة أحمد انقطعت فنزل السروال الى عاتقه فقلت : الساعة ينهتك . فرمى أحمد طرفه نحو السماء وحرك شفتيه فما كان بأسرع من أن ارتقى السروال ولم ينزل . قال ميمون : فدخلت اليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبد الله رأيتك يوم ضربوك قد انحل سروالك فرفعت طرفك نحو السماء ، ورأيتك تحرك شفتيك فأى شىء قلت ؟ قال . قلت : اللهم أسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم أى على الصواب فلا تهتك لى سترأ

قال ابن أبي أسامة : يحكى لنا أن أحمد بن حنبل قيل له أيام المحنة : يا أبا عبد الله ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل ؟ فقال : كلا ، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى الى الضلالة ، وقلوبنا بعد لازمة للحق

قال صالح بن أحمد : حمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين فصرنا
 معهما الى (الأنبار) فسأل أبو بكر الأحول أبي فقال : يا أبا عبد الله
 إن عرضت على السيف تجيب ؟ قال : لا . ثم سيرا ، قال : فسمعت أبي
 يقول : لما صرنا الى الرحبة ورحلنا منها - وذلك في جوف الليل - عرض
 لنا رجل فقال : أيكم أحمد بن حنبل ؟ فقيل له : هذا ؟ فقال للجمال :
 على رسلك ، ثم قال : يا هذا ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة
 هاهنا ، ثم قال : استودعك الله ومضى ، قال أبي : فسألت عنه . فقيل
 لي : هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشعر في البادية يقال له :
 جابر بن عامر يزكربخبر

وقال أحمد بن حنبل : ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر الذي
 وقعت فيه أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق ، قال لي :
 يا أحمد إن يقتلك الحق مُتَّ شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ،
 قال : فقوى قلبي

فكان كما قال ، لقد رفع الله عز وجل شأن أحمد بن حنبل بعد
 ما امتحن بهذه المحنة وعظم عند الناس وارتفع أمره جداً
 قال ابن الجوزي رحمه الله : قد بلغنا عن الشافعي رضي الله عنه
 أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يخبره بما سيقى أحمد
 من الامتحان في خلق القرآن ، ويأمره ان يعلم أحمد بذلك

قال أبو جعفر الأنباري : لما حمل أحمد بن حنبل الى المأمون
أخبرت فعبرت الفرات فاذا هو جالس في الخان فسلمت عليه فقال :
يا أبا جعفر تعنيت؟ فقلت : ليس هذا عناء . وقلت له : يا هذا أنت
اليوم رأس ، والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبته الى خلق القرآن
ليجيبن باجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق
من الناس كثير؛ ومع هذا فان الرجل إن لم يقتلك فانت تموت ولا بد
من الموت، فاتق الله ولا تجبههم الى شيء ، فجعل أحمد يبكي ويقول :
ماشاء الله ، ماشاء الله ، ثم قال لي أحمد : يا أبا جعفر أعد على ماقلت .
فأعدت عليه ، فجعل يقول : ماشاء الله ، ماشاء الله

قيل : لما قدم أحمد للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له
(ابو الهيثم العيار) فوقف عنده وقال : يا أحمد أنا فلان اللص ضربت
ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت ، وأنا أعرف أتي على الباطل
فاحذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط ، فكان أحمد
كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص ، وكان بعد ذلك لم يزل يترحم
عليه ويقول : رحم الله أبا الهيثم

قال أحمد بن غسان : لما حملت مع أحمد الى المأمون تلقانا خادم
وهو يبكي ومسح دموعه وهو يقول : عزّ علي يا أبا عبد الله ما نزل بك .
قد جرد أمير المؤمنين سيفاً لم يجرده قط ، وبسط نطعاً لم يبسطه قط ،

ثم قال : وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعت السيف
عن أحمد وصاحبه حتى يقولوا : إن القرآن مخلوق . فجأ أحمد على
ركبته، ولحظ السماء بعينه ودعا، فما مضى الثلث الأول من الليل إلا
ونحن بصيحة وضجة، فأقبل علينا خادمه وهو يقول : صدقت يا أحمد
(القرآن كلام الله غير مخلوق) لقد مات والله أمير المؤمنين ، وكان قد
لقيه قبل أن يدخل المدينة رجل من العباد فقال : احذر يا أحمد أن
يكون قدومك شؤماً على المسلمين، فإن الله تعالى قد رضى بك لهم وافداً
والناس إنما ينظرون الى ما تقول فيقولون به . فقال أحمد : حسبنا الله
ونعم الوكيل

رفع المحنة عنه

وقال ابن عياض رضى الله عنه : حبس الإمام أحمد بن حنبل
رضى الله عنه ثمانية وعشرين شهراً وكان فيها يضرب بالسياط الى أن
ينغى عليه، وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس عليه
ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم ، وتولى بعده الواثق ، فاشتد
الأمر على أحمد وقال :

لا أسكن في بلد الحد فيه، فأقام مختفياً لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها
حتى مات الواثق وولى المتوكل، فرفع المحنة عن أحمد وأمر باحضاره

وإكرامه وإعزازة وكتب الى الآفاق برفع المحنة عنه وإظهار السنة ،
وإن القرآن غير مخلوق وخذت المعتزلة ، وكانوا أشد الطوائف المبتدعة
وقيل : لما دخل أحمد على المتوكل قال المتوكل لأمه : يا أماه
قد أثار الدار بهذا الرجل ، ثم أتوا بتياب نفيسة فألبسوها له فبكى وقال :
سلمت منهم عمرى كله حتى إذا دنا أجلى بليت بهم وبدنياهم ثم نزعها
لما خرج

مرضه

قال أبو بكر المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء للياتين خلتا
من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ومرض تسعة
أيام ، فلما اشتدت علته وسمع الناس بها أقبلوا لعيادته فكثروا ولزموا
الباب الليل والنهار يبيتون ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان
ببابه وبياب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار
وكان أبو عبد الله ربما أذن للناس فيدخلون أفواجاً أفواجاً يسلمون
عليه فيرد عليهم بيده

فلما جاءت الرابطة ، منع الناس من ذلك ، وأغلق باب الزقاق .
فكان الناس في الشوارع والمساجد حتى تعطل بعض الباعة وحيل
بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه ربما

أدخل من بعض الدور ، وربما تسلق ، وجاء أصحاب الأخبار فقمعدوا
على الباب كي يتعاهدوه بالغداة والعشي
ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر اليه وقال : هذا بول
رجل قد فقت الغم والحزن كبده

وفاته رضي عنه

قد اشتدت به العلة يوم الخميس ، فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس
حتى ملأوا السكك والشوارع ، فلما كان صدر النهار (قبض رحمه
الله) فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت
وقعد الناس ، وبعد صلاة الجمعة شيعت جنازته (فكانت وفاته ببغداد
في يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وعمره
سبع وسبعون سنة)

ودفن في مقبرة (باب حرب) وحضر جنازته من الخلق ما لا يحصى
وازدحم الناس على قبره بعد دفنه
قال أبو الحسن التيمي عن أبيه عن جده : أنه حضر جنازة أحمد بن
حنبل قال : فمكثت طول الاسبوع رجاء أن أصل الى قبره فلم أصل
من شدة ازدحام الناس عليه ، فلما كان بعد أسبوع وصلت الى القبر .
وكان لموته تأثير عظيم عند جميع الناس من مسلمين ويهود وانصارى

ومجوس ، وقيل : أسلم يوم وفاته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى
والمجوس ، وفي رواية أخرى عشرة آلاف

تركته

مات رضى الله عنه ولم يخاف إلا ست قطع أو سبع قطع كانت
في خرقته (خرقه كان يمسح بها وجهه قدر داتين)

تأيينه وورثاؤه

فأبنة وورثاه كثير من الشعراء، ولندكر بعض أبيات من قصائد بعضهم
من قصيدة للهيضم بن أحمد :
« ياناعى العلم بيوم أحبدا نعت بجرأ كان يجرى مزبدا »
« ومكرمات وتقى وسوددا صلابة فى دينه تجردا »
« إذا غدا قلت الربيع قد غدا يا أحمد الخير الذى تحمدا »
« أشبهت سفيان الذى تعبدا ومسعراً دانبتة ومعضدا »
« أشبهتهم قناعة ومهتدى وعفة نبت بها ومقتدى »
« وكنت فى هذا وذاك أوحدا سميت فى هذا وذاك المفردا »
ورثاه أبو مزاحم الخاقانى فقال :
« جزى الله ابن حنبل التقياً عن الإسلام إحسانا هنيا »

« فقد أعطاه إذ صبر احتساباً
« هو الورع الذي امتحنوه قدما
« وجاء بصادق الآثار حتى
« حبا المتوكل السني بدءاً
« فأثر أحمد الأقلال زهداً
« فأحمد جامع ورعاً وزهداً
« وأحمد كان للفتوى إماماً
« وأحمد محنة للناس طراً

ورثاه جعفر بن أحمد السراج فقال :

« سقى الله قبراً حل فيه ابن حنبل
« على أن دمعي فيه رى عظامه
« فله رب الناس مذهب أحمد
« دعوه الى (خلق القرآن) كادعوا
« ولا رده ضرب الشياطين وسجنه
« ولما يزدهم والشياطين تنوشه
« على قوله القرآن وليشهد الورى
« فمن مبلغ أصحابه أننى به
« وألقى به الزهاد كل مطلق

من الغيث وسمياً على إثره ولى «
إذا فاض الم يبل منها وما يلى «
فان عليه ما حيت معولى «
سواه فلم يسمع ولم يتأول «
عن السنة الغراء والمذهب الجلى «
فشلت يمين الضارب المتبتل «
كلامك يارب الورى كيف ماتلى «
أفاخر أهل العلم فى كل محفل «
من الخوف دنياه طلاق التبتل «

« مناقبه إن لم تكن عالماً بها فكشف طرو من القوم عنهن واسأل »
« لقد عاش في الناس حميداً موقفاً وصار إلى الأخرى إلى خير منزل »
« وإني لراج أن يكون شفيح من تولاه من شيخ ومن متكأل »
« ومن حدث قد نور الله قلبه اذا سألوا عن أصله قال حنبلي »

زوجاته

تزوج رضى الله عنه بعد سن الأربعين ، وأول زوجاته (عائشة)
بنت الفضل أم صالح من العرب ولم يولد له منها غير صالح ثم توفيت
قال المروزي : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أقامت
معى أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهى فى كلمة
والزوجة الثانية (ریحانة) أم عبد الله
قال زهير : لما ماتت عائشة أم صالح تزوج جدى بعدها امرأة
من العرب يقال لها : (ریحانة) فولد له منها عمى عبد الله ولم يولد له
منها غيره

سراريه

كان رضى الله عنه قد اشترى جارية اسمها (حُسن)
قال زهير بن صالح : لما توفيت أم عبد الله اشترى (حُسن)

فولدت منه أم علي (واسمها زينب) ثم ولدت الحسن والحسين (توأمان) وماتا بالقرب من ولادتهما ، ثم ولدت الحسن ومحمداً فماتوا حتى صاروا من السن الى نحو الأربعين سنة ، ثم ولدت بعدها سعيدا واشترى جارية ثانية بثمن يسير سماها (ریحانة) استنانا برسول الله صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا يكون قد اشترى جارتين إحداهما في حياة زوجته والله أعلم

أولاده

قد ذكرنا أن (صالحا) من أم (وعبد الله) من أم ، وان حُسنا الجارية ولدت له (الحسن والحسين) ثم ولدت ثالثا يسمى (بالحسن) أيضاً ثم ولدت (محمداً) وولدت (سعيداً وزينب) وتكنى أم علي

ذكر نبد من أقواله رضي عنه

كان رضى الله عنه يقول : يؤكل الطعام بثلاث : مع الاخوان بالسرور ، ومع الفقراء بالإيثار ، ومع أبناء الدنيا بالمرورة
وكان يقول : إن لكل شيء كرم ، وكرم القلب الرضى عن الله عزوجل

وكان يقول : إذا مات أصدقاء الرجل ذل

وكتب الى سعيد بن يعقوب : بسم الله الرحمن الرحيم - من أحمد
ابن محمد الى يعقوب، أما بعد ، فان الدنيا داء ، والسلطان داء ، والعالم
طبيب، فاذا رأيت الطبيب يجر الداء الى نفسه فاحذره، والسلام عليك

نبد من شعره

يروى أنه كان ينشد الشعر، فَمَا يُوَثِّرُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :

« إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب »
« ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب »
« لهونا عن الأعمال حتى تتابعت ذنوب على آثارهن ذنوب »
« فياليت إن الله يفر ماضى ويأذن في توباتنا فنتوب »
« إذا ماضى القرن الذى أنت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب »
وكان يقول :

« تفنى اللذادة بمن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار »
« تبقى عواقب سوء من مغبتها لاخير في لذة من بعدها النار »
وقد أنشد في على بن المدينى الذى باع دينه بدنياه فقال :

« يابن المدينى الذى عرضت له دينا فجاء بدينه لينالها »
« ماذا دعاك الى التحال مقالة قد كنت تزعم كافرا من قالها »
« أمر بدالك رشده فتبعته أم زهرة الدنيا أردت نوالها؟ »

وللناس فيما يعشقون مذاهب . وقد أشد بعضهم في قلة عدد المتبعين للمذهب الحنبلي فقال :

« يقولون لي قد قلّ مذهب أحمد

وكل قليل في الأنام ضئيل »

« فقلت لهم : مهلا غلظتم بزعمكم

ألم تعلموا أن الكرام قليل ؟ »

ه - أبو الحرث الإمام الليث بن سعد

ابن عبد الرحمن رضي الله عنه

الإمام الليث بن سعد هو الإمام الكبير القدر، المعظم الشأن في الدين والعلم والكرم

نسبه وكنيته - الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحرث، يقال :

انه مولى بنى فهم، ثم لآل خالد بن ناشر بن طاعن الفهمي، ثم من بنى كنانة بن عمرو بن القيس وكان اسمه في ديوان مصر في موالى بنى كنانة من فهم، وأهل بيته يقولون : نحن من الفرس من أهل أصبهان . وقال يعقوب بن سفيان : كان الليث يقول : أصلنا من أصبهان

وقال أبو أحمد الحاكم : يكنى أبو الحرث الليث بن سعد مولى بنى فهم من قيس بن رفاعه

مولده - قال البخارى في تاريخه : قال يحيى بن بكير . ولد الليث لأربع عشرة خلت من شعبان سنة أربع وتسعين . وكذا قال ابن حبان وراذ يوم الجمعة . وكان مولده (بقرقشندة) على نحو أربعة فراسخ من الفسطاط

طالبه للعلم وتقدمه فيه

قال أبو صالح كاتب الليث : خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين فشهدنا الأضحى ببغداد ، فقال لي الليث : سل عن منزل (هشيم الواسطي) فقل له : أخوك الليث المصري يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث إليه شيئاً من كتبك ؟ فذهبت إليه ففعل ، فكتبت لليث منها وسمعتها من هشيم مع الليث

وروى غير واحد عن الليث قال : دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال : من أين ؟ قلت من أهل مصر . قال : ممن ؟ قلت : من قيس . قال : ابن كم ؟ قلت : ابن عشرين . قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين

قال الحسن بن سعيد : خرجنا مع الليث بن سعد إلى الإسكندرية ومعه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه ، فقلنا : ياسيدي إنا نسمع منك أحاديث ليست في كتبك . فقال : أو كلما في صدري في كتبتي ؟ لو وضعت ما في صدري في كتبتي ما وسعته هذه السفينة

قال عمرو بن خالد لليث : بلغني أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهري . قال : نعم للعلم ، فأما لغير ذلك فلا ، والله ما فاعلته بأحد قط

مناقبه

مروءته وكرم أخلاقه وكرمه

قال أبو صالح كاتب الليث : كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا (أى احتجب) فقلنا : ليس يشبه هذا صاحبنا . قال : فسمع مالك كلامنا فأمر بادخالنا عليه فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث بن سعد . قال : تشبهوني برجل كتبت اليه فى قليل عصفور نصبغ به ثياب صبياننا فانفذ الينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا و ثياب جيراننا وبعنا الفضل بألف دينار

قال عبد الله بن صالح : صحبت الليث عشرين سنة فكان لا يتغدى وحده ، ولا يتعشى وحده إلا مع الناس

قال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وقال : صن بهذه الحكمة التى آتاك الله تعالى

وقال أيضاً : كنت عند الليث جالساً فأتته امرأة ومعهما قدح فقالت له : يا أبا الحرث إن زوجي يشتكى وقد نمت (وصف) لنا العسل . فقال : اذهبي الى الوكيل فقولى له : يعطيك (مطراً) فجاء الوكيل

(م - ١٢ - رابع)

يسارته بشيء . فقال له الليث : اذهب فاعطها مطراً، أنها سألت بقدرها فاعطيناها بقدرنا . قال : (والمطر عشرون ومائة رطل أو نحو مائة رطل مصرى تقريباً)

وقال يونس بن عبد الأعلى : كان دخل الليث في كل سنة مائة ألف دينار وما وجبت عليه زكاة قط

وقال محمد بن عبد الحكم : أنه كان يدخل لليث في كل سنة أكثر من ثمانين ألف دينار وما وجبت عليه زكاة قط؛ لأن الحول كان لا ينقضى عنه حتى ينفقها ويتصدق بها

وقال ابن يونس : كان له قرية بمصر يقال لها (العرفا) يحمل اليه من خراجها فيجعل ذلك صرراً ويجلس على باب داره ويعطى صرة لهذا وصرة لهذا حتى لا يدع إلا اليسير من ذلك

وقال أبو حاتم بن حبان : كان الليث لا يتردد اليه أحد إلا أدخله في جملة عياله مادام يتردد اليه؛ ثم إن أراد الخروج زوّده بالباغة الى وطنه (أى باليسير من الزاد)

وحكى ابن النجوى من مناقبه قال : بلغني عن يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنه قال : صودر برجل من أهل مصر في زمن الليث بن سعد ونودي على داره فبلغت أربعة آلاف درهم ، فاشتراها الإمام الليث ابن سعد وبعثني آخذ المفاتيح فوجدت فيها أيتاماً وعائلة فقالوا : بالله

عليك اتركنا إلى الليل حتى ننظر خربة نذهب اليها
قال : فتركتمهم وجئت اليه وأخبرته بالقصة فبكى وقال : عد اليهم
وقل لهم : الدار لكم ، ولكم مايقوم بكم في كل يوم
وقال الترمذى : سمعت قتبية يقول : كانت الليث في كل صلاة
يتصدق على ثلثة مسكين

وقال أشهب : كان الليث لايرد سائلا ، وكان يطعم الناس الهرائس
بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء ، وفي الصيف شئ من اللوز والسكر
قال ابن وهب : كان الليث يصل مالكا كل سنة بمائة دينار ،
وكتب اليه مرة : إن على دينا فبعث اليه بخمسة دینار . وقيل : ان
الإمام مالكا أهدى اليه صنبة فيها تمر فأهداها مملوءة ذهباً

زهده وقناعته

وقال يحيى بن بكير : رأيت الفقراء يزدحمون على باب الليث بن
سعد وهو يتصدق عليهم حتى لم يبق أحد منهم حتى مشى وأنا معه
على سبعين بيتاً من الأرامل ، ثم انصرف
فمشيت معه فبعث غلامه بدرهم فاشتري زيتاً وخبزاً ، ثم جئت الى
بابه فرأيت أربعين ضيفاً جاء اليهم باللحم والحلوى ؛ فلما أصبح قلت
لغلامه : بالله عليك لمن الخبز والزيت ؛ فقال : يطعم ضيفانه اللحم
والحلوى ، وما رأيت ياكل إلا خبزاً وزيتاً

صدقه

قال يحيى بن بكير عن ابن وهب : دخلت على مالك فسألني عن الليث فقال : كيف هو ؟

فقلت بخير . قال : كيف صدقه ؟ قلت : يا أبا عبد الله أنه لصدوق قال : أما أنه إن فعل متعه الله بسمعه وبصره

ثناء الأئمة عليه

قال أحمد بن حنبل : الليث كثير العلم صحيح الحديث وقال يحيى بن بكير : ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث ، وما رأيت أكمل منه ، كان فقيه البلد ، عربي اللسان ، يحسن القرآن والنحو والحديث والشعر ، والمذاكرة ، الى أن عد خمس عشرة خصلة ما رأيت مثله . وقال أيضاً : الليث أفقه من مالك ، ولكن كانت الخطوة لمالك ولما أتى الشافعي مصر أتى قبر الليث بن سعد وقال : ما فاتني شيء كان أشد على من ابن أبي ذئب والليث بن سعد وقال الشافعي : الليث أنفع للأثر من مالك وروى أن الإمام الشافعي وقف على قبر الإمام الليث وقال :

لله دَرَك يا إمام لقد حزت أربع خصال لم يكلمهن عالم : العلم ، والعمل ،
والزهد ، والكرم

وقال أيضاً : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ،
وفي رواية عن الشافعي ضيَّعه قومه ، وفي أخرى ضيَّعه أصحابه ، أي لم
يدونوا فقهه كما دونوا فقه مالك وغيره

وقال ابن حبان : كان الليث من سادات أهل زمانه فقهياً وعلماً
وحفظاً وفضلاً وكرماً

وقال النووي في تهذيبه : أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في
الفقه والحديث

وقال ابن وهب : لولا مالك والليث لضلنا . وقال أيضاً : والله
الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث

عظم قدره عند الخلفاء

قالوا : إن الأمراء بمصر لا يقطعون أمراً دون الليث وكانوا
يحترمونه ويعظمونه

وقال أشهب بن عبد العزيز : كان لثيث أربع مجالس كل يوم (١)
مجلس لحوائج السلطان (٢) ومجلس لأصحاب الحديث (٣) ومجلس

لأصحاب المسائل (٤) ومجلس الحوائج الناس ، لا يسأله أحد فيرده
صغرت حاجته أو كبرت

قصته مع هارون الرشيد وعفته

قال (لولو) خادم الرشيد : جرى بين هارون الرشيد و بنت عمه
زيدة بنت جعفر كلام . فقال هارون : أنت طالق إن لم أكن من
أهل الجنة ، ثم ندم ، فجمع الفقهاء فاختلفوا ، ثم كتب الى البلدان
فاستحضروا علماءها اليه . فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا ؛
وبقى شيخ لم يتكلم ، وكان في آخر المجلس ، وهو الليث بن سعد ؛ قال :
فسأله ، قال : إذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته ، فصرفهم . فقال :
يدنيني أمير المؤمنين - فأدناه . فقال : أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم ،
فأمر باحضار مصحف ، فأحضر . فقال : تصفحه يا أمير المؤمنين حتى
تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ، ففعل ، فلما انتهى الى قوله تعالى :
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾

قال : أمسك يا أمير المؤمنين ، قل : والله ، قال : فاشتد ذلك على
هارون ؛ فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أملك ، فقال : والله حتى فرغ
اليمين ، قال : قل إني أخاف مقام ربي ، فقال ذلك ، فقال : يا أمير
المؤمنين : (فهي جنتان وليست بجنة واحدة)

قال : فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر . فقال له الرشيد :
أحسنت يا أبا الحرث وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ،
ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره ، وصرفه مكرماً
وقبل : ان الرشيد أمر له بخمسة آلاف دينار فردها وقال : ادفعها
لمن هو أحوج اليها مني

قال عبد الله بن صالح : سمعت الليث بن سعد يقول : لما قدمت
على هارون الرشيد قال لي : ياليت ما صلاح بلدكم ؟ قلت : يا أمير
المؤمنين صلاح بلدنا إجراء النيل ، وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتي
السكر ، فاذا صفارأس العين صفت العين . قال : صدقت يا أبا الحرث

وفاته

مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة في يوم الجمعة لأربع
عشرة بقيت من شعبان

وقال ابن حبان : مات في النصف من شعبان

قال خالد بن عبد السلام الصدفي : جالست الليث بن سعد وشهدت
جنازته مع أبي فما رأيت جنازة قط بعدها أعظم منها ، ورأيت الناس
كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضاً ، فقلت لأبي : يا أبت كان كل
واحد من هؤلاء صاحب الجنازة . فقال لي : يا بني ، الليث بن سعد كان

عالمًا كريمًا ، حسن العقل ، كثير الأفضال ، يابني لا ترى مثله أبدًا
وقد عاش إحدى وثمانين سنة ودفن في مقابر الصدقي بالقرافة
الصغرى

ولده

ولده (شعيب) كان من أجل العلماء ومعدود من المحدثين ، وكان
كريمًا كوالده

قال ابن أبي الدنيا : حج شعيب بن الليث سنة من السنين فتصدق
بمال عظيم فمرّ عليه رجل من العلماء فسأل عنه . فقيل له : هذا العالم
ابن العالم ، الكريم ابن الكريم

ولما فقد أباه بعد موته رحل الى الشام ودخل دمشق فجاءه رجل
وقال : أنا عبد أبيك ومعى لأبيك تجارة بألني دينار ، وأنا الآن في
الرق فخذ مال أبيك واعتقني إن شئت ، وإلا فبمضى فقال : أنت حرٌّ ،
والمال الذى بيدك هبة منى اليك

قال الخطابي : فلا أدري أيهما أفضل ؟ العبد فى إقراره بنمالم ، أم
السيد حين أعتقه وأعطاه المال ؟

وحكى عنه أيضاً : أنه جاءه إنسان فقال له : ياسيدى كان والدك
يعطينى فى كل سنة مائة دينار .

فأعطاه مائة دينار إلا دينارا، فقال : يا سيدي أعجزت عن دينار؟
فقال : لا ؛ ولكني فعلت ذلك تأدباً مع والدي
وكان والده رضى الله عنه قد أوصاه بحفظ العلم ودرس الحديث
وقد مات بعد أبيه ودفن بجواره ، وقبره الآن أمام قبر أبيه في
المكان الذى يلي المصطبة المقابلة لباب المشهد ، وعلى مكانه باب مغلق
وليس فى المكان قبر سواه
ومعه فى القبر محمد بن هارن الصدفى وهو أخوه لأمه

٦ - الامام سفيان بن سعيد الثوري

ولد سنة ٩٧ هـ - وتوفي سنة ١٥٥ هـ

نسبه - أبو عبد الله سفيان بن سعيد . بن مسروق . بن حبيب .
ابن رافع . بن عبد الله . بن وهب . بن أبي . بن عبد الله . بن منقذ
ابن نصر . بن الحكم . بن الحرث . بن ثعلبة . بن ملكان . بن ثور .
ابن عبد مناة . بن أد . بن طابخة . بن الياس . بن مضر . بن نزار .
ابن معد . بن عدنان الثوري الكوفي

مولده - ولد في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع وتسعين
للحجرة بالكوفة

بعض مناقبه - كان رضى الله عنه إماماً في الحديث وغيره من
العلوم ، وكانوا يسمونه : أمير المؤمنين في الحديث ، وأجمع الناس على
دينه ، وورعه ، وزهده ، وثقته

وهو أحد الأئمة المجتهدين . ويقال : أن الشيخ أبا القاسم الجنيد
كان على مذهبه

قال سفيان بن عيينة : مارأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من
سفيان الثوري

وقال مالك : كانت العراق تجيش علينا بالدرهم والثياب، ثم صارت

تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان الثوري

وقال أبو اسحق الفزاري : لو خيرت لهذه الأمة لما اخترت لها

إلا سفيان الثوري

وقال الخطيب : كان سفيان الثوري إماماً من أئمة المسلمين وعلماً

من أعلام الدين ، مجماً على إمامته بحيث يستغنى عن تركيته مع

الاتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد . وكان يمكث اليومين

والثلاثة لا يأكل حتى يضربه الجوع شغلاً عنه بما هو فيه من العبادة .

وكان لا يجلس في صدر مجلس قط؛ إنما كان يقعد في جنب حائط يجمع

بين كتبه

سمع سفيان الثوري الحديث من أبي اسحق السبّعي ، والأعمش

ومن في طبقتهما ، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ، ومحمد بن اسحق ،

ومالك ، وتلك الطبقة

وحكى عن أبي صالح شعيب بن حرب المدائني ، وكان أحد السادة

الأئمة الأكابر في الحفظ والدين أنه قال : انى لأحسب يُجاء بسفيان

الثوري يوم القيامة حجة من الله على الخلق يقال لهم : لم تدركوا نبيكم

عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلقد رأيتم سفيان الثوري ألا اقتديتم به ؟

وكان رضى الله عنه جريئاً على الخلفاء والأمرء لا يخشى فى الحق

لومة لائم

سفيان الثورى والمهدى

ذكر المسعودى فى مروج الذهب مأماله : قال القعقاع بن حكيم :

كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى ، فلما دخل عليه سلم تسليم
العامه ، ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئاً على سيفه ،
يرقب أمره ، فأقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال له :

ياسفيان تفرّ منا ههنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ،

فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟

قال سفيان : إن تحكم فيّ بحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل

فقال الربيع : يأمر المؤمنين أهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟

أذن لى أن أضرب عنقه

فقال له المهدى : اسكت ، ويلىك ، وهل يريد هذا وأماله إلا أن

تقتلهم فنشقى بسعادتهم ، اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على ألا

يعترض عليه فى حكم

امتناعه عن قضاء الكوفة

فكتب عهده ، ودفن اليه ، فأخذه وخرج ، فرمى به في دجلة
وهرب ، فطلب في كل بلد فلم يوجد ، ولما امتنع من قضاء الكوفة
وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر :
« تحرز سفیان وفرّاً بدينه وأمسى شريك مرصداً للدرهم »
وكان يقول للمهدى في وجهه : احذر من هؤلاء الأعداء والمترددین
اليك من الفقراء ، فان هلاكك على أيديهم ، يأكلون طعامك ، ويأخذون
دراهمك ، ويفشونك ، ويمدحونك بما ليس فيك

سفيان الثوري وأبو جعفر المنصور

بعث أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين الخشابين أمامه حين خرج الى
مكة وقال : إذا رأيتم سفیان الثوري فاصلبوه ، فوصلوا الى مكة ونصبوا
الخشب وجاءوا اليه ، فوجدوه نائماً رأسه في حجر الفضيل ابن عياض
ورجله في حجر سفیان بن عيينة فقالوا : يا أبا عبد الله اتق الله ،
ولا تشمت بنا الأعداء ، فتقدم الى استار الكعبة فأخذها وقال :
برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فمات قبل أن يدخل مكة

وفاته

خرج من الكوفة الى البصرة سنة ١٥٥ خمس وخمسين ومائة
وتوفى رضى الله عنه بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، متواريا من
السلطان ، ودفن عشاء رحمه الله تعالى ، ولم يعقب ، وقوموا ثياب
الثورى التى عليه حتى النعل فبلغ درهما وأربعة دوانق ، وهذا دليل
كاف على زهده وورعه

نبذ من أقواله وحكمه

كان رضى الله عنه يقول : لا ينبغي للرجل أن يطلب العلم والحديث
حتى يعمل فى الأدب عشرين سنة . من تصدر للعلم قبل أن يحتاج
اليه أورثه ذلك ذلًا . لو علمت من الناس أنهم يريدون بالعلم وجه الله
تعالى لأتيت الى بيوتهم فعلمتهم ؛ ولكن إنما يريدون به مجازاة الناس
وأن يقولوا حدثنا سفيان ، وكانوا إذا قالوا حدثنا يقول : ما أراكم أهلا
للحديث ، ولا أرى نفسى أهلا لأن أحدث ، وما مثلى ومثلكم إلا كما
قال القائل : افتضحوا فاصطلحوا . أحب لطالب العلم أن يكون فى
كفاية فان الافات وألسن الناس تسرع اليه اذا احتاج وذل . إنما
يطلب العلم ليتقى به الله تعالى فمن ثم فضل على غيره ، ولولا ذلك كان

كثير الأشياء . أول العلم طلبه ، ثم العمل به ، ثم الصمت ، ثم نظره ، ولو أن أهل العلم أخلصوا فيه ما كان عمل أفضل منه . من رأى نفسه على أخيه بالعلم والعمل حبط أجر عمله وعلمه ، ولعل أخاه يكون أروع منه على حرم الله عز وجل . إذا رأيتم العالم يلوذ بباب السطان فاعلموا أنه نص ، وإذا رأيتموه يلوذ بباب الأغنياء فاعلموا أنه مُراء . إذا فسد العلماء فمن يصلحهم ؟ وفسادهم يميلهم الى الدنيا ؛ وإذا جر الطبيب الداء الى نفسه فكيف يداوى غيره ؟

وكان يقول رضى الله عنه : قد ظهر من الناس الآن أمور يشتهى الرجل أن يموت قبلها ، وما كنا نظن أننا نعيش لها . ما كنت أظن أن أعيش الى زمان اذا ذكرت الأحياء ماتت القلوب ، وإذا ذكرت الأموات حيّت القلوب . المال فى زماننا هذا سلاح للمؤمن . الحلال فى زماننا لا يمتثل السرف . لا بد لمن يحتاج الى الناس أن يبذل لهم دينه فيما يحتاج ، فيمسك على ما يده من المال . لا تجب أخاك الى طعام إلا اذا كنت ترى أن قلبك يصلح على طعامه

وكان يقول : إذا بلغك عن قرية أن بها رخصاً فارحل اليها فإنه أسلم لقلبك ودينك وأقل لهلك . لا تصحب فى السفر من يتكرم عليك ، فانك إن ساويته فى النفقة أضربك ، وإن تفضل عليك استعبدك

الزهد في الدنيا هو قصر الأمل ، ليس بأكل الخشن ، ولا بلبس الغليظ والعبادة . إزهد في الدنيا ونم لالك ولا عليك . إن الرجل يكون عنده المال وهو زاهد في الدنيا ، وإن الرجل يكون فقيراً وهو راغب فيها . أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللثام

وكان يرد ما يعطاه ويقول : لو أتى أعلم فيهم أنهم لا يفتخرون على بمطائهم لأخذته منهم ، ولذلك كان يجوع ولا يقترض ويقول : أنهم لا يكتمون ذلك ؛ بل يروح أحدهم ويقول : جاني سفيان الثوري البارحة واقترض مني كذا

وسئل عن رجل يكتسب لعياله ولو صلى في الجماعة لفاته القيام عليهم ماذا يصنع ؟

قال : يكتسب لهم قوتهم ويصلي وحده وكان يقول : إذا سمعتم ببدعة فلا تحكوها لأصحابكم ، ولا تلقوها في قلوبكم . قد قلَّ أهل السنة والجماعة في زماننا هذا

ونصح يوماً انساناً رآه في خدمة المولاة فقال : فما أصنع بعيالي ؟ فقال : ألا تسمعون لهذا ؟ يقول : أنه إذا عصى الله رزق عياله ، وإذا أطاعه ضيعهم ؛ ثم قال : لا تقتدوا قط بصاحب عيال فإنه قلَّ صاحب عيال أن يسلم من التخليط وعذره دائماً في أكل الشبهات والحرام قوله عيالي . لاطاعة للوالدين في الشبهات

قيل له : ألا تدخل على الولاية فتحفظ ، وتعظمهم ، وتنههم ؟ فقال :
تأمروني أن أسبح في بحر ولا تبتل قدماي ، إني أخاف أن يترحبوا بي
فأميل اليهم فيحبط عملي

شكى اليه رجل مصيبته فقال : قم عني ، ما وجدت أحداً أهون في
عينك مني تشكو الله تعالى عنده ، اصبر واذا كر قول الله تعالى :
« إنا لله وإنا اليه راجعون »

وكان يقول : إذا أرضيت ربك أسخطت الناس ، وإذا أسخطتهم
فتبياً للسهم ، والتهيؤ للسهم أحب من أن يذهب دين الرجل

وكتب إلى عابد من العباد : اعلم يا أخي أنك في زمان كان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذون أن يدركوه ومعهم من العلم
ماليس معنا ، ولهم من القدم ماليس لنا ، فكيف بنا حين أدركناه على
قلة العلم ، وقلة الصبر ، وقلة الأعوان على الخير ، وفساد في الزمان ؟

فعليك بالأمر الأول والتمسك به ، وعليك بالحمول ، فإن هذا
زمان خمول ، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس ، فقد كان الناس إذا

— ١٩٤ —

التقوا ينتفع بعضهم ببعض ، فأما اليوم فقد ذهب ذلك ، فالنجاة
الآن في تركهم فيما نرى
وإياك يا أخى والأمرء أن تدنو منهم ، أو تخالطهم فى شىء من
الأشياء ، ويقال لك : تشفع أو تدرأ عن مظلوم ، أو ترد مظلمة ، فان
ذلك من خديعة إبليس ؛ وإنما اتخذ ذلك القراء سلباً للقرب منهم ،
واصطياداً للدنيا بذلك

٧- الامام أبي عمرو الاوزاعي

خلاصة ما كتبه الأستاذ العلامة الأمير شبيب أرسلان بشأنه في كتابه « محاسن المساعي » الذي ظهر حديثاً وطبع بمطبعة الحلبي
نسبه ومولده - هو أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي نسبة الى (أوزاع) وهي قرية بالشام ، ولد في (بعلبك) سنة ثمان وثمانين وقيل : سنة ثلاث وتسعين

نشأته - نشأ بالبقاع يتيمًا في حجر أمه ، وكانت تنتقل به من بلد الى بلد إلى أن بلغته ، حيث رأته ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أروع ، ولا أعلم ، ولا أنصح ، ولا أوقر ، ولا أحلم ، ولا أكثر صمتًا ، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من يسمعا من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها

صفاته الخلقية - كان فوق الربعة ، خفيف اللحية ، به سمرة ، وكان يخضب بالحناء

علمه ومكانته - كان رضى الله عنه عالمًا ، ساد أهل زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والغازي وغير ذلك من علوم الإسلام ، وقد

أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من سادات
المسلمين كمالك بن أنس ، والثوري ، والزهري ، وهو من شيوخه
وكان رضى الله عنه من الطبقة الأولى في مجتهدى الإسلام ،
لا يتأخر مكانه عن مكان الأئمة الأربعة : أبى حنيفة النعمان ، ومالك
ابن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، وأحمد بن حنبل رضى الله
عنهم جميعاً .

وكان رحمه الله إمام أهل الشام باجماع المؤرخين ، وتبعاً لانتشار
مذهبه فى الشام انتشر فى الأندلس ، وأول من أدخله فيها صعصعة
ابن سلام لما انتقل إليها

ويقال : إن أهل الشام لبثوا يعملون بمذهب الأوزاعى فى الفقه
نحواً من مائتين وعشرين سنة إلى أن غلب عليهم مذهب الشافعى ؛
وإن أهل الأندلس لبثوا يعملون به الى زمن الأمير هشام بن
عبد الرحمن الأموى إلى أن غلب مذهب مالك على تلك الديار ،
وذلك فى أوائل المائتين للهجرة

ولم يكن الأوزاعى عالماً كباقي العلماء ؛ بل كان عالماً وعاملاً يطبق
العلم على العمل ، ولا يكتفى بالحفظ والنظر

عبادته وورعه - وكان ممن يمه أمر الأمة بأجمعها ، وممن لا يقتصر
على الصلاة والعبادة مبتغياً بها رضا الله تعالى ، والنجاة بنفسه دون

السعى لتوزيع العدالة في خلقه ، وإراحة عباد الله أجمعين ؛ بل كان رحمه الله مع شدة ورعه ، وكثرة عبادته يعمل بالحديث الشريف :

« عدل ساعة خير من عبادة ألف شهر »

ولهذا كان مالك رضى الله عنه يقول عن الأوزاعى : أنه يصلح للإمامة

وكان أبو اسحاق الفزارى يقول : الأوزاعى رجل عامة ، ولو خبرت هذه الأمة لاخترت لها الأوزاعى ، أى إماماً وخليفة

سياسته ونصحه للملوك والخلفاء - لقد كان رحمه الله يتعرض للسياسة العامة ، وينصح للملوك والخلفاء ، ويغظ لهم القول إذا رأى من أعمالهم ما يضر بالأمة ، وكان على ما يوجب الإسلام من إتياء كل إنسان حقه بدون تمييز بين الأديان والمذاهب

وبالجملة كان الأوزاعى من أحسن الأمثلة المجسمة البارزة عن معالى الإسلام ، الدالة على أنه دين العدل والإحسان ، دين المحافظة على حقوق الأنام

كرمه وسخاؤه - كان رحمه الله من أكرم الناس وأسخاهم ، وكان له في بيت المال من الخلفاء اقطاع ، صار إليه من بنى أمية وأقاربهم وبنى العباس نحو من سبعين ألف دينار ، وكان ينفقها كلها ولا يدخر منها شيئاً ، وكان أكثر إنفاقه في سبيل الله ، وعلى الفقراء والمساكين

شجاعته وجراته - كان رحمه الله من الجراءة على الخلفاء والأمراء ما يقل نظيره في تاريخ الإسلام ، ولعمري لو كان العلماء الذين من صنف الأوزاعي عدداً كبيراً في الإسلام لما أسرع الفساد الى المجتمع الإسلامي ، ولما انحطت دول الإسلام بعد ذلك العلو في الأرض وقلّ في الإسلام من كان يصادم الخلفاء في مآربهم ، ويوبخهم في وجوههم ، ونذكر بعضهم : وذلك مثل عالم المدينة أبي الحارث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب العامري الزاهد الورع الذي قال للمنصور يوماً :
الظلم ببابك فاش

ومثل أحمد بن نصر الخزاعي الشهير الذي كان قوَّالاً بالحق ، أماراً بالمعروف ، وقتله الواثق بالله لكونه أغلظ له في الحق وقال له : مه يا صبي
ومثل أحمد بن حنبل الذي خاصم المأمون في مسألة خلق القرآن ولم يتزحزح عن قوله رغم كل ما أصابه ،
ومثل أبي حنيفة النعمان الذي تعرض للعذاب ولم يقبل القضاء ،
ومثل القاضي مصعب بن عمران الذي أراده الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموي على قضاء قرطبة والأندلس فأبى أشد الإباء وأصر عليه الأمير الى حد الغضب وبقى على إصراره
ومثل قاضي مصر المشهور بالعدل والهيبة أبي عبيد بن حربويه الذي

كان أمير مصر يركب الى داره ، وهو لم يكن يركب الى دار الأمير

الأوزاعي وأبو جعفر المنصور

اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين قدم الشام ووعظه فأحبه المنصور
وعظمه ، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه ألا يلبس السواد
فأذن له

فلما خرج قال المنصور للربيع (الحاجب) الحقه فاسأله لِمَ كره لبس
السواد ؟ ولا تعلمه أتى قلت لك . فسأله الربيع ، فقال : لأتئى لم أرَ
مُحرمًا أحرم فيه ، ولا ميتًا كفن فيه ، ولا عروسًا جُليت فيه ، فلماذا أكرهه
وكتب أبو جعفر المنصور الى الأوزاعي الكتاب الآتى :

أما بعد ، فقد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك
فى عنقه ، فاكتب اليه بما رأيت فيه المصلحة

فكتب الأوزاعي اليه :

أما بعد ، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل ، وتواضع يرفعك
الله تعالى يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق
واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق
الله تعالى عليك إلا وجوبًا

وكتب أيضاً الأوزاعي الى أبي جعفر المنصور كتاباً طويلاً
ابتدأه بقوله :

أما بعد ، فإن الله تعالى استرعاك هذه الأمة لتكون فيها بالقسط
قائماً ، وبنبيه صلى الله عليه وسلم في خفض الجناح والرافة متشبهاً .
وختمه بقوله : يأمر المؤمنين إن أشد الشدة القيام بحق الله ، وإن
أكرم الكرم عند الله التقوى ، إن من طلب العز بطاعة الله تعالى
رفعه الله تعالى ، ومن طلبه بعبصية أذله الله تعالى ووضعه ، هذه
نصيحتي اليك والسلام عليك

وفاته وسببها

توفي لرحمة مولاه في سنة سبع وخمسين ومائة ، يوم الأحد لليلتين
بقيتا من صفر ، وقيل في شهر ربيع الأول ، بمدينة بيروت ، ودفن في
قرية على باب بيروت يقال لها (ختوس) وأهلها مسلمون
وهو مدفون في قبلة المسجد ، وأهل القرية لا يعرفونه ؛ بل يقولون :
هنا رجل صالح ينزل عليه النور ، ولا يعرفه إلا الخواص من الناس ،
وهو مفخرة مسلمي بيروت ولبنان بنوع خاص

أما سبب وفاته فذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق : أن
الأوزاعي دخل الحمام ببيروت ، وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق

الحمام عليه وذهب ؛ ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى
تحت خده وهو مستقبل القبلة
وقيل : ان امرأته فعلت ذلك ولم تكن عامدة لذلك ، فأمرها
سعيد بن عبد العزيز بعنق رقبة

تأيينه

لما توفي رحمه الله رثاه بعضهم بقوله :

« جاد الحيا بالشام كل عشية قبراً تضمن لحدّه الأوزاعي »
« قبر تضمن فيه طود شريعة سقياً له من عالم نفاع »
« عرضت له الدنيا فأعرض مقلعاً عنها بزهد أيما إقلاع »

نبد من أقواله وحكمه

كان رحمه الله يقول : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ؛
وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه، فإن الأمر ينجلي وأنت
منه على طريق مستقيم
وقال : إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وإن المنافق يقول
كثيراً ويعمل قليلاً

إن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره، أو إلى أن يبعث من قبره

إن في السماء ملكاً ينادى كل يوم ، ألا ليت الخلائق لم يُخلقوا ،
ويا ليتهم إذ خلقوا عرفوا لهم خلقوا ، وجلسوا فذكروا ما عملوا ، يعني
فندموا واستغفروا

وكان يقول : خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
والتابعون لهم باحسان :

لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن ،
والجهاد في سبيل الله عز وجل

وقال : من أكثر من ذكر الموت كفاه اليسير ، ومن علم أن
منطقه من عمله قل كلامه

وقال : قال لى أبى : لو قبلنا من الناس كل ما يعطوننا لهذا عليهم
وقال : اصبر بنفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما
قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل السلف الصالح ، فانه يسعك
ما وسعه ، ولا يستقيم الايمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الايمان والقول إلا
بالعمل ، ولا يستقيم الايمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة
قال : كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمان والعمل ،
فالعمل من الايمان ، والايمان من العمل ، وإنما الايمان اسم جامع
فمن آمن بلسانه ، وعرف بقلبه ، وصدق ذلك بعمله ، فتلك العروة
الوثقى لا انفصام لها ؛ ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله
لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين

ثانياً - مناقب الائمة الصالحين الأختيار

من آل بيت النبي المختار

١ - مناقب سيدنا الحسن السبط

ولد سنة ٥٣ هـ وتوفي سنة ٥٠ هـ

نسبه الشريف - هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما،
وأمه السيدة البتول سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وهذا أشرف نسب

مولده - ولد الحسن رضى الله عنه بالمدينة المنورة في منتصف
رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وهو أول أولاد الإمام علي رضى الله
عنهما، والسيدة فاطمة سيدة نساء العالمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس وأم سلمة
رضى الله عنهما: أحضرا فاطمة فاذا وقع ولدها واستهل صارخاً فأذنا في
أذنه اليمنى، وأقما في أذنه اليسرى، فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عَصَم
من الشيطان، ولا تحدثا شيئاً حتى آتيا

فلما ولدت السيدة فاطمة فعلتا ما أمرها به الرسول عليه الصلاة

والسلام ، وأتى الرسول فسرّده ولباه بريقه وقال : اللهم إني أعيذه بك
وذريته من الشيطان الرجيم

ولما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما سميتوه ؟ قالوا : حرباً (لميل العرب الى الشجاعة) قال : بل سموه
حسناً. وقال : يا فاطمة إحلّقي رأسه ، وتصدّقي بزنة شعره فضة ، فوزناه
فكان وزنه درهما أو بعض درهم ، ثم طلى رأسه بيده المباركة وختمه
صلى الله عليه وسلم

وقد أرضعته (أم الفضل) امرأة العباس بن عبد المطلب

كنيته وألقابه

كنيته أبو محمد : وأما ألقابه فكثيرة وهي : التقي ، والزكي ، والسيد
والسبط (ولد الولد^(١)) والولي ، وأكثرها شهرة التقي ، وأعلىها رتبة ما لقبه
به النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في الحديث الصحيح أن ابني هذا (سيد)

شبهه بالنبي ﷺ

روى البخارى في صحيحه عن عقبة بن الحارث قال : صلى أبو بكر
رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشى ومعه على رضى الله عنهما ، فرأى
الحسن رضى الله عنه يلعب مع الصبيان فحمّاه أبو بكر رضى الله عنه على

(١) ويغلب على ولد البنت

عاقته وقال : بأبي شبيهة بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيهاً بعلي .
قال : وعلى رضى الله عنه يتسم

الأحاديث التي وردت في فضله وتعظيمه

وقد ورد في فضله رضى الله عنه أحاديث كثيرة : فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم مرفوعاً الى البراء رضى الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي عاقته وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه وروى الترمذى مرفوعاً الى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن بن علي رضى الله عنهما فقال رجل : نعم المركب ركبت يا غلام . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ونعم الراكب هو

وروى عن الحافظ أبي نعيم فيما أورده في حديثه عن أبي بكر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيجئ الحسن رضى الله عنه وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ، ومرة على رقبته ، فيرفعه النبي صلى الله عليه وسلم رفماً رقيقاً ، فلما فرغ من الصلاة قالوا : يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد . فقال : إن هذا ربحانتي وإن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين

وروى الترمذى عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »
وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هما ریحائتاى من الجنة

وروى أنه صلى الله عليه وسلم مرّ بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال : نعم المطية مطيتهما ، ونعم الراكبان هما .
وكان صلى الله عليه وسلم يعوذها بالكلمات الآتية :

أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة

مناقبه

أدبه وتواضعه وورده للجميل بالاحسان

يحكى عن الحسن بن الإمام على رضى الله عنهما حكاية تدل على رده للجميل وشكره على المعروف وأدبه وتواضعه وذلك :
أنه مرّ بصبيان من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسراً على الأرض ولقماً من العيش

وكان الحسن على بغلته ، فلما مرّ بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا : هَلُمَّ الغداء يا بن رسول الله ؟ فقال : نعم (إن الله لا يحب

المتكبرين) ثم ثنى وركه فتنزل عن دابته ، وقعد معهم على الأرض
واقبل يأكل

وبعد أن فرغوا من الأكل - وكان الخبز الذي معهم قليلاً - قام
سيدنا الحسن وأركبهم معه الى منزله ، ثم أطعمهم أنواعاً من الأكل ،
وكساهم بعد ذلك

فلما سُئل في سبب إطعامهم وكسوتهم ؟ قال : الفضل لهم ؛ لأنهم
لم يجدوا معهم غير قطع الخبز الذي أطعموني ؛ ولكنى أجد كثيراً مما
أعطيتهم ، فيجب أن أقابل الحسنة بثلاثها أو بأحسن منها

كرمه

كان رضى الله عنه كريماً ، فمن كرمه ما نقل عنه : أنه سمع رجلاً
يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الحسن الى منزله
وبعث بها اليه

ومنه أن رجلاً سأله وشكاليه حاله ، فدعا الحسن وكيه وجعل يحاسبه
على نفقاته ومقبوضاته حتى استقصاها فقال له : هات الفاضل ؟ فأحضر
خمسين ألف درهم ؛ ثم قال : ما فعلت بالخمسمائة دينار التى معك ؟ قال :
عندى . قال : فأحضرها . فلما أحضرها دفع الدراهم والدنانير الى
الرجل واعتذر منه

قصته مع العجوز التي أكرمها بألف شاة وألف دينار

روى أبو الحسن المدائني قال : خرج الحسن والحسين ، وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهم حُجاجاً الى بيت الله الحرام ، فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتتهم أتقاهم ، فنظروا الى خباء فقصدوه فاذا فيه عجوز ، فقالوا : هل من شراب ؟ فقالت : نعم . فأناخوا بها وليس عندها إلا شاة فقالت : احلبوها واشربوا لبنها . ففعلوا ذلك ، وأقاموا عندها حتى أبردوا . فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها : يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فاذا رجعنا سالمين فألمى بنا فانا صانعون بك خيراً إن شاء الله تعالى ؛ ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال :

وَيْحَكَ تَذْبِجِينَ شَاتِنَا لِقَوْمٍ لَا نَعْرِفُهُمْ ثُمَّ تَقُولِينَ نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ
ثُمَّ بَعْدَ زَمَنِ طَوِيلٍ أَصَابَتِ الْمَرْأَةَ وَزَوْجَهَا الْفَاقَةُ فَاضْطَرَّتْهُمْ الْحَاجَةُ
إِلَى دُخُولِ الْمَدِينَةِ فَدَخَلَهَا يَلْتَقِطَانِ الْبَعْرَ ، فَمَرَّتِ الْعَجُوزُ فِي بَعْضِ
سُكَّكَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهَا مَكْتَلُهَا تَلْتَقِطُ فِيهِ الْبَعْرَ وَالْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
جَالِسٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَعَرَفَهَا فَنَادَاهَا وَقَالَ لَهَا :
يَا أُمَّةَ اللَّهِ هَلْ تَعْرِفِينِنِي ؟ فَقَالَتْ : لَا . فَقَالَ : أَنَا أَحَدُ ضِيُوفِكَ
يَوْمَ كَذَا سَنَةَ كَذَا فِي الْمَنْزِلِ الْفُلَانِيِّ ، فَقَالَتْ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَسْتَ أَعْرِفُكَ

قال : فان لم تعرفيني فأنا أعرفك ، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطها ألف دينار ، وبعث بها مع غلامه الى أخيه الحسين رضى الله عنه ، فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال : بكم وصلها أخى الحسن ؟ فأخبره الغلام ، فأمر لها بمثل ذلك ثم بعث بها الغلام الى عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ، فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال : والله لو بدأت بي لأتعبتهما ، وأمر لها بألفي شاة وألفي دينار ، فرجعت وهي من أغنى الناس

تصدقته ومواساته للفقراء

وكان رضى الله عنه من شدة كرمه يواسى الفقراء ولا يرد سائلاً فقيل له : لأى شىء نراك لا ترد سائلاً وإن كنت على فاقة ؟ فقال : إني لله سائل ، وفيه رغب ، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأرد سائلاً ، وإن الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض نعمه على ، وعودته أن أفيض نعمه على الناس ، فأخشى إن قطعت أن يمنعنى العادة، وأنشد يقول :

« إذا ما أتانى سائل قلت مرحباً بمن فضله فرض على مُعجل »

(م - ١٤ - رابع)

« وَمَنْ فَضَلَهُ فَضَلَ عَلَى كُلِّ فَاضِلٍ وَأَفْضَلَ أَيَّامَ الْفَتَى حِينَ يُسْأَلُ »
وكان رضى الله عنه جالساً ذات يوم، فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئاً من الصدقة، ولم يكن عنده ما يسد به رمقه، فاستحيا أن يرده فقال: ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البرُّ والخير الكثير؟ فقال: ماذا تدلني عليه؟ فقال: اذهب الى الخليفة فان ابنته توفيت، وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية، فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير الكثير. فقال: حفظنى إياها. قال: قل له: «الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها، ولا هتكها بجلوسها على قبرك» وفي رواية أخرى: «الحمد لله الذى أعزها بجلوسك على قبرها، ولم يذلها بجلوسها على قبرك» فذهب الى الخليفة وعزاه بهذه التعزية، فسمعها الخليفة فذهب عنه الحزن، فأمر له بجائزة سنية وقال: بالله عليك أكلامك هذا؟ قال: لا؛ بل كلام فلان. فقال: صدقت، فانه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أخرى لصدقه

قصته مع معاوية ومصالحته معه

قال أصحاب السير: لما استشهد على رضى الله عنه عمه أهل العراق الى ابنه الحسن فبايعوه، ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية، وسار معاوية بجيش الشام يقصده، فلما تقارب الجيشان،

وتراعى الجمعان ، بموضع يقال له (مسكن بناحية الأنبار) من أرض السواد علم الحسن أنه لم تغاب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى ، فرأى أن المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال « وهكذا السياسة

الحكيمة من الرجل المصلح الحكيم »

فكتب الى معاوية يرأسله، ويخبره بأنه بصير الأمر اليه وينزل عنه على أن يشترط عليه ألا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء ، مما كان في أيام أبيه ، وأن يكون ولي العهد من بعده ، وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه ، ففرح معاوية وأجاب الى ذلك ، إلا أنه قال : إلا عشرة أنفس لا أوثمنهم ، فراجع الحسن فيهم فكتب اليه معاوية : إني قد آليت إنني متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة قطعت لسانه ويده . فراجع الحسن ، إني لا أبايعك أبداً وأنت تطلب قبساً وغيره بتبعة قلت أو كثرت ، فبعث اليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال له : اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه ، فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كل ما اشترط عليه من الأمور المذكورة ، واشترط أن يكون له الأمر من بعده ، فالتزم ذلك كله معاوية ، فخلع الحسن نفسه ، وسلم الأمر الى معاوية ببیت المقدس تورعاً وقطعاً للشر فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة، وارتمل الحسن الى المدينة، وأقام

بها ، وكان نزوله عنها سنة إحدى وأربعين في ربيع الأول ، وقيل في
جمادى الأولى ، وقيل غير ذلك

وذلك مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم في حق الحسن : إن ابني
هذا (سيد) وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (رواه
البخارى) كما تقدم ذكره

ولكونه نزل عنها ابتغاء وجه الله عوضه الله وأهل بيته بالخلافة
الباطنة، حتى ذهب قوم الى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون
إلا من أهل البيت

ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون : يا عار المؤمنين ! فيقول
العارُ خير من النار

مرضه ووفاته

بعد أن تم الصلح بين الحسن ومعاوية ، وخرج الحسن الى المدينة
أقام بها عشر سنين وسقته زوجته (جعدة بنت الأشعث بن قيس
الكندى) السَّم مبقى مريضاً أربعين يوماً ، وكان قد سأها يزيد في
ذلك ، وبذل لها مائة ألف درهم، وأن يتزوجها بعد الحسن ففعلت

ولما مات الحسن بعثت الى يزيد بن معاوية فسأله الوفاء بما وعدها ،
فقال : إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا (وكان ذلك خدعة منه لها)

قال الحافظ أبو نعيم في حليته : لما اشتد الأمر بالحسن قل :
اخرجوا فراشي الى صحن الدار لعلى أتفكر فى ملكوت السموات
(يبنى الآيات) فلما خرجوا به قال : اللهم انى أحسب نفسى عندك
فانها أعز علىّ

وعن عمرو بن اسحاق قال : دخلت على الحسن أنا ورجل نعوذه
فى مرضه فقال : يا فلان سلى . فقال له : والله لا أسألك حتى يعافيك
الله وأسألك . قال : لقد أقيت طائفة من كبدى ، وإنى سقيت السم
مراراً فلم أسقه مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد فوجدت أخاه
الحسين رضى الله عنه عند رأسه فقال له الحسين : من تهم يا أخى ؟
قال : لِمَ ؟ قال : لأن تقتله ؟ قال : نعم . قال : ان يكن الذى أظنه ، فالله
أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكن هو ، فما أحب أن يقتل بى برى .
وروى أنه لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين : يا أخى قد
حضرت وفاتى ، وحن فراقى ، وإنى لأحق بربى ، وأجد كبدى
تقطع ، وإنى لعارف من أين ذهبت ؟ وأنا أخاصمه الى الله تعالى ، ثم
توفى لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين (وقيل تسع)
وأربعين (وقيل غير ذلك من الهجرة ، وصلى عليه سعيد بن العاص
فانه كان والياً يومئذ بالمدينة من جهة معاوية ودفن بالبقيع عند جدته

فاطمة بنت أسد وكان عمره سبعا وأربعين سنة
وكانت مدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام

أولاده

قال ابن الخشاب : أولاده أحد عشر ابنا وبنت واحدة وهم :
١ عبد الله ٢ والقاسم ٣ والحسن ٤ وزيد ٥ وعمر ٦ وعبد الله
٧ وعبد الرحمن ٨ وأحمد ٩ واسماعيل ١٠ والحسين ١١ وعقيل .
والبنت اسمها (فاطمة) وكنيتها أم الحسن وهي أم محمد الباقر بن علي

ذكر نبد من كلامه وحكمه رضي عنه

قال الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده :
إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأل الحسن
رضي الله عنه فقال :

يا بني ما السداد ؟ فقال : يا أبت السداد ، دفع المنكر بالمعروف
قال : فما الشرف ؟ قال : إصطناع العشيرة والاحتمال
قال : فما السماح ؟ قال : البذل في العسر واليسر
قال : فما اللؤم ؟ قال : إجرأز المرء ماله ، وبذله عرضه
قال : فما الجبن ؟ قال : الجرأة على الصديق ، والنكول عن العدو

قال : فما الغنى ؟ قال : رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل

قال . فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ ، وملك النفس

قال : فما المتعة ؟ قال : شدة البأس ، ومنازعة أعز الناس

قال : فما الذل ؟ قال : الفرع عند الصدمة

قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعينك

قال : فما الجد ؟ قال : أن تعطى في العزم ، وتعفو في الجرم

قال : فما السؤدد ؟ قال : إتيان الجميل ، وترك القبيح

قال : فما السفه ؟ قال : إتباع الدناءة وصحبة الغواة

قال : فما الغفلة ؟ قال : ترك المسجد ، وطاعة المفسد

ومن كلامه وحكمه رضى الله عنه :

لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن

لا دين له ، ورأس العقل معاشره الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك

الداران جميعاً ، ومن حرم العقل حرمهما جميعاً

وقال رضى الله عنه : هلاك الناس فى ثلاث : فى الكبر ، والحرص

والحسد . فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس ، والحرص عدو النفس

وبه أخرج آدم من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هايل

وقال رضى الله عنه : دخلت على أبى على بن أبى طالب رضى الله عنه

وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم ، فجزعت لذلك ، فقال لي أتجزع ؟
فقلت : وكيف لا أجزع ، وأنا أراك على هذه الحالة ؟ فقال : يا بنى ،
إحفظ عنى خصالاً أربعمائة إن أنت حفظتني نلت بهن النجاة

يا بنى : لاغنى أكثر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة
أشد من العجب ، ولا عيش ألد من حسن الخلق
واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الاعطاء ، وتمام
الصنيفة خير من ابتدائها

وقال رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم ، ومن بدأ بالكلام
قبل السلام فلا يجيبوه
وسئل عن الصمت فقال : هو ستر العي ، ووزن العرض ، وفاعله
في راحة ، وجليسه في أمن

وكان رضى الله عنه يقول لبنيه وبنى أخيه : تعلموا العلم ، فإن لم
تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه في بيوتكم

مواعظه

ومن مواعظه رضى الله عنه أنه كان يقول :
يا ابن آدم ، عف عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله لك

تكن غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس
بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلاً ، إنه كان بين أيديكم قوم
يجمعون كثيراً ، ويبنون مشيداً ، ويأملون بعيداً . أصبح جمعهم بوراً ،
وعملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً

يا ابن آدم ، إنك لم تنزل في هدم عمرك ، منذ سقطت من بطن أمك ،
فجد بما في يدك لما بين يديك ، فان المؤمن يتزود ، والكافر يتمتع
وكان يتلو هذه الآية بعدها ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾

٢ - سيرة سيدنا الحسين ومناقبه

عليه السلام

ولد سنة ٤ هـ - توفي سنة ٦١ هـ

نسبه الشريف - الإمام الحسين أبوه على كرم الله وجهه ابن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه سيدة النساء البتول فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أشرف نسب

مولده - ولد سيدنا الحسين رضى الله عنه بالمدينة المنورة لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وكانت أمه قد علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضى الله عنه بخمسين ليلة ، وهكذا صح النقل في ذلك . ولما وضعته جاءت به الى جده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبشر به ، وحنكه بريقه ، وأذن في أذنه ، وتفل في فمه ، ودعا له ، وسمّاه حسينا ، يوم السابع ، وعقّ عنه كبشاً ، وقال لأمه : احلّقي رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة ، كما فعلت بأخيه الحسن

ويحتفل المسلمون بمولد الحسين رضى الله عنه كل سنة في جميع بلادهم أياماً ، ولهم في القاهرة موسم يسمونه (مولد الحسين) تزين فيه

الأسواق والبيوت ليلاً ونهاراً، ويقرأ القرآن، ويجتمع الناس لزيارة
المشهد الحسيني من ليلة الاثنين الأول من ربيع الثاني الى ليلة الأربعاء
الأخير منه وهي الليلة الكبيرة، ويتلوها بعض ليال يسمونها اليتيمة،
ثم يحتفل بالمشهد الحسيني وغيره ليلة الخامس من شعبان في كل
سنة بمولده

اسمه

سماه النبي صلى الله عليه وسلم (حسيناً) وهو اسم لم يكن لأحد قبله
عن علي رضي الله عنه قال : لما ولد الحسن سميته حرباً (لميل
العرب الى الشجاعة) فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : أروني
ابني، ما سميتوه؟ قال : قلت : حرباً . قال : بل هو (حسن)

فلما ولد الحسين سميته (حرباً) فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : أروني ابني ما سميتوه؟ قال : قلت حرباً . فقال : بل هو (حسين)
فلما ولد الثالث سميته حرباً ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أروني،
ابني ما سميتوه؟ قلت : حرباً . قال : بل هو (محسن)

كنيته وألقابه

كنيته أبو عبد الله لاغير، وأما ألقابه فهي : الرشيد ، والطيب ،
والزكي ، والوفى ، والسيد ، والمبارك ، والنافع لرضاة الله ، والسبط ،
وأشهرها (الزكي) وأعلاها رتبة ما لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله عنه وعن أخيه الحسن (أنهما سيدا شباب أهل الجنة) وكذلك
(السبط) فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : حسين
سبط من الأسباط ، فكان السيد أشرفها وكذلك السبط

ختانه

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن الحسن والحسين
وختنهما لسبعة أيام من مولدهما

رضاعه

زعم قوم أن الحسين لم ترضعه أنثى ، يقصدون بذلك تعظيمه ، وفضله
غير محتاج الى زيادة ، وقد ثبت أن رضاعه كان كسائر الناس ، وأن
أم الفضل هي التي أرضعته ، بدليل ما جاء في الحديث الشريف : أن
أم الفضل قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله لقد رأيت

أن عضواً من أعضائك في بيتي ، فقال لها : تلد فاطمة غلاماً وترضعينه
بلبن قُثم (ابن أم الفضل)

فولدت حسيناً فأخذته وأرضعته ، حتى تحرك ، فجاءت به النبي صلى
الله عليه وسلم ، فأجلسه في حجره فبال ، فضربت به بين كتفيه فقال لها
النبي : أوجعت ابني رحمتك الله

الأحاديث الواردة في فضله وتعظيمه

قد ورد في حقه رضى الله عنه أحاديث كثيرة تدل على عظم قدره
وتشير الى ارتفاع ذكره منها :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حسين منى وأنا من حسين
اللهم أحب من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط

وروى ابن حبان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
من سرّه أن ينظر الى رجل من أهل الجنة (وفى لفظ) الى سيد
شباب أهل الجنة فلينظر الى الحسين بن على

وروى عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس في
المسجد فقال : أين لكم ؟ فجاء الحسين يمشى حتى سقط في حجره ، فجعل
أصابعه في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففتح رسول الله صلى الله

عليه وسلم فمه، أي فم الحسين ، فأدخل فاه في فيه، ثم قال : اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه

وروى عن زيد بن أبي زياد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكي فقال : ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني ؟

وعن البراء بن عازب قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسين بن علي رضي الله عنهما على عاتقه وهو يقول : اللهم إني أحبه فأحبه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا محبتهم ؟ قال : علي ، وفاطمة ، وابناهما

موجز أخبار حياته

أقام الحسين رضي الله عنه مع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سبع سنين ، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام سبعا وثلاثين سنة ، ومع أخيه الحسن عليه السلام سبعا وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته بعد أخيه إحدى عشرة سنة . فيكون مدة حياته ٥٨ سنة

وكانت إقامة الحسين رضى الله عنه بالمدينة الى أن خرج مع أبيه الى الكوفة فشهد معه واقعة الجمل (ثم صفين) ثم قتل الخوارج وبقى معه الى أن قتل ؛ ثم مع أخيه الى أن سلم الأمر الى معاوية فتحول مع أخيه الى المدينة واستمر بها الى أن مات معاوية ، فخرج إلى مكة ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية ، فأرسل اليهم ابن عمه (مسلم بن عقيل) فأخذ بيعتهم وأرسل اليه فتوجه ، وكان ما كان من قصة قتله

وقال ابن كثير: ان الحسين رضى الله عنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن توفى وهو عنه راض ؛ ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان وصحب أباه (علياً كرم الله وجهه) وروى عنه ، وكان معه في مغازيه كلها فى الجمل وصفين ، وكان معظماً موقراً ، ولم يزل فى طاعة أبيه حتى قتل

ولما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصلح معاوية شق ذلك على الحسين ، فلما استقرت الإمارة لمعاوية كان الحسين يتردد اليه مع أخيه الحسن ، فكان معاوية يكرمهما إكراماً زائداً ويقول لهما : مرحباً وأهلاً ، ويعطيهما عطاءً جزلاً ، وقد أطلق لهما فى يوم واحد مائتى ألف وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله لا يعطيكما أحد قبلى

ولا بعدى . فقال الحسين : والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا
بعدك رجلين أفضل منا

ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إليه ، ويقدم كل عام عليه

نشأته في حياة جده رسول الله ﷺ

كان الحسين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم طفلاً وأقام معه
ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام

وقال عبد الله بن شداد : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في إحدى صلاة العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً ، فتقدم النبي صلى
الله عليه وسلم فوضعه ، ثم كبر للصلاة فأطال سجدة الصلاة ، فرفعت
رأسي ، فاذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد
فرجعت الى سجودي فلما قضى الصلاة قيل : يا رسول الله : إنك
سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث
أمر أو أنه يوحى اليك

قال : كل ذلك لم يكن ؛ ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله
حتى يقضى حاجته (أخرجه النسائي)

محبة عمر بن الخطاب للحسن والحسين

قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحب الحسن والحسين ، ويقدمهما على ولده ، ولقد قسم يوماً فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم ، وأعطى ولده عبد الله ألف درهم ، فعاتبه ولده وقال : قد علمت سبقى فى الإسلام وهجرتى وأنت تفضل على هذين الغلامين . فقال : ويحك يا عبد الله اتنى بجد مثل جدكما ، وأب مثل أبيكما ، وأم مثل أمكما ، وجدة مثل جدتهما ، وخال مثل خالهما ، وخالات مثل خالاتهما ، وعم مثل عمكما ، وعممة مثل عمتهما : جدكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوها على كرم الله وجهه ، وأمهما فاطمة ، وجدتهما خديجة ، وخالها إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم ، وعمهما جعفر بن أبى طالب ، وعمتهما أم هانئ بنت أبى طالب

وقال ابن عساکر فى تاريخه : جعل عمر عطاء الحسن والحسين مثل عطاء أبيهما ، فألحقهما بفريضة أهل بدر ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف

وقيل : قدم على عمر حلال من اليمن فسكسا الناس ، فراحوا فى

(م - ١٥ رابع)

الحلل وهو بين القبر والمنبر جالس والناس يأتون فيسلمون عليه ،
وبدءون ، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة يتخطيان
وكان بيت فاطمة في جوف المسجد ليس عليهما من تلك الحلل شي ،
وعمر قاطب ما بين عينيهِ ؟ ثم قال : والله ما هنأني ما كسوتكم .
قالوا : لِمَ يأمر المؤمنين ؟ فقال : من أجل هذين الغلامين يتخطيان
الناس ليس عليهما مما كسوت الناس شي .

ثم كتب لصاحب اليمن : أن ابعث اليّ مجلتيْن لحسن وحسين
وعجل . فبعث اليه مجلتيْن فكساها ، فلما كساها قال : الآن طابت نفسي

صفة الحسين رضي الله عنه

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك في مناقب الحسن والحسين
فقال : كان أشبههما برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علي رضي الله عنه : الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بين الصدر الى الرأس ، والحسين أشبه ما أسفل ذلك
فمن هذين الحديثين يظهر أن الحسن والحسين كلاهما كان يشبه جده
صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدهما ، وهو الحسن ، أشد شبيهاً به من الآخر
في بعض مواضع من جسمه ، أو في زمن حياته وبعده ، وكان الحسين
يتشبه به صلى الله عليه وسلم فيما لم يكن يشبهه فيه

وبالجملة كان الحسين في غاية الجمال كما قال عبد القادر البغدادي :
مارأيت أحداً قط أحسن ولا أملاً للعين من الحسين
وروى ابن عساكر في تاريخه أنه كان في صوت الحسين غنةً حسنةً
وهي صوت لذيذ يخرج من أقصى الأنف ، وشبهه به صوت الرياح في
الأشجار الملتفة ولذلك قيل (روضة غناء)

وعن أبي هريرة قال : كان الحسن والحسين يصطرعان بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي أنهما كانا يلعبان في طفولتهما وصباهما
وكان للحسين رضى الله عنه خاتم منقوش عليه (ان الله بالغ أمره)
وقال ابن الصباغ : نقش خاتم الحسين (لكل أجل كتاب)

مناقبه إجمالاً كما ذكرها

المرحوم على بك جلال الحسيني المستشار في كتابه (الحسين)

قد جمع الحسين رضى الله عنه الفضائل ، ومكارم الأخلاق ،
ومحاسن الأعمال ، من علو الهمة ، ومنتهى الشجاعة ، وأقصى غاية
الجود والكرم ، وأسرار العلم ، وفصاحة اللسان ، ونصرة الحق ،
والنهي عن المنكر ، وجهاد الظلم ، والتواضع عن عز ، والعدل والصبر ،
والحلم والعفاف ، والمروءة والورع ، وغيرها

واختص بسلامة الفطرة ، وجمال الخلقة ، ورجاحة العقل ، وقوة الجسم

وأضاف الى هذه المحامد كثرة العبادة ، وأفعال الخير والتقوى ،
كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد في سبيل الله والإحسان
وكان إذا أقام بالمدينة أو غيرها مفيداً بعلمه ، مرشداً بعمله ، مهذباً
بكريم أخلاقه ، مؤدباً ببلغ بيانه ، سخياً بماله ، متواضعاً للفقراء ، معظماً
عند الخلفاء ، مواصلاً للصدقة على الأيتام والمساكين ، منصفاً
للمظلومين ، مستقلاً بعبادته

مشى من المدينة على قدميه الى مكة حاجاً خمساً وعشرين مرة ،
وعاش مدة يقاتل مع أيه أصحاب الجمل ، فجنود معاوية ، فالخوارج
وينتقل مع جيوش المسلمين الى أقطار الأرض في فتح أفريقية وغزو
جرجان وطبرستان وقسطنطينية

وهو في جميع أيام حياته مثابر على الاهتداء بهدى جده صلى الله

عليه وسلم

فكان الحسين في وقته علم المهتدين ، ونور اليقين ، فأخبار حياته

فيها هدى للمسترشدين بأنوار محاسنه ، المقتفين آثار فضله وإحسانه

كرمه وجوده

قد اشتهر النقل عنه عليه السلام بأنه كان يكرم الضيف ، ويمنح الطالب ، ويصل الرحم ، ويُنيل الفقير ، ويسعف السائل ، ويكسو العارى ، ويشبع الجائع ، ويعطى الغارم ، ويشد من الضعيف ، ويشفق على اليتيم ، ويعين ذا الحاجة ، وقلّ أن وصله مالاّ إلاّ فرقه (كما قال محمد بن أبي طلحة الشافعي القرشي في (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) في الفصل السابع ، في كرم الحسين وجوده

وروى أحمد بن سليمان في (عقد اللآل في مناقب الآل) أن الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام ، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد ، (وعتبة بن أبي سفيان) في ناحية أخرى ، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها بباب المسجد ، ودخل فوقف على (عتبة بن أبي سفيان) فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، فقال له الأعرابي إني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية ، فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فرفع رأسه الى غلامه وقال : ادفع اليه مائة درهم . فقال الأعرابي : ما أريد إلاّ الدية تماماً ، ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له مثل ما قال لعتبة . فقال عبد الله لغلامه : ادفع اليه مائتي درهم . فقال الأعرابي : ما أريد إلاّ الدية تماماً

ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام فسلم عليه وقال : يا ابن رسول الله إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية ، فهل لك أن تعطيني شيئاً ؟ فقال له : يا أعرابي : نحن قوم لانعطي المعروف إلا على قدر المعرفة . فقال : سل ما تريد ؟ فقال له الحسين عليه السلام : يا أعرابي ما النجاة من الهلكة ؟ قال : التوكل على الله عز وجل . فقال : وما الهمة ؟ قال : الثقة بالله ، ثم سأله الحسين عليه السلام غير ذلك وأجاب الأعرابي ، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم . وقال له : هذه لقضاء ديونك ، وعشرة آلاف درهم أخرى ، وقال : هذه تلم بها شعئك ، وتحسن بها حالك ، وتنفق منها على عيالك ، فأنشأ الأعرابي يقول :

« طربت وما هاج لي مَعْبِقِ ولا لي مقام ولا مَعشوق »
« ولكن طربت لآل الرسول ل فلذ لي الشعر والمنطق »
« هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق »
« سبقت الأنام إلى المكرمات وأنت الجواد فلا تلحق »
« أبوك الذي ساد بالمكرمات فقصر عن سبقه السُّبق »
« به فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكم مُغلق »

وروى ابن عساكر في التاريخ الكبير : أن سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

« لم ينجب اليوم من رجالك ومن حرك من خلف بابك الحلقه »

« أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كانت قاتل الفسقه »

وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلى فحفف من صلاته وخرج الى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرر وفاقة ، فرجع ونادى (بقنبر) فأجابه :

لييك يا ابن رسول الله . قال : ماتبقى معك من نفقتنا ؟ قال : مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك . فقال : هاتها فقد آتى من هو أحق بها منهم ، فأخذها وخرج يدفعها الى الأعرابي وأنشأ يقول :

« خذها فاني اليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقه »

« لو كان في سبرنا عصا تُمد اذن كانت سمانا عليك مندفته »

« لكن ريب المنون ذونكد والكف منا قليلة النفقه »

فأخذها الأعرابي وولى وهو يقول :

« مطهرون تقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا »

« وأنتم أنتم الأعلون عندكم علم الكتاب وما جاءت به السور »

« من لم يكن علويًا حين تنسبه فماله في جميع الناس مفتخر »

وقال نور الدين على بن محمد بن الصباغ في الفصول المهمة : كتب

أخوه الحسن يلوم على إعطائه الشعراء . فكتب اليه : أنت أعلم مني

أن خير المال ما وقي العرض

وروى السيد محسن بن عبد الكريم الحسيني ؛ أن الحسن عليه السلام : دخل على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول : واغماه ! فقال الحسين عليه السلام وما غمك يا أخي ؟ قال : دَبْنِي ، وهو ستون ألف درهم . فقال الحسين عليه السلام : هوَ عليّ . قال : إني أخشى أن أموت فقال : لَنْ تموت حتى أقضيها عنك ، فقضاها قبل موته

حسن أدبه وظرفه

روى ياقوت المستعصي في رسالته ، ونور الدين علي بن محمد بن الصباغ عن أنس قال : كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيتته بها . فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى . فقلت له : جارية تحيك بطاقة ريحان فتمتعها ؟ فقال : كذا أدبنا الله ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّدْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ وكان أحسن منها عتقها

ويحكى أن الحسن والحسين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا على شط الفرات إذ نظرا الى شيخ أعرابي خفف الوضوء والصلاة فقالا : لو قلنا له غلظت ربما لا ينقاد الى الحق . فقالا له : نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم منا بأمر الوضوء والصلاة فنتوضأ ونصلي أمامك فإن كان عندنا قصور فعلمنا

فتوضاً وصلياً كما رأيا من جدّها صلى الله عليه وسلم فتاب الشيخ

ورجع عن صنيعه

حامه وعفوه

جنى بعض مواليه جناية توجب التأديب فأمر بتأديبه فقال :
يامولاي ، قال الله تعالى : « والكاظمين الغيظ » قال عليه السلام : خلوا
عنه فقد كظمت غيظي . فقال : « والعافين عن الناس » قال عليه السلام :
قد عفوت عنك . فقال : « والله يحب المحسنين » قال عليه السلام :
فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى ، وأجازه بمجازة سنية

عفته وعزة نفسه

إن الحسين عليه السلام كان عفيفاً عزيز النفس فما كان يأخذ
صلات معاوية كما زعم بعضهم ؛ بل كان يأخذ منه حقه في بيت المال .
بدليل أنه قيل : أن معاوية لما قدم مكة وصله بمال كثير ، وثياب
وافرة ، وكسوة فاخرة ، فردّ الجميع عليه ، ولم يقبل منه شيئاً ، فهذه صفة
العفة والنزاهة ، وصفة من حوى مكارم الأخلاق
وأنه عليه السلام لم يكن فقيراً قط ؛ بل كان له في جميع أيام حياته
من المال ما يكفيه وزيادة ، وأنه كان شبيهه أيه كرم الله وجهه وجده

عليه الصلاة والسلام في غنى النفس ، فلم يكن حريصاً على كثرة المال ولا مولعاً بجمعه ، مغرّى بادخاره ؛ بل كان جواداً كريماً ، فكان يحسن بما يزيد عن حاجته ، ويجود على غيره ، ولا يجود غيره عليه

نهيّه عن الإسراف والتبذير

كان الحسين عليه السلام مع جوده الذي امتاز به ، وكرمه الذي يندر نظيره ، لا يتجاوز حد السخاء الى الإسراف ، وينهى عن التبذير ، فقد روى عن ياقوت المستعصمي في أسرار الحكماء قوله : لا تتكلف مالا تطيق ، ولا تنفق إلا بقدر ماتستفيد

وروى المبرد في الكامل والقزويني في عجائب المخلوقات : أن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب قال له الحسن والحسين عليهما السلام : إنك قد أسرفت في بذل المال . فقال : بأبي أنا وأمي ، إن الله تعالى عودني أن يتفضل عليّ ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة ، فيقطع عني المادة

شجاعته

كان الحسين عليه السلام شجاعاً مقداماً منذ كان طفلاً قال محمد بن أبي طلحة (بعد ذكر الجيش الذي أرسله ابن زياد

لقتاله) مانصه : فنصب عليه السلام نفسه وأخوته وأهله لمحاربتهم ، واختاروا بأجمعهم القتل على متابعتهم ليزيد ومبايعتهم ، فأعلقتهم الفجرة الطغام ، وأرهقتهم المردة اللثام ، ورشقتهم النبال والسهام . هذا والحسين عليه السلام ثابت لا يتخف حصة شجاعته ، ولا تجف عزيمة شهامته ، وقدمه في المعترك أرسى من الجبال ، وقلبه لا يضطرب لهول القتال ، ولا لقتل الرجال

وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة فقال : مَنْ مِثْلِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (يوم الطف) ما رأينا مكشورا قد أفرق من إخوته وأهله وأنصاره أشجع منه ، كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطماً ، وما ظنك برجل أبت نفسه الدنية ، وأن يُعطى بيده ققاتل حتى قتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمه بعد بذل الأمان لهم ، والتوثقة بالأيمان المغلظة ، وهو الذي سن للعرب الأبياء واقتدى به أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم

وقال أيضاً : سيد أهل الآباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدنية ، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، عرض عليه الأمان وأصحابه فأنف من الذل ، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لا يقتله فاختار الموت على ذلك

وجاء في لسان العرب في حديث مقتل الحسين عليه السلام ما يأتي :
مارأينا مكثوراً أجراً مقدماً منه (المكثور المقلوب وهو الذي
تكاثر عليه الناس فقهروه) أى مارأينا مقهوراً أجراً إقداماً منه
وقال على بن عيسى في كشف الغمة : شجاعة الحسين عليه السلام
يضرب بها المثل ، وصبره في الحرب أعجز الأواخر والأوائل

فراسته

ذكر ابن قيم الجوزية فقال : من أنواع الفراسة فراسة الحسين
رضى الله عنه ، وهى :

أن رجلاً ادعى عليه مالا ، فقال الحسين عليه السلام : ليحلف على
ما ادعاه ويأخذه

فتبياً الرجل اليمين وقال : والله الذى لا إله إلا هو . فقال الحسين :
قل والله ، والله ، والله ، إن هذا الذى تدعيه ، فبكى . ففعل الرجل ذلك
وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً

فقيل للحسين : لم فعلت ذلك ؟ أى عدلت عن قوله (والله الذى
لا إله إلا هو) الى قوله . والله ، والله ، والله . فقال : كرهت أن
يثنى على الله فيحلم عنه

ومقتضى العقل والتجربة فى ذلك أن من عرضت عليه اليمين فقد

فوض اليه حصمه أن يحكم في النزاع بينهما بالعدل ولو عليه ثقة منه به ،
والذي يحلف كاذباً يكره نفسه على مخالفة الحق ، ويحس أنه ظلم خصمه
فتلومه نفسه ، ويكون لكل هذا أثر في أعصابه

فخصم الحسين عليه السلام فاجر حلف كاذباً ثم أدرك خطأه وتذكر
عظيم شأن اليمين وجليل قدر الحسين وشهرته بالصدق فخاف العقاب
في الآخرة ، والعار في الدنيا ، ولا مته نفسه فحدث له رعب شديد ،
وصدمة عصبية ، كما يقول الأطباء فمات . (وهذا ما قرره المرحوم علي
بك جلال في كتابه)

عبادته وصلاته

كان الحسين عليه السلام فاضلاً كثير الصلاة والصوم والحج
والصدقة وأفعال الخير جميعها كما رواه ابن الأثير

تواضعه

روى ابن عساکر في تاريخه : أن الحسين مرّ بمساكين يأكلون
في الصُفرة فقالوا : الغداء ، فنزل وقال : إن الله لا يحب المتكبرين ،
فتغذى معهم ثم قال لهم :

قد أجبتكم فأجيبيوني . قالوا : نعم . فمضى بهم الى منزله وقال
لخادمته (الرباب) أخرجي ما كنت تدخرين

روى ابن قتيبة في عيون الأخبار : أن عبد الله بن الزبير دعا الحسين عليه السلام فحضر وأصحابه فأكلوا ولم يأكل فقيل له : ألا تأكل ؟ فقال : إني صائم ؛ ولكن تحفة الصائم . قيل : وما هي . قال : الدهن والمجمر (العود يوضع في الجمر يتبخر به) فهو وإن كان امتنع عن الأكل ؛ ولكنه أجاب الداعي وطلب شيئاً من الطيب تطيباً لحاطره وإكراماً للداعي والحاضرين

علمه

إن الحسين عليه السلام كان عالماً فاضلاً ، وكان الناس يقدمون عليه بالمدينة وينتفعون بما يسمع منه ، ويضبطون ما يروونه عنه
وذكر ابن عمر الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال : إنما كانا يغرّان العلم غرّاً

نبد من كلامه وحكمه

قال الحسين عليه السلام

١ - إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد ألا يعرفك ،

فإن أشقى الأعراض به معارفه

٢ - لا تتكلف ما لا تطيق ، ولا تتعرض لما لا تدرك ، ولا تعد بما

لا تقدر عليه ، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً . (عن ياقوت المستعصي في أسرار الحكماء)

٣ - شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ،

والبخل عن الإعطاء .

٤ - قال لنافع بن الأزرق لما قال له : صف لي إلهك الذي تعبد

يانافع من وضع دينه على القياس ، لم يزل الدهر في الالتباس ،

مائلًا إذا كبا عن المنهاج ، ظاعنًا بالاعوجاج ضالًّا عن السبيل ، قائلاً

غير الجميل ؛ يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه فأقول :

لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب غير ملتصق ، وبعيد

غير مستقص ، يوحد ولا يُبعض ، معروف بالآيات ، موصوف

بالعلامات ، لا إله إلا هو الكبير المتعال . فبكى الأزرق وقال :

ما أحسن كلامك ؟ فقال : بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر

وعلى . قال ابن الأزرق : أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم

منار الإسلام ، ونجوم الأحكام (عن ابن عساكر)

٥ - ومن كلامه رضى الله عنه : حوائج الناس من نعم الله عليكم ،

فلا تملوا نعم فتعود نعمًا

وقال : صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك ، فأكرم وجهك

عن رده

وقال : الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والصلة نعمة ، والاستكثار صلف ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، والغلو ورطة ، ومجالسة أهل الدناءة شر ، ومجالسة أهل الفسوق ريبة

بعض كتبه

١ — كتابه الى معاوية في أمر خاص

كتب معاوية الى الحسين عليه السلام

من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن علي :

أما بعد : فانه بلغني أنك تزوجت جاريتك ، وتركت أ كفاءك من

قريش ممن تستنجبه للولد ، وتمجد به في الصهر ، فلا لنفسك نظرت ،

ولالولدك انتقيت

فكتب اليه الحسين :

أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وتعبيرك إياي بأني تزوجت مولاتي

وتركت أ كفائي من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ،

ولا غاية في نسب ؛ وإنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر

التمست فيه ثواب الله ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد
رفع الله بالإسلام الحسيسة ، ووضع عنابه النقيصة ، فلا لوم على امرئ
مسلم إلا في أمر ماثم ، وإنما اللوم لوم الجاهلية

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه الى يزيد فقرأه وقال : لشد ما فخر
عليك الحسين . قال : لا ؛ ولكننا ألسنة بنى هاشم الحداد التي
تفلق الصخر ، وتعرف من البحر

٢ - كتابه الى أهل الكوفة

لما تابعت على الحسين مع رسل أهل الكوفة كتبهم يستدعونه ،
كتب الحسين اليهم جميعاً كتاباً واحداً ودفعه الى هانى بن هانى
وسعيد بن عبد الله وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم - من الحسين بن علي إلى من بلغه كتابي
هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة

سلام عليكم ، أما بعد فقد أتتني كتبكم ، وفهمت ما ذكرتم من
محبتكم بقدمي عليكم ، وأنا باعث اليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي
(مسلم بن عقيل) ليعلم لي كنه أمركم ، ويكتب اليّ بما يتبين له من

اجتماعكم ، فان كان امركم على ما اتنى به كتبكم ، وأخبرتني به رسلكم
أسرعت القدوم عليكم ، إن شاء الله ، والسلام

أما صورة الكتاب الذى أرسل اليه من أهل الكوفة فهاهو :

بسم الله الرحمن الرحيم - للحسين بن على أمير المؤمنين من شيعة
وشيعة أبيه رضى الله عنهما

أما بعد ، فان الناس منتظرونك ، لارأى لهم فى غيرك ، فالعجل العجل
يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلى الله أن يجمعنا بك على
الحق ، ويؤيد الإسلام بك ، بعد أجزل السلام وأتمه عليك ، ورحمة
الله وبركاته

٣ - كتابه الى أهل الكوفة مع قيس بن سهر الصيداوى

بسم الله الرحمن الرحيم - من الحسين بن على إلى إخوانه من
المؤمنين المسلمين

سلام عليكم ، فانى أحمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فان
كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملككم
على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ، وأن
يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء

ثمان ماضين من ذى الحجة (يوم التروية) فاذا قدم عليكم رسولى
فاكتبوا أمركم وجدوا ، فانى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله
تعالى والسلام

٤ - كتابه الى أهل البصرة

روى ابن جرير الطبرى وابن كثير ، أن الحسين بعث مع مولى له
يقال له (سليمان) كتاباً الى أشرف أهل البصرة نسخة واحدة فيه :
أما بعد ، فان الله اصطفى محمداً على خلقه ، وأكرمه نبوته ،
واختاره لرسالته ، ثم قبضه اليه ، وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أرسل به ،
وكننا أهله وأولياءه وورثته ، وأحق الناس بمقامه ، فاستأثر علينا قومنا
بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة ، وأحبينا العاقبة ، ونحن نعلم إنا أحق
بذلك الحق ممن تولاه ، وقد أحسنوا ، وأصلحوا ، وتحروا الحق ، فرحمهم
الله ، وغفر لنا ولهم

وقد بعثت اليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم (الى كتاب الله وسنة
نبيه) فان السنة قد أميتت ، وإن البدعة قد أُحييت ، فان تسمعوا قولى
وتطيعوا أمرى ، أهدكم الى سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله

بعض خطبه في المواعظ والحكم

قال رضى الله عنه في خطبة خطبها : أيها الناس نافسوا في المكارم ،
وسارعوا في المغنم ، واكتسبوا الحمد بالمنح ، واعلموا أن المعروف
يكسب حمداً ، ويعقب أجراً ، ولو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً
جيلاً يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه
القلوب وتغض دونه الأبصار

أيها الناس : من جاد ساد ، ومن بخل ذل . وان أجود الناس
من أعطى من لا يرجوه ، وأعف الناس من عفا عن قدرة ، وأفضل
الناس من وصل من قطعته ، ومن يعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم
عليه ، ومن أحسن أحسن الله إليه ، والله يحب المحسنين

ومن كلامه في الحرب التي اختار الله له بها ما عنده في خطبة ألقاها :
بعد أن حمد وصلى قال : قد نزل من الأمر ماترون ، وان الدنيا
قد تغيرت وتسكرت ، وأدبر معروفها وانشمرت ، حتى لم يبق منها
إلا كصابة الإناء ، وإلا خسيس عيس كالمرعى الويل ، ألا ترون
الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله
عز وجل وإني لأرى الموت إلا سعادة ، ولا أرى الحياة مع الظالمين
إلا جرماً

خطبة له في اليوم الذي استشهد فيه

قال ابن عساكر في كتاب التاريخ الكبير : خطب الحسين في اليوم الذي استشهد فيه فقال بعد الحمد والثناء : عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر ، فان الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، وأرضى بالقضاء ، غير أن الله خلق الدنيا للبلاء ، وخلق أهلها للفناء ، فجددها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفر ، والمنزل بلغة (اليسير من الزاد) والدار قلعة (أى ليست بمستوطنه) فتزودوا ، فان خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

دعاؤه

روى محمد بن جرير الطبري وابن كثير : أنه لما صبغت الخيل الحسين يوم الطفّ (اليوم الذي استشهد فيه الحسين) رفع يديه فقال : اللهم أنت تقى في كل كرب ، ورجائى في كل شدة ، وأنت لى في كل أمر نزل ثقة وعدة ، كم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك ، وشكوته اليك

رغبة منى اليك عن سواك ، ففرجته وكشفته وكفيتنيه ، فأنت ولي كل
نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة
ومن دعائه بالكعبة الشريفة : إلهى نعمتى فلم تجدنى شاكرآ ،
وابليتنى فلم تجدنى صابراً ، فلا أنت سلبت النعمة لترك الشكر ، ولا
أدمت الشدة لترك الصبر ، إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم

شعره فى الحكم

« إذا ماعضك الدهر فلا تجنح الى الخلق »
« ولا تسأل سوى الله تعالى قاسم الرزق »
« فلو عشت وطوّفت من الغرب الى الشرق »
« لما صادفت من يقدر أن يسعد أو يُشقى »

وقال ابن عساکر : يقال : ان هذه الآيات للحسين رضى الله عنه
« اغن عن المخلوق بالخالق »
« واسترزق الرحمن من فضله »
« من ظن أن الناس يغفونه »
« فليس غير الله من رازق »
« فليس بالرحمن من واثق »
« أو ظن أن المال من كسبه »
« زلت به النعلان من خالق »
وقال الأعمش : ومن كلامه أيضاً :

« كلما زيد صاحب المال مالا زيد فى همّه وفى الاشتغال »

« قد عرفناك يا منقصة العيش ويا دار كل فان وبال »

« ليس يصفو لزاهد طلب الزهد اذا كان مثقلا بالعيال »

وروى ابن كثير قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء

بالبقيع فقال :

« ناديت سكان القبور فأسكتوا فأجابني عن صمتهم ترب الحشا »

« قالت : أتدري ما صنعت بساكني مزقت لحمهم وخرقت الكسا »

« وحشوت أعينهم ترابًا بعدما كانت تأذى باليسير من القذا »

« أما العظام فأنى مزقتها حتى تباينت المفاصل والشوى »

« قطعت ذا من ذا ومن هذا كذا فتركتها مما يطول بها البلى »

ومن كلامه رضى الله عنه فى البغى :

« ذهب الذين أحبهم وبقيت فيمن لا أحبه »

« فيمن أراه يسبني ظهر المغيب ولا أسبه »

« أفلا يرى أن فعله مما يسير اليه غيه »

« حسبي برى كافيا مما اجتنى والبغى حسبه »

خلاصة ما قيل في مقتل الحسين عليه السلام

وانتقاله الى النعيم المقيم

ان مقتل الحسين عليه السلام من الحوادث العظيمة ، وذكراه نافعة ، وإن كان حديثه يحزن كل مسلم ، ويسخط كل عاقل ، لأنه لما ظهر من فسق (يزيد بن معاوية) واستهتاره بالفواحش ، وظلمه وتهاونه بالدين ، بايع أهل العراق الحسين وعاهدوه على أن ينصروه عليه واستدعوه ، فرأى الحسين عليه السلام أنه تعين عليه جهاده ، والقيام بأمر الأمة بدله ، فسار اليهم في أهل بيته فخذلوه ، وقتلته منهم خمسة آلاف وهو في اثنين وسبعين من أهله وأصحابه فصبر وقاتل ولم يستسلم ، فمنعوه الماء مستعينين بالعطش على قتاله ، مع أنه سقاهم وسقى خيلهم وهو يملك الماء وقتلوا ابنه (عبد الله) طفلاً وهو في حجره ، رماه أحدهم بسهم فذبحه ، فقاتل عنه أصحابه حتى قتلوا عن آخرهم

ولما بقي الحسين وحده ، تكاثروا عليه فجرحوه أكثر من سبعين جرحاً ، فلما صرع ذبحوه ، وداسوه بخيولهم ، واجتزوا رأسه الشريفة ورءوس جميع أصحابه حتى ملابسهم ، وتركوا أجسادهم بالعراء مجردة

بغير دفن ، واحتملوا الرؤوس على أطراف الرماح والصبيان والنساء
كالسبايا من كربلاء الى الكوفة ، ومن الكوفة الى دمشق ، وبين
الكوفة ودمشق كانت النساء على أقتاب الإبل ، وكان زين العابدين
مغلولاً الى عنقه

فأى فاجعة أقطع من مقتل الحسين ! وقد مضى شهيداً . مظلوماً ،
كريمًا ، صابراً ، مكثوراً

وأى عدو أحط نفساً ، وأعظم جهلاً ، وأغلظ كبدًا من خصومه !
إذ ارتكبوا هذه الخيانة ، وهم يعرفون جليل قدره ، طلباً للحظوة عند
أميرهم ، وطمعاً في المال ، فباعوا آخرتهم بدنياهم ، غير أنه لم يثبت أن
يزيد أمر بالقتل ؛ بل قيل : أنه لما حملت اليه رأس الحسين غضب
لذلك وتالم جداً ، وصرح بأنه ما كان يجب قتله

واللوم كل اللوم على أهل العراق ، فهم المسؤولون عما صنعوا ، المؤخذون
بما أساءوا ؛ لأنهم أخلفوا الحسين ما وعدوه ، ثم خذلوه وقتلوه حتى
قُتل ، وكان ذلك لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة إحدى
وستين من الهجرة بموضع يقال له (كربلاء) في أرض العراق بناحية
الكوفة ويعرف أيضاً (بالطف)

ومن غريب أمر شيعة الحسين أنهم خذلوه حياً ، ونصروه ميتاً ،
فإنهم بعد قتله ندموا على ما فرطوا في حقه ، وسموا أنفسهم (التوايين)
وقاموا لأخذ ثاره ، فلم يستبينوا الرشد من الغي إلا ضحى الغد
وجزى الله المختار وأصحابه خيراً ، فإنهم شفوا غليل الصدور بانتقامهم
من قاتليه

ومن عجيب أمره عليه السلام أن يقتله شيعة ثم يجددون الحزن
عليه في جميع بلاد المسلمين كل عام من يوم قتله للآن . (عن كتاب
الحسين للمرحوم علي بك جلال)

السبب في نزول هذه الكارثة العظيمة

كما ذكره المرحوم السيد محمود البيلالوى

في كتابه التاريخ الحسينى

والسبب في هذه النازلة العظيمة أن (يزيد) لما مات أبوه (معاوية) سنة ستين من الهجرة وتولى الخلافة بعده، أرسل الى (الوليد بن عقبة) ليأخذ بيعة الحسين (وعبد الله بن الزبير) رضى الله عنهما فأرسل لهما ليلاً فقالا: مثلنا لا يبايع سرّاً؛ ولكن نبايع على رؤوس الناس

ثم خرجا تحت الليل الى مكة، ليلة الأحد الثامن والعشرين من رجب من السنة المذكورة، فأقام الحسين رضى الله عنه بها أربعة شهور جاءه في خلالها رسائل عديدة من أهل الكوفة يدعونه بها للخلافة، ويعدونهم إذا أجابهم أنهم يعززونهم وينصرونهم، وإلا سألوهم بين يدي ربه عما فشا في الأرض من ظلم الظالمين. فأجاب سؤلهم وسافر يوم (التروية) ميمماً الكوفة، فأرسل يزيد لما بلغه ذلك الى (عبيد الله ابن زياد) ليجهز جيشاً تحت قيادة (الحصين بن قميم) صاحب الشرطة فأرسله ونظم الخيل بين القادسية وجبل لعلع

فلما بلغ الحسين رضى الله عنه ذلك أرسل الى أهل الكوفة يخبرهم

بسد الطريق بالحصين ، ويذكركم بوعدهم له ، وأعطى الكتاب (تقيس بن مسهر) فظفر به الحصين قتلته ، ثم أقبل الإمام نحو الكوفة ومعه خلائق لا تحصى اتبعته في الطريق ، وإذا بناع يعنى (مسلم بن عقيل) الذى أرسله الى أهل الكوفة يخبرهم بقدومه ، فلما بلغه ذلك تغير خاطره الشريف وقال :

« أيها الناس ، قد خذلتنا شيعتنا ، فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه منا ذمام » ففرقوا عنه ، وبقى فى أصحابه الذين جاءوا معه فسافر بهم ، وإذا هو بالخليل قد أدركته وعليها ألف فارس تحت قيادة (الحربن يزيد التميمي) فقال لهم الحسين رضى الله عنه :

« أيها الناس ، انهما معذرة الى الله واليكم ، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن أقدم علينا ، فليس لنا إمام يجمعنا على الهدى ، وقد جئتكم ، فان تعطوني ما أطمئن به من عهدكم أقدم مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين ، رجعت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه » فسكتوا

فقال الحسين رضى الله عنه : أيها الناس ، إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله ، ونحن أهل البيت أحق بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ، ما ليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان ، فان أتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم انصرفت

عنكم ، فإنكر (الحر) ومن معه تلك الكتب وقالوا: إنا قد أمرنا باحضارك الى ابن زياد

فقال : الموت أدنى من ذلك ، وأمر أصحابه بالمسير فمنعهم (الحر) فقال الحسين رضى الله عنه : ثكلتك أمك، ما تريد ؟

قال : إني لم أؤمر بقتالك ؛ بل باحضارك الى ابن زياد ، فخذ طريقاً لاتدخلك الكوفة، ولا توصل الى المدينة، حتى أكتب الى ابن زياد ، وتكتب أنت الى يزيد والى ابن زياد، لعل الله يعصمى أن أتلى بشيء من أمرك

فسار كذلك، واذا (بعمربن سعد) قادمًا من الكوفة بأربعة آلاف وذلك يوم الجمعة خامس المحرم سنة إحدى وستين فأخبر الحسين بأن ابن زياد أمره بمنعه الماء حتى يبائع ليزيد، فمُنِع رضى الله عنه من شرب الماء هو ومن معه قبل القتل بثلاثة أيام ؛ ثم أخذت عمراً رقةً فاتفق على الصلح على شروط أرسلها الى ابن زياد لاستئذانه فى أمرها، فغضب وأبى وأرسل (شمر بن ذى الجوشن) بكتاب لعمر يعنفه فيه ، فأحاطوا به وأخبروه بأن ابن زياد يخيِّره بين مبايعة يزيد أو القتل ، فاستمهلهم للصباح ، فبات مع أصحابه طول الليل فى تضرع وابتهاال واستغاثة بالله من هذا الكرب المحدق بأهل البيت الكرام

فما أصبح الصباح جهز عمر جيشه للحرب ، فخرج الإمام الحسين

رضى الله عنه في أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً وأثنى وثلاثين فارساً، ولكن ماذا يصنعون أمام ذلك الجيش المدرع بالمظالم؟ فوضع الإمام مصحفاً بين يديه، ورمى عمر إلى جبهته سهماً وقال: اشهدوا أنى أول من رمى سهماً في الناس، فاشتد الكرب، وحى وطيس الحرب، وصرع أصحاب الإمام، وأحاطوا به من كل حذب، واقتتلوا قتالاً عنيفاً أبلى فيه الإمام وأصحابه بلاءً حسناً، وبلغ فيه (شمر) فسطاط الحسين رضى الله عنه، والقوم شهداء من حوله، وهو رضى الله عنه مضرح بدمائه وبجسده الطاهر ثلاث وثلاثون طعنة بالرماح، وأربع وأربعون ضربة بالسيوف، وهو مع ذلك صابر لقضاء الله، قوى الجأش، ثابت القلب، طالب من الله الانتقام من الظالمين

وكما انتهى إليه رجل منهم، رجع وكره أن يتولى قتله، أقبل عليه رجل من (كندة) يقال له (مالك) فضربه على رأسه بالسيف، فقطع البرنس وأدماه، ورماه (حصين بن تميم) بسهم وقع في فيه حين أراد أن يشرب فتلقى الدم بيده الشريفة، وقال: اللهم إن كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه، وانتقم من هؤلاء الظالمين، اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً

فقال شمر: ما تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه، فحملوا عليه من كل جانب

وحزوا رأسه الشريفة ، واتهبوا ثقله ، وانتزعوا متاعه ، وأمرهم (عمر بن سعد) فأوطئوا الخيل صدره وظهره ، بعد أن أسلم الروح لبارئها ، واختار الله لها ما عنده ، فحلت حرم الرضوان ، وتمتعت في فراديس الجنان ، وصدق قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَقَضٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
ولما بلغ أهل المدينة قتل الحسين رضى الله عنه خرجت ابنة (عقيل بن أبى طالب) فى نساء من بنى هاشم ، وهى حاضرة تلوى ثوبها وتقول :

« ماذا تقولون إن قال النبى لكم ؟

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم ؟ »

« بعترتى وبأهلى بعد مُفتقدى

منهم أسارى وقتلى ضرَّجوا بدم »

« ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم

أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى »

وقيل انه كان مكتوباً على راية الحسين بن علي رضي الله عنهما
يوم قُتل الآيات الآتية :

« لئن كانت الدنيا تعدُّ نفيسة

فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ »

« وإن كانت الأرزاق قسماً مقدرًا

فقلة حرص المرء بالكسب أجمل »

« وإن كانت الأموال للترك جمعها

فما بال متروك به المرء يبخل »

« وإن كانت الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل »

بعض مراثيه

رثى الحسين عليه السلام منذ توفي شعراء كل جيل ، وكل بلد بكل
لغة ، حتى قيل : أن الجن ناحت عليه ، والسماء أمطرت دماً فلنذكر بعضها

رثاء زوجه الرباب

رثت الرباب بنت امرئ القيس زوجها الحسين عليه السلام حين

قُتل فقالت :

« إن الذي كان نوراً يستضاء به بكر بلاءٍ قتيلاً غير مدفون »
« سبط النبي جزاك الله صالحاً »
« قد كنت لي جبلاً صعباً ألودُ به »
« من الليتامى ومن للسائلين ومن »
« والله لا أتبعي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين »

رثاء ابنته السيدة سكينه رضي الله عنها

« إن الحسين غداة الطف يرشقه ريب المنون فما أن يُخطىء الحدقة »
« بكف شرّ عباد الله كلم نسل البغايا وجيش المرقّ الفسقه »
« يا أمة السوء هاتوا ما احتجاجكم غداً وجاكم بالسيف قد صفقه »
« الويل حلّ بكم إلا بمن لحقه صيرتموه لأرماح العدا درقه »
« يا عين فاحتفلي طول الحياة دماً لاتبكِ ولدأ ولا أهلاً ولا رفقه »
« لكن على ابن رسول الله فانسكي قيحاً ودمعاً وفي إثرهما العلقه »

رثاء عقبة بن عمرو العبسي

قال سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة : قال السدي :

(م - ١٧ رابع)

أول من رثى الحسين عليه السلام عقبه بن عمرو العبسي فقال :
« إذا العين قرّت في الحياة وأنتم تخافون في الدنيا فأظلم نورها »
« مررت على قبر الحسين بكر بلا ففاضت عليه من دموعي غزيرها »
« وما زلت أبكيه وأرثى لشجوه ويسعد عيني دمعا وزفيرها »
« وناديت من حول الحسين عصائبا أطافت به من جانبيه قبورها »
« سلام على أهل القبور بكر بلا وقلّ لها مني سلام يزورها »
« سلام بأصال العشي وبالضحى تؤديه نكباء الرياح ومورها »
« ولا برح الزوار زوار قبره يفوح عليهم مسكها وعبرها »

رثاء الإمام الشافعي

وقيل : ان الإمام الشافعي رحمه الله أنشد الرثاء الآتي :
« ومما نفي نومي وشيَّب لمتي تصاريف أيام هُنَّ خطوب »
« تأوب همي والفؤاد كئيب وأرق عيني والرقاد غريب »
« تنزلت الدنيا لآل محمد وكادت لهم صمّ الجبال تذوب »
« فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِي الْحُسَيْنِ رِسَالَةَ وان كرهتها أنفُس وقلوب »
« قَتِيلَ بِلَا جُرْمٍ كَأَنَّ قَمِيصَهُ صَبِيغُ بَمَاءِ الْأَرْجُوانِ خَضِيبِ »
« نَصَلِي عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَنَفَرُوا بَنِيهِ إِنَّ ذَا لِعَجِيبِ »
« لَنْ كَانَ ذَنْبِي حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ فَذَلِكَ ذَنْبٌ لَسْتُ عَنْهُ أَتُوبِ »

رثاء الشريف الرضى

« كربلا لازلتِ كرباً وبلا
« كم على تُربك لما صرّعوا
« يارسول الله لو أبصرتهم
« من رميض يُمنع الظل ومن
« جزروا جزر الأضحى نسله
« هاتفات برسول الله فى
« قتلوه بعد علم منهم
« ليس هذا لرسول الله يا
« يا جبال المجد عزاً وعُلا
« جعل الله الذى نالكم
« لا أرى حزنكم يُسلى ولا
« مالتى عندك أهل المصطفى
« من دم سال ومن دمع جرى
« وهم ما بين قتل وسبا
« عاطش يُسقى أنابيب القنا
« ثم ساقوا أهله سوق الإيما
« شدة الخوف وعثرات الخطا
« أنه خامس أصحاب الكسا
« أمة الطفيات والبنى جزا
« وبدور الأرض نوراً وسنا
« سبب الوجد طويلًا والبكا
« رزءكم يُنسى وإن طال المدى

وقد رثاه الصاحب بن عباد والبوصيرى رحمهما الله وغيرهما ، وجميع
الرثاء المذكور فى كتاب المرحوم على بك جلال الحسينى فمن شاء

فليطلع عليه

نساؤه

الرباب ، ابنة امرئ القيس الكلبية ، وهي أم سكينه بنت الحسين .

وكان الحسين يحبها حباً شديداً وله فيها أشعار منها :

« لعمرك أننى لأحب دارا تحل به سكينه والرباب »

« أحبهما وأبذل فوق جهدى وليس لعاذل عندى عتاب »

« ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياتي أو يغييبني التراب »

قيل : خطبها يزيد والأشراف من قريش فقالت : والله لا كان

لى حمٍّ آخر بعد رسول الله ، وعاشت بعد الحسين سنة ثم ماتت كمداء ،

ولم تستظل بعد الحسين بسقف (عن ابن الجوزى)

ليلي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي . وهي أم علي المقتول

بالطف مع أبيه

أم اسحق بنت طلحة بن عبد الله ، وهي أم فاطمة

أم جعفر بن الحسين القضاعية ، ولم يوقف على شيء من أخبارها

شهربانو بنت كسرى يزدجرد واسمها (جهان شاه) وهي أم علي

زين العابدين

عائشة بنت خليفة ، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر

الصديق ، وعاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل

أولاده

- قال محمد بن أبي طلحة القرشي في مناقب آل الرسول :
- كان للحسين من الأولاد تسعة : ستة ذكور ، وثلاث إناث
- فالأذكور : ١ - علي الأكبر - الذي قاتل بين يدي أبيه حتى قتل شهيداً
- ٢ - علي الأوسط (زين العابدين) وأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد
- ٣ - علي الأصغر الذي قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلي بنت أبي مرة ابن عروة بن مسعود
- ٤ - محمد - ٥ - عبد الله الذي قتل مع أبيه صغيراً وجاء سهم وهو في حجر أبيه فذبحه

٦ - جعفر بن القضاية

والإناث : ١ - زينب ٢ - سكينه وأما الرباب

٣ - فاطمة وأما أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله تيمية

انتقال الرأس الشريفه الى القاهرة المعزية

اختر الله تعالى للإمام الحسين رضي الله عنه ما عنده ، فقرّبه اليه ، ونقله من دار المحن الى دار المنح ، ومن دار الفناء ، الى دار النعيم

السرمدي المقيم ، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة
فسافر عمر بن سعد بالرأس الشريفة الى الكوفة وسلمها الى ابن
زياد (الشهير بابن مرجانة) فطاف بها في الأسواق ، ثم وجهها الى دمشق
ليزيد ، فأمر برفعها بها ثلاثة أيام ، ثم أمر بأن يطاف بها في البلاد ،
(عاملهم الله بما يستحقون) فطيف بها حتى وصلت عسقلان ، وأميرها
إذ ذاك من خيرة الناس إيماناً وخوفاً من الله ، فدفنها في مكان فخيم
استمرت به الى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وفي شعبان منها خرج
الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكر كثيرة الى بيت المقدس (كما نقله
المقريزي عن ابن ميسر) وحارب من به وملكه ثم دخل عسقلان
ولما علم بالرأس الشريفة عمل مشهداً جليلاً بالمدينة المذكورة إذ
رأى المكان الأول صار لا يلبق بجلاها ، ولما تكامل أخرجها فمطرها
وحملها على صدره وسعى بها ماشياً الى أن أحلها في المشهد المذكور ،
فاستمرت به الى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة من الهجرة وحواليها ،
قضى الله على عسقلان أن تمتد اليها أيدي الطمع من الإفرنج وكان بها
أمير يقال له (عياش) فأرسل الى الخليفة (الفائز بأمر الله) بمصر يقول
له : أما بعد فإن الفرنج قد أشرفوا على أخذ عسقلان وإن بها رأس
الإمام الحسين بن علي فأرسلوا من تختارونه وإلا أخذوها ، وكان
الخليفة الفائز أحد الخلفاء الفاطميين إذ ذاك طفلاً صغيراً لم يبلغ الحادية

عشرة من عمره، ولذلك كان الحل والعقد والأمر والنهي لأكبر وزرائه (طلّاع بن رُزيك) فأرسل فرقة من الجيش تحت أمر (مكنون) الخادم : وزوّده بثلاثين ألف دينار، فأتوا بها ووصلوا الى (قطيعة) فخرج الوزير الى لقائها من عدة مراحل ومعه جيوش كثيرة وكلهم حفاة خاشعون فحملها الوزير على صدره حتى دخلوا مصر وبني طلالع مسجداً لها خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر، وهو المعروف (بجامع الصالح) الآن، فكشفت الحجب عن تلك الذخيرة النبوية فوجد دمها لم يجف، ووجد لها رائحة أطيب من المسك (كما قال المقرئى) ففصلها فى المسجد المذكور على ألواح من الخشب (بأعلى الحائط ألواح الآن يقال انها هى التى كان عليها الفسل) ثم أراد أن يشرف ذلك المسجد بدفنها فيه فأبى أهل القصر وهم معية الملك الفائز وقالوا: ان أثر أنبويًا جليلاً كهذا لا يليق أن يكون مستقره خارج

حدود القاهرة بل لا بد من دفنه فى قصر الملك

وكانت بوابة الباب الأخضر الموجودة الآن تحت المنارة الصغرى للمسجد الحسينى باباً من أبواب القصر المنتهى الى الجمالية واسمه (باب الديلم) ودهليز الخدمة فعمدوا الى الجهة المذكورة وبنوا بها بناء فخياً حلوه بأنواع الزخارف الجميلة وكسوا جدرانها بالرخام الملون فى البقعة المباركة الحالية) عن كتاب التاريخ الحسينى للمرحوم السيد محمود البيلاوى

الخلاف في وجود رأس الحسين عليه السلام

هل هي مدفونة بكر بلا أم بالقاهرة ؟

قد حصل تضارب في الأقوال ، واختلاف كثير في وجود رأس الحسين عليه السلام . فبعضهم يقول : أنه دفن بدمشق ونقل الى عسقلان ومنها الى القاهرة

وبعضهم يقول : انه مدفون بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام وقيل بمسجد الرقة على الفرات ، وبعضهم ينكر أن ابن زياد أرسله الى يزيد ، وبعض أهل السنة اتفقوا على أنه مدفون مع الجسد بكر بلا

ولقد حقق المرحوم على بك جلال الحسيني في كتابه (تاريخ الحسين) من الشواهد ما يثبت وجود الرأس بالقاهرة ، كما أن الاستاذ حسن أفندي قاسم الكاتب التاريخي لمجلة الإسلام الغراء ، أثبت في كتابه (مصرع الحسين الذي ظهر حديثاً) بالأدلة التاريخية ، والشواهد الدينية المنقولة عن كبار العلماء ، أن الرأس الشريف مدفونة بالقاهرة بالمشهد الحسيني بلا خلاف ، وقد أورد كثيراً من التحقيقات المؤيدة لذلك بأدلة ثابتة ، والله تعالى أعلم

زيارة المسجد الحسيني

لقد أشرقت الديار المصرية بيزوغ هذه الشمس المنيرة بأنوار النبوة رأس الإمام الحسين رضي الله عنه وحلولها بالقبة الشريفة بالقاهرة سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة بعد الهجرة بالمسجد الحسيني ، وصار من دفنها الى الآن مطمح أنظار العباد من المسلمين في أقطار القطر المصري ويزار في معظم الأوقات خصوصاً في المولد الحسيني المشهور

المواسم السنية بالمسجد الحسيني

ويحتفل بالمسجد الحسيني في كل عام بعشرة مواسم جليلة هي أعياد للأمة المصرية الاسلامية ، ومطالع للأتوار السنية الحسينية ، بها تستمد البركات ، وتم النفحات ، كيف لا وهي مشارق الأنوار ، ومعاهد الأسرار ، في مشهد سبط النبي المختار

والمواسم المذكورة هي : ١ - ليلة عاشوراء ويومها ٢ - المولد النبوي الشريف ٣ - المولد الحسيني ٤ - حفلة الغسلة ٥ - ليلة المعراج ويومها ٦ - وليلة الخامس من شهر شعبان تذكراً لليلة التي ولد فيها الإمام الحسين رضي الله عنه ٧ - وليلة النصف من شعبان ويومها ٨ - وليلة القدر ٩ - وشهر رمضان ١٠ - والاحتفال بنقل الكسوة الشريفة النبوية الى المسجد الحسيني في شوال من كل سنة

موسم عاشوراء وأعمال العجم فيه

يحتفل بالمسجد الحسيني باحياء ليلة العاشر من المحرم في كل عام بالأذكار والأوراد، وترتيل آي الذكر الحكيم، وقراءة الدروس الشرعية، والقصة الشريفة النبوية، كل هذا والمسجد مشرق بالأنوار الشمسية والقمرية، والقبة كاملة الأنوار معنوية وحسية، وهي تحيا من قديم الزمان، على نفقة أهل البر والإحسان، وإن الشريعة الغراء قد اتخذت يوم عاشوراء موسماً دينياً، أمرت فيه ببذل الأموال، والتوسعة على الفقراء والأطفال، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من وسع على عبائه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته» وقال صلى الله عليه وسلم: «صيام عاشوراء أنى أحسب على الله عز وجل أن يكفر السنة التي قبلها»

وأمر المسلمين فيه بزيارة العلماء، ومواساة الفقراء، وعبادة المرضى، وغير ذلك من الأعمال الخيرية التي وردت في السنة الشريفة التي اتخذت هذا اليوم موسماً من أعظم المواسم الدينية هذا وإن الشيعة والأعاجم قد اتخذوا هذا اليوم يوم حزن كبير، وماتم عظيم، بل اتخذ الشيعة أيامه السابقة عليه أيضاً أيام حزن وكدر لما حل بسبط سيد الأبرار، فيجتمعون في منزل يعدونه لذلك،

ويزينونه بالأقمشة الفاخرة ، ويوقدون الشموع والمصابيح ، ويدعون من أرادوا ، ويقوم بعد العشاء خطيب يرثى الإمام الحسين وأهل بيته الأخيار ، فيبكي ويبكى الحاضرون ، وهكذا كل ليلة الى ليلة عاشوراء فيتوسعون في الاحتفال بالأمم ، ويدعون الكبراء والأمرء ، وفي الساعة الرابعة يسيرون في مشهد كبير صفوفًا بثياب بيضاء وبأيديهم سيوف مجرحون بها رؤوسهم ، وبعضهم يضرب صدره براحتيه ، وبعضهم يضرب ظهره بالسلاسل والأغلال ، وبينهم جواد عليه طفل تسيل دماؤه على وجهه وصدره ، وجواد آخر يمثل حمل الرأس الشريف ، وهكذا كل امرئ منهم يبدي ما يقدر عليه مما يراه قرابة الى الإمام الحسين رضی الله عنه ، فحتى انتظموا ساروا نحو المشهد ثم رجعوا بسلام وقد ذكر المقرئ أنهم كانوا يحرمون عليهم وعلى الناس شرب الماء في ذلك اليوم ؛ لأن الإمام الحسين قتل عطشانًا ، فكانوا يشقون قرب السقاين ، ويكسرون أواني الشرب في الأسواق ، ويسبون من ينفق على عياله فيه ، وكان يعظم فيه خوف الناس منهم فيغلقون الحوانيت وأبواب الديار ، وتعطل الأسواق ،

ولم يبق والله الحمد من هذا كله شيء إلا أن سوى ما ذكر من إحصاء

الليلة في المسجد

العضات والعبر من قصة مصرع الحسين رضي الله عنه

كما ذكرها المرحوم علي بك جلال الحسيني في كتابه

كما أن حياة الحسين عليه السلام منار المهتدين ، فمصرعه عظة
لعتبرين ، وقدوة المستبسلين

١ - الرِّقَّةَ كَيْفَ اضْطَرَّه نَكْدُ الدُّنْيَا إِلَى إِثَارِ الْمَوْتِ عَلَى الْحَيَاةِ ،

وهو أعظم رجل في وقته لانظيره في شرقها ولا في غربها

٢ - وأبت نفسه الكريمة الضيم ، واختار السَّاةَ عَلَى الذِّلَّةِ ، فكان

كما قال فيه أبو نصر بن نباتة :

« والحسين الذي رأى الموت في العز

حياةً والعيش في الذل قتلاً »

٣ - ومع التفاوت الذي بلغ أقصى ما يتصور بين فئته القليلة وجيش

ابن زياد في العدد والعدد والمدد ، قد كان ثباته ورباطة جأشه

وشجاعته تحير الألباب ، ولا عهد للبشر بمثلها ، كما كانت دناءة أخصامه

لاشبيه لها

٤ - وما سُمع منذ خلق ولن يُسمع حتى يقنى أفضع من ضرب (ابن

مرجانة) من ابن سُميَّة بقضيب ثغر ابن بنت رسول الله ، ورأسه بين

يديه بعد أن كان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام يلثمه

٥ - ومن آثار العدل الإلهي قتل عبيد الله بن زياد (يوم عاشوراء) كما قتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ، وأن يبعث برأسه الى علي ابن الحسين كما بعث برأس الحسين الى ابن زياد

٦ - وهل أمهل يزيد بن معاوية بعد الحسين إلا ثلاث سنين أو أقل ، فقد روى ابن جرير الطبري في تاريخه عن هشام بن محمد الكلبي أنه ولي سنتين وثمانية أشهر

٧ - وأي موعظة أبلغ من أن كل من اشترك في دم الحسين اقتص الله تعالى منه فقتل أو نكسب

٨ - وأي عبرة لأولى الأبصار أعظم من كون ضريح الحسين حراماً معظماً ، وقبر يزيد بن معاوية مزبلة أو (مبولة)

٩ - وتأمل عناية الله بالبيت النبوي الكريم بقتل أبناء الحسين ولا يترك منهم إلا صبي مريض مشرف على الهلاك ، فيبارك الله في أولاده فيكثر عددهم ويعظم شأنهم

١٠ - والذين قتلوا مع الحسين من أهل بيته رجال ماعلى وجه الأرض يومئذ لهم شبه ، كما قال الحسن البصرى ، وكانوا عنوان الشهامة والشّم والقُدوة في الصبر والحرب والكرم

« وإنّ الأولى بالطفّ من آل هاشم

تأسوا فسنوا للكرام التأسيا »

١١ - وكل من أصابته الشدائد جعل رئيس هؤلاء الكرام أسوة
كمصعب بن الزبير وبنى المهلب وغيرهم كما اقتدى أصحاب نجدة بن
عامر ، والمختار بن أبي عبيد ، وعبد الله بن الزبير واخيه مصعب وغيرهم
في خذلان أمرائهم بأهل العراق حين خذلوا امامهم الحسين

١٢ - ومقتل الحسين بغض بني أمية الى الناس وأيد حجة أعدائهم
وزعزع أوتاد ملكهم ، وكان أكبر أسباب زوال دولتهم

١٣ - والحسين هو الذي عبّد للأمم طريق الخروج على ولاية الفسق
والجور ، ودعا الى جهاد الظلم من استطاع اليه سبيلا ، فجاد بنفسه ،
وبذل مهجته لإقامة الحق والعدل والسنة مقام الباطل ، والاستبداد والإهواء

١٤ - ولو قدرت ولاية الحسين لكان خيراً للأمة في حكومتها
وحياتها ، وأخلاقها وجهادها ، وشـتان ما بين السبط الزكي ، والظالم
السكير (يزيد القروذ والطنابير) وهل يستوى الفاسق الجائر ، والعاذل
الإمام ؟ وأين الذهب من الرغام ؟

ولكن اقتضت الحكمة الإلهية سير الحوادث بخلاف ذلك ، وإذا
أراد الله أمراً فلا مرد له

١٥ - واقتضت إرادة الله أيضاً أن يبقى أثر جهاد الحسين على
ممر الدهور كلما أرهق الناس الظلم تذكرة لمن ندب نفسه لخدمة
الأمة ، فلم يحجم عن بذل حياته متى كانت فيه مصلحة أحوالها

٣ - الامام على زين العابدين

ابن الحسين رضى الله عنهما

ولد سنة ٣٨ هـ - وتوفي سنة ٩٤ هـ

مولده - ولد زين العابدين رضى الله عنه بالمدينة الشريفة يوم الخميس
خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة فى أيام جده على بن أبى
طالب ، وقبل وفاته بسنتين

كنيته - المشهورة (أبو الحسن) وقيل : أبو محمد . وقيل : أبو بكر
وقال الإمام مالك رضى الله عنه سمي زين العابدين لكثرة عبادته
ألقابه - كثيرة أشهرها . زين العابدين ، وسيد العابدين ، والزكى
والأمين ، وذو النفقات ، نقش على خاتمه « وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ »

نسبه الشريف - أبوه الحسين بن على رضى الله عنهما . وأمه .
(سلافة) ولقبها (شاه زنان) ومعناها بالفارسية (ملكة النساء) وهى
بنت (يزدجرد) ولد (أنوشروان العادل) ملك الفرس

نشأته - كان زين العابدين مع أبيه بكر بلا، مريراً نائماً على الفراش
فلم يقتل ، قاله ابن عمر رضى الله عنهما

مناقبه

علمه وورعه - قال محمد بن سعيد : على بن الحسين كان ثقة ، كثير الحديث ، عالماً ، رفيحاً ، ورعاً. وقال ابن تيمية : على بن الحسين من كبار التابعين وساداتهم علماء ودينياً

وقال الزهري : مارأيت أفقه منه

وقال ابن المسيب : مارأيت أورع منه

حلمه وعفوه واحسانه - عن سفیان قال : جاء رجل الى على بن الحسين رضی الله عنهما فقال له : ان فلانا قد وقع فيك بحضورى (أى كان يغتابه) فقال له : انطلق بنا اليه ، فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أتاه قال له : يا هذا إن كان ماقلته في حقنا أسأل الله أن يغفرلى ؛ وإن كان ماقلته في إطلا فأله تعالى يغفره لك ، ثم ولى عنه ويحكى : أنه خرج الى المسجد للصلاة فسه رجل فقصده غلمانة ليضربوه ويؤذوه لأنه شتم سيدهم ، فنهاهم سيدنا زين العابدين وقال لهم : كفوا أيديكم عنه ، ثم التفت الى ذلك الرجل وقال : يا هذا أنا أكثر مما تقول ، وما لا تعرفه عنى أكثر مما عرفته ، فان كان لك حاجة في ذكره ذكرته لك . (يريد أن يقول عيوبى كثيرة ، وأن الكلام الذى تسبني

وتشتمني به أقل من عيوبي) وإن كنت تريد أن أذكر لك بعض
هذه العيوب ذكرتها لك

فحجل الرجل واستحى ؛ لأنه كان ينتظر أن يشتمه سيدنا زين العابدين
بدل أن يلاطفه ويرد عليه بهذا القول اللين والرد الجميل . فلما رأى
خجله سيدنا زين العابدين خلع عليه قميصه ، وأمر له بألف درهم زيادة
عن تركه وملاطفته وعدم ايدائه ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن
هذا الشاب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعبده وصلاحه

عن أبي حمزة قال : كان علي بن الحسين رضى الله عنه يصلى فى
اليوم واللييلة ألف ركعة ، وكان اذا توضأ للصلاة يصفر لونه ، فقيل له :
ما هذا الذى نراه يمتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أما تدررون من أريد
أن أقف بين يديه ؟

وقال طاووس : دخلت الحجر فى الليل فاذا على بن الحسين قد
دخل ، فقام يصلى ماشاء الله ثم سجد سجدة فأطأها فقلت : رجل
صالح من بيت النبوة لأصغين اليه ؟ فسمته يقول : عبدك بفنائك ،
مسكينك بفنائك ، فقيرك بفنائك ، سائلك بفنائك

قال طاووس : فوالله ما صليت ودعوت بهن في كرب إلا فرج الله عنى

تصدقه وكرمه

قال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرِّ إلا بعد موت علي بن الحسين

وقال محمد بن اسحاق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وما آكلهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم

وكان يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون الى سواد في ظهره فقيل : ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . ولما مات رضى الله عنه في سنة خمس وتسعين وجدوه كان يقوت أهل مائة بيت

وقال سفيان : أراد علي بن الحسين الحج ، فأنفذ اليه أخته سكينه ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين وقال المناوى : دخل على علي زين العابدين رضى الله عنه في

مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكي ، فقال له : ما يبكيك ؟ فقال له : على دين خمسة عشر ألف دينار ، فقال : هي عليّ ، ووفائها رضى الله عنه

حب الناس له

لما مرض دخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودونه فقالوا له : كيف أصبحت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فذتك أنفسنا . قال : في عافية ، والله محمود على ذلك ، فكيف أصبحتم أنتم جميعاً ؟ قالوا : أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم محبين وادّين

فقال لهم : من أحبنا لله أسكنه الله في ظل ظليل يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله ، ومن أحبنا يريد مكافأتنا ، كافأه الله عنا الجنة ، ومن أحبنا لغرض ديننا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب

حسن خلقه

يحكى أنه طلب غلامه (خادمه) وناداه مرتين فلم يجبه مع أنه سمع فقال له : أما سمعت ندائي ؟ فقال : بلى ، قد سمعت فقال له : ما الذى حملك على ترك إجابتي ؟

قال : أمنت منك ، وعرفت حسن خلقك ، وطمعت في حلك ،
فتكاسلت وأبطأت في الإجابة ، فسراً زين العابدين من حسن إجابته
وقال : الحمد لله الذي آمن منى عبدي

فضله وتعميمه

يحكى أن هشام بن عبد الملك حج في حياة أبيه ، فطاف بالبيت وجهد
أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل اليه لكثرة الزحام ، فنصب له
منبراً الى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه ينظر اليه الناس وحوله
جماعة من أهل الشام

فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين رضى الله
عنهما يريد الطواف ، فلما انتهى الى الحجر الأسود تنحى الناس له
حتى استلم الحجر . فقال رجل من أهل الشام

من هذا الذى قد هابه الناس هذه المهابة ففتحوا عنه يميناً وشمالاً ؟

فقال هشام : لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان

الفرزدق الشاعر المشهور حاضراً فقال للشامى : أنا أعرفه . فقال : من

هو يا أبا فراس ؟ فقال قصيدة طويلة نكتفى بذكر بعضها :

« هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ »

« هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلمُ »

« هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلًا بجده أنبياء الله قد ختموا »
« من جده دان فضل الأنبياء له »
« الله شرفه قدرًا وعظمه »
« سهل الخليفة لا تخشى بوادره »
« حمال أثقال أقوام إذا اقترضوا »
« إذا رآته قريش قال قائلها »
« إلى مكارم هذا ينتهي الكرم »

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ، ثم أخذ الفرزدق وسجنه
(بعسفان) فبلغ ذلك على بن الحسين رضى الله عنه فبعث إليه بأربعة
آلاف درهم فردّها الفرزدق وكتب إليه : إنما مدحتك بما أنت أهلها ،
فردّها عليه على رضى الله عنه وكتب إليه : أن خذها وتعاون بها على
دهرك ، فانا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لاستعيده ، فقبلها منه

وفاته

توفي زين العابدين رضى الله عنه فى ثانى عشر المحرم سنة أربع
وتسعين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك سبعا وخمسين سنة

وقال ابن الصباغ المالكى المكى : يقال : مات مسموماً وأن الذى

سمّه الوليد بن عبد الملك

ودفن (بالقيع) في القبر الذي دفن فيه عمه الحسن بن علي بن أبي طالب في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب
أولاده

أولاده رضى الله عنهم أربعة عشر ولدًا: عشرة ذكور ، وأربع إناث وهم:
محمد ، المكنى بأبي جعفر الملقب بالباقر ، أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي عم زين العابدين ، وزيد ، وعمر ، أمهما أم ولد -
وعبد الله ، والحسن ، والحسين ، أمهم أم ولد - والحسين الأصغر ،
وعبد الرحمن ، وسليمان ، أمهم أم ولد - وعلى وكان أصغر ولد على ابن الحسين

وخديجة ، وفاطمة ، وعليه ، وأم كلثوم

نبذ من كلامه وحكمه رضي الله عنه

من كلامه رضى الله عنه : عجبت لمن يحتجى من الطعام لمضرتة ،
ولا يحتجى من الذنب لموته

وقال رضى الله عنه : أربع عزهن ذل : البنت (ولو مريم) ،
والدين (ولو درهم) ، والغربة (ولو ليلة) ، والسؤال (ولو أين الطريق ؟)
وقال رضى الله عنه : من قنع بما قسم الله فهو من أغنى الناس
وكان يتصدق سرًا ويقول : صدقة السرّ تطفى غضب الرب

٤ - الإمام محمد الباقر

ولد سنة ٥٧ - وتوفي سنة ١١٧ هـ

نسبه - هو ابن سيدنا علي زين العابدين ، بن الحسين رضى الله
عنهما ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله
عنهم أجمعين ، فهو هاشمى من هاشميين وعلوى من علويين

مولده - ولد بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة
قبل قتل جده الحسين بثلاث سنين

كنيته - أبو جعفر لاغير

ألقابه - وألقابه ثلاثة : الباقر ، والشاكر ، والهادى ، وأشهرها الباقر

الأحاديث التي وردت بشأته

روى عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي قال : كنا عند جابر بن
عبد الله رضى الله عنهما فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي
فقال علي لابنه وهو صبي : قبل رأس عمك ، فدنا محمد من جابر فقبل
رأسه ، فقال جابر : من هذا ؟ - وكان قد كف بصره - فقال له علي
ابن الحسين : هذا ابني محمد ، فضمه جابر اليه وقال : يا محمد ، محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ، فقالوا : كيف ذلك
يا أبا عبد الله ؟

قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسير في حجره
وهو يلاعبه فقال :

« يا جابر ، يولد لابني الحسين ابن يقال له : علي . فاذا كان يوم القيامة
ينادي مناد ، ليقم سيد العابدين ، فيقوم علي بن الحسين ، ويولد لعلي بن
الحسين ابن يقال له : محمد . يا جابر ، إن أدركته فأقرئه مني السلام ،
وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل » فلم يعش جابر رضي الله عنه
بعد ذلك غير ثلاثة أيام

وروى : أن محمد الباقر بن علي سأل جابر بن عبد الله الأنصاري
رضي الله عنهما لما دخل عليه عند عائشة وما جرى بينها وبين علي
رضي الله عنهما ، فقال له جابر : دخلت عليها يوماً وقلت لها : ماتوا
في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟

فأطرقت رأسها ، ثم رفعتها ، وقالت رضي الله عنها :

« إذا ما التبر حكَّ علي محك تين غشه من غير شك »

« وفينا الغش والذهب المصنَّى عليُّ بيننا شبه المحك »

مناقبه

علمه - قيل : لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن ، وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ، ما ظهر عن أبي جعفر الباقر ، روى معالم الدين عن بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، وسارت بذكر علومه الأخبار ، وأنشدت في مدائحه الأشعار ، فمن ذلك ما قاله مالك بن أعين الجهني من قصيدة يمدحه فيها :

« إذا طلب الناسُ علمُ القرأ ن كانت قريش عليه عيالاً »

« وإف فاه ابن بنية النبي تلت بذاك فروعاً طوالاً »

وفيه يقول الرضى :

« ياباقر العلم لأهل التقى وخير من لبي على الأجبيل »

تقواه

حكى الأفلح فقال : حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى ، فقلت بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون اليك فلو خفضت صوتك قليلاً

فقال : ويحك يا أفلح ، ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر الى برحمة منه فأفوز بها غداً

ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركب خلف المقام ، فلما فرغ ، إذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه

« وكان نقش خاتمه : (رب لا تذرني فردا) وقيل : « ظني بالله حسن ، وبالنبي المؤمن ، وبالوحي ذي المنن ، وبالحسين والحسن »

وروى عنه ابنه جعفر قال : كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه : أمرتني فلم آتمر ، ونهيتني فلم أنزجر ، فهأنا عبدك بين يديك مقرا لا أعتذر

قال خالد بن الهيثم : قال أبو جعفر محمد الباقر : ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرّم الله وجه صاحبها على النار ، فان سألت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قطر ولا ذلة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فان الله تعالى يكفر بها مجورا من الخطايا ، ولو أن باكيًا يبكي في أمة لحرّم الله تلك الأمة على النار

كرمه وجوده

حكّت سلمى مولاة أبي جعفر : أنه كان يدخل عليه بعض اخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم في بعض الأحيان ويعطيهم الدراهم

قالت : فكنّت أكله في ذلك لكثرة عياله ، وتوسط حاله ،

فيقول : ياسلمى ماحسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف ، فكان يصل بالخمسة درهم وبالستمائة الى ألف درهم

وفاته

مات أبو جعفر محمد الباقر سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : ثمان وخمسون ، وأوصى أن يكفن في قميصه الذى كان يصلى فيه ، وقيل : أنه مات مسموماً كأبيه ودفن بقبة العباس بالبقيع

أولاده

أولاده رضى الله عنه ستة ، وقيل : سبعة وهم :
أبو عبد الله جعفر الصادق وكان يكنى به ، وعبد الله ، أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ،
وابراهيم ، وعبد الله ، وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية ،
وعلى ، وزينب ، لأم ولد

نبد من كلامه

من كلامه رضى الله عنه : ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قلّ أو أكثر

وقال : سلاح اللثام ، قبيح الكلام

وكان يقول : والله لموت عالم أحب الى الشيطان من موت سبعين عبداً

وقال : شيعتنا من أطاع الله

وقال : الغنى والفقر يجولان فى قلب المؤمن ، فاذا وصلا الى مكان

التوكل استوطناه

وقال : الصواعق تصيب المؤمن وغيره ، ولا تصيب ذا كره الله عز وجل

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج

وقال : بثس الأخ يركاك غنياً ، ويقطعك فقيراً

وقال : اعرف المودة فى قلب أخيك بما له فى قلبك

مواعظه

وقال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهما : يا بُنى إذا أنعم الله عليك

نعمة فقل : الحمد لله ، وإذا أحزنك أمر فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله

العلی العظیم ، وإذا أبطأ عليك الرزق فقل : أستغفر الله

وقال لابنه جعفر الصادق رضى الله عنهما : يا بُنى إن الله خبأ ثلاثة

أشياء فى ثلاثة أشياء . خبأ رضاه فى طاعته ، فلا تحقرن من الطاعات

شيئاً فلعل رضاه فيه

وخبأ سخطه فى معصيته ، فلا تحقرن من معصيته شيئاً فلعل سخطه فيه

وخبياً أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي
وقال لجابر الجعفي : يا جابر إني لمشتغل القلب . قلت : وما يشغل
قلبك ؟ قال : يا جابر أن من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه
يا جابر ، ما الدنيا وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركب ركبته ،
أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها
يا جابر ، إن المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا نزواها ، ولم يأمنوا الآخرة
لأهواها ، وإن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم لك
معونة ، إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، أليسوا قوالبين
لحق الله ؟ قائمين بأمر الله ، فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه ،
وكال أصبته في منامك ثم استيقظت وليس معك منه شيء ، واحفظ الله
فما استرعاك من دينه وحكمته

هـ - الإمام جعفر الصادق

ولد سنة ٨٠ - وتوفي سنة ١٤٨ هـ

نسبه - سيدنا جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين
ابن الحسين، بن علي، بن أبي طالب رضی الله عنهم، وأمه أم فروة بنت
القاسم، بن محمد، بن أبي بكر الصديق

مولده - ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وقيل : سنة ثلاث
وثمانين، قال بعضهم : الأول أصح

كنيته - أبو عبد الله، وقيل : أبو اسماعيل

ألقابه - أما القاب ثلاثة : الصادق، والفاضل، والطاهر، وأشهرها
الصادق، وتتش (خاتمه ماشاء الله، لاقوة إلا بالله، أستغفر الله)

مناقبه

علمه - كان عالماً ثقة، روى عنه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم،
كيجي بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن
عبيدة، وأبي حنيفة، وغيرهم

قال ابن أبي حازم : كنت عند جعفر الصادق يوماً وإذا بسفيان

الثورى بالباب ، فقال : ائذن له . فدخل ، فقال له جعفر : ياسفيان إنك رجل يطلبك السلطان فى بعض الأحيان ، ونحضر عنده وأنا أتقى السلطان ، فأخرج عنى ، غير مطرود

قال سفيان : حدثنى حديثاً أسمعه منك وأقوم

فقال : حدثنى أبى عن جدى عن أبىه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزنه أمر فليقل ، لاحول ولا قوة إلا بالله

فلما قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ثلاثاً وأى ثلاث وقال ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب : كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضى الله عنهما ، فيه كل ما يحتاجون الى علمه الى يوم القيامة ، والى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله :

« لقد عجّبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم فى جلد حفر »

« ومرآة المنجم وهى صغرى تريحه كل عامرة وقفر »

(والجفر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه)

وفى الفصول المهمة نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذى بلغ بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن على من كلام جعفر الصادق وله فيه المنقبة السنية ، والدرجة التى فى مقام الفضل عليه

عبادته وتقواه

قال محمد بن طلحة : كان جعفر الصادق يقسم أوقاته على أنواع الطاعات ويحاسب نفسه عليها
وكان يقول : اللهم إنك بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له
أهل من العقوبة

نبد من كلامه وحكمه

قال جعفر الصادق رضى الله عنه : للصدقة خمسة شروط فمن كانت فيه فانسبوه اليها ، ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شيء منها وهي : أن يكون زين صديقه زينه ، وسريره له كهلانته ، وألا يفره عليه مال ، وأن يراه أهلا لجميع مودته ، ولا يسلمه عند النكبات
ومن كلامه رضى الله عنه : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله ، وتصغيره ، وستره

وقال رضى الله عنه : ما كل من رأى شيئاً قدر عليه ، ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق أصاب له موضعاً ، فاذا اجتمعت النية ، والتوفيق ، والاصابة فهناك السعادة

وقال رضى الله عنه : تأخير التوبة اغترار ، وطول التسوية خيرة

والاعتلال على الله هلكة ، والإصرار على الذنب من مكر الله ،
ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

وقال رضى الله عنه : أربعة أشياء القليل منها كثير : النار ، والعداوة ،

والفقر ، والمرض

وسئل : لِمَ سُمِيَ البيت العتيق ؟ قال : لأن الله تعالى أعتقه من

الطوفان

وقال : صحبة عشرين يوماً قرابة

وقال : كفارة عمل الشيطان ، الإحسان الى الإخوان

وقال : إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس

فى الصدور

وقال : البنات حسنات ، والبنون نعم ، والحسنات يثاب عليها ،

والنعم مستول عنها

وقال : مَنْ لم يستح عند العيب ، ويرعو عند الشيب ، ويخش الله

بظهر الغيب ، فلا خير فيه

وقال : إياكم وملاحاة الشعراء فانهم يرضون بالمدح ، ويجودون

بالهجاء والقدح

وقال : مَنْ أكرمك فأكرمه ، وَمَنْ استخف بك فأكرم نفسك عنه

(م - ١٩ رابع)

وقال : منع الجود ، سوء الظن بالمعبود
وقال : دعا الله الناس في الدنيا بأبائهم ليتعارفوا ، ودعاهم في الآخرة
بأعمالهم ايجازوا ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾
وقال : ان عيال المرء أسراؤه ، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على
أسرائه ، فان لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة
وقال : ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً : الصبح عن
ظلمه ، والإعطاء لمن حرمه ، والصلة لمن قطعه
وقال : المؤمن إذا غضب لم يخرج غضبه عن حق ، وإذا رضى لم
يدخله رضاه في باطل

وصيته الجامعة لمكارم الأخلاق

قال بعض شيعة جعفر الصادق : دخلت عليه ، وموسى ولده بين
يديه ، وهو يوصيه بهذه الوصية ، فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال :
يا بُنى ، إقبل وصيتي ، واحفظ مقالتي ، فانك إن حفظتها تعيش
سعيداً ، وتمت حميداً

يا بُنى ، إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مدَّ عينيه الى ما في
يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له أتهم ربه في قضائه ،
ومن استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره

يأبني ، مَنْ كَشَفَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ
الْبَغْيِ قَتَلَ بِهِ ، وَمَنْ احْتَفَرَ لِأَخِيهِ بَرًّا سَقَطَ فِيهَا ، وَمَنْ وَاصَلَ السَّفَهَاءَ
حُقِرَ ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وَقُرَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ آتَمَّ
يَأْبُنِي ، قُلِ الْحَقُّ لَكَ أَوْ عَلَيَّ ، وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَانْهَاهَا تَزْرَعُ الشُّحْنَاءَ
فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ

يَأْبُنِي ، إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ ، فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِنَ ،
وَالْمَعَادِنَ أَصُولًا ، وَالْأَصُولَ فُرُوعًا ، وَلِلْفُرُوعِ ثَمَرًا ، وَلَا يَطِيبُ ثَمَرُ إِلَّا
بِفُرُوعٍ وَأَصْلٍ ، وَلَا أَصْلٌ ثَابِتٌ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ

يَأْبُنِي ، إِذَا زَرْتِ فِزْرَ الْأَخْيَارِ ، وَلَا تَزْرِي الْأَشْرَارَ ، فَانْهَاهُمْ صَخْرَةَ
لَا يَتَفَجَّرُ مَائُهَا ، وَشَجَرَةٌ لَا يَنْخَضِرُ وَرَقُهَا ، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عَشْبُهَا
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَقْدَامِ الرَّازِيِّ : وَقَعَ الذَّبَابُ عَلَى وَجْهِ الْمَنْصُورِ
فَذَبَهُ ، فَمَادَ حَتَّى أَضْجَرَ ، وَكَانَ عِنْدَهُ جَعْفَرُ الصَّادِقِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لِمَ خَلَقَ اللَّهُ الذَّبَابَ ؟

قَالَ : لِيَذِلَّ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، فَسَكَتَ الْمَنْصُورُ

قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ : سَمِعْتُ جَعْفَرَ الصَّادِقَ يَقُولُ : عَزَّتِ السَّلَامَةُ
حَتَّى لَقَدْ خَفِيَ مَطْلِبُهَا فَإِنَّ تَكَّ فِي شَيْءٍ فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ فِي الْحَمُولِ ،
وَإِنْ طَابَتْ فِي الْحَمُولِ فَلَمْ تَوْحِدْ ، فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ فِي الْعِزَّةِ وَالْحُلُوةِ ،

فان لم توجد في العزلة والخلاوة فيوشك أن تكون في كلام السلف ،
والسعيد من وجد في نفسه خلوة تشغله عن الناس
وروى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده
ورفعه قال : مامن مؤمن أدخل على قومه سرورا إلا خلق الله من ذلك
السرور ملكاً يعبد الله بحمده ويُجَدِّه ، فاذا صار المؤمن في لحده
أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكاً فيقول : أنا اليوم
أونس وحشتك ، وألقنك ، وأثبتك بالقول الثابت ، وأشهدك مشاهد
القيامة ، وأشفع لك الى ربك ، وأريك منزلتك في الجنة ، كذا في
الفصول المهمة

وفاته

توفي جعفر الصادق رضي الله عنه ابن محمد سنة ثمان وأربعين ومائة
في شوال وله من العمر ثمان وستون سنة . ويقال : انه مات بالسم في
أيام المنصور ، ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده وعم
جده ، فياله من قبر شريف ما أكرمه وما أشرفه

أولاده

أولاده رضي الله عنه كانوا سبعة وقيل أكثر : ستة ذكور وبنات
واحدة وهم : اسماعيل ، ومحمد ، وعلي ، وعبد الله ، واسحاق ، وموسى
الكاظم . والبنات اسمها فروة ، كذا في الفصول المهمة

٦ - الإمام موسى الكاظم

ولد سنة ١٢٨ - وتوفي سنة ١٨٣ هـ

نسبه - هو ابن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ،
ابن الحسين ، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأمه أم ولد يقال
لها حميدة البربرية

مولده - ولد (بالابواء) سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة

كنيته - أبو الحسن

ألقابه - ألقابه كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصلح الأمين ،
ولقب بالكاظم لأنه كان يحسن الى من يسئ اليه ويكظم غيظه .
وتقش خاتمه (الملك لله وحده)

مناقبه

علمه وفضله

قال بعض أهل العلم : الكاظم ، هو الإمام الكبير القدر ، الأوحد

الحجة ، الخبر ، جمع من الفقه والدين ما لا مزيد عليه

تعبده

كان أعبد أهل زمانه ، الساهر ليله قائماً ، القاطع نهاره صائماً المسمى ،
لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروف عند أهل العراق
بباب الحوائج الى الله ، وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به
دعاؤه - كان كثيراً ما يدعو بقوله : اللهم إني أسألك الراحة عند
الموت ، والعفو عند الحساب

كرمه وسخاؤه - كان يخرج بالليل وفي كفه صرر من الدراهم ،
فيعطى من لقيه ، ويضرب به المثل (بصرة موسى) وكان رضى الله
عنه أسخاهم كفاً ، وأكرمهم نفساً
وكان يتفقد فقراء المدينة فتحمل اليهم الدراهم والدنانير الى بيوتهم
ليلاً ، وكذلك النفقات ، ولا يعلمون من أى جهة وصلهم ذلك ، ولم
يعلموا بذلك إلا بعد موته

حكايته مع الرشيد

سأله الرشيد يوماً فقال : كيف قلم نحن ذرية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنتم بنو علي ، وإنما ينسب الرجل الى جده لأبيه دون
جده لأمه ؟

فقال الكاظم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى . وليس لعيسى أب ، وإنما ألحق بذرية الأنبياء من قبل أمه ، وكذلك ألحقنا بذرية النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمنا فاطمة

وزيادة على ذلك يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل :

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾

ولم يدع صلى الله عليه وسلم عند مباهلة النصارى غير على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم وهم الأبناء

وروى موسى الكاظم عن آبائه مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : نظر الولد الى والديه عبادة

وعن اسحق بن جعفر قال : سألت أخى موسى الكاظم بن جعفر

قلت : أصلحك الله أياكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . فقلت : أياكون

خائناً ؟ قال : لا ، ولا يكون كذاباً

ثم قال : حدثني أبى جعفر الصادق عن آبائه رضى الله عنهم قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل خلة يطوى المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة

وفاته - توفي ببغداد لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة . وقيل : انه مات مسموماً من طعام قدمه له (السندى) بأمر الرشيد بعد أن حبس مدة سنة بالبصرة بسبب الفتنة التي وصلت الى الرشيد في حقه ، وسعاية الواشين ضده بالغبية والنميمة ، وهذه الرواية مذكورة في كتاب نور الأبصار ولما مات أدخل (السندى) الفقهاء ووجوه أهل بغداد ينظرون اليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق ، وأنه مات حتف أنفه ليدارى سوء فعله

ودفن موسى الكاظم في مقابر قریش بباب التين ببغداد
أولاده - أولاده سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم :
على الرضا ، وإبراهيم ، والعباس ، والقاسم ، وإسماعيل ، وجعفر ،
وهارون ، والحسن ، وعبدالله ، واسحق ، وعبدالله ، وزيد ، والحسن ،
وأحمد ، ومحمد ، والفضل ، وسليمان ، وفاطمة الكبرى ، وفاطمة
الصفري ، ورقية ، وحليمة ، وأم أسماء ، ورقية الصفري ، وأم كلثوم ،
وميمونة ، وغيرهم

٧ - الإمام علي الرضا

ولد سنة ١٤٨ - وتوفي سنة ٢٠٣ هـ

نسبه - هو ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ،
ابن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنهم أجمعين ، وأمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها (أروى)
مولده - ولد بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة
كنيته - أبو الحسن
ألقابه - الرضا ، والصابر ، والزكي ، والولي . وأشهرها الرضا ، وتقرئ
خاتمه (حسبي الله)

مناقبه

علمه وفضله - قال إبراهيم بن العباس : ما رأيت الرضا سُئل عن
شيء إلا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الى وقت عصره
وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء ، فيجيبه الجواب الشافي الكافي
تعبده - وكان قليل النوم ، كثير الصوم ، لا يفوته صوم ثلاثة أيام
من كل شهر ، ويقول : ذلك صيام الدهر

معروفه وتصدقته - وكان كثير المعروف والصدقة ، وأكثر ما يكون

ذلك منه في الليالي المظلمة

كرمه وجوده - من كرمه أن أبا نواس مدحه بأبيات فأمر غلامه

بأن يعطيه ثلثمائة دينار كانت معه ، ومدحه دعبل الخزاعي بقصيدة

طويلة فأفخذ اليه صرة فيها مائة دينار واعتذر اليه

زهده وورعه - كان زاهداً ورعاً وكان جلوسه في الصيف على حصير

وفي الشتاء على مسح

قال ابراهيم بن العباس : سمعت الرضا يقول وقد سأله رجل : يكلف

الله العباد ما لا يطيقون ؟ فقال هو أعدل من ذلك . قال : فيقدرون

على كل ما يريدون . قال : هم أعجز من ذلك . وعن ياسر الخادم قال :

سمعت علي الرضا بن موسى يقول : أوحش ما يكون هذا الخلق في

ثلاثة مواضع : يوم يولد الى الدنيا ويخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا

ويوم يموت فيرى الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم

يرها في دار الدنيا ، وقد سلم الله تعالى على يحيى في هذه الثلاثة المواطن

وأمن روعته فقال :

﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾

وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال :
(وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُئِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)

ترشيحه للخلافة من قبل المأمون

ذكر جماعة من أصحاب السير ، ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك ، وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة أخيه الحسن في ذلك ، فاجتمعا وحضرا عند المأمون ، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه مافي خروج الأمر عن أهل بيته ، فقال المأمون : إني عاهدت الله تعالى انى ان ظفرت بالملخوع سلمت الخلافة الى أفضل بنى طالب وهو أفضلهم ولا بد من ذلك

فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال :
تذهبان الآن اليه ، وتخبرانه بذلك عنى ، وتلزمانه به ، فذهبا الى على الرضا وأخبراه بذلك وألزماه ، فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب ، على أنه لا يأمر ، ولا ينهى ، ولا يعزل ، ولا يولى ، ولا يتكلم بين اثنين فى حكومة ، ولا يُغير شيئاً مما هو قائم على أصله ، فأجابه المأمون الى ذلك ثم ان المأمون جلس مجلساً خاصاً لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الخل والعقد ، وكان ذلك فى يوم

الخميس لخمس - لون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وأحضرهم
فلما حضروا قال للفضل بن سهل : أخبر الجماعة الحاضرين برأى
أمير المؤمنين فى الرضا على بن موسى وأنه ولاء عهده ، وأمرهم بلبس
الخضرة والعود لبيعته فى الخميس

فحضروا وجلسوا على حسب طبقاتهم ومنازلهم كل فى موضعه ،
وجلس المأمون ، ثم جىء بالرضا فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا
له ، وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة متقلد بسيف

فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام اليه ومبايعته أول الناس ، فرفع
الرضا يده وجعلها من فوق . فقال المأمون : أبسط يدك ، فقال له الرضا :
هكذا كان يبائع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده فوق أيديهم .
فقال : افعل ما ترى

ثم وضعت بدر الدراهم والدنانير ، وبقج الثياب والخلع ، وقام
الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من ولاية عهده للرضا
وذكروا فضل الرضا ، وفرقت الصلوات والجوائز على الحاضرين على
قدر مراتبهم . وأول من بدىء به العلويون ثم العباسيون ثم باقى الناس
على قدر منازلهم ومراتبهم ، ثم ان المأمون قال للرضا : قم فاخطب
الناس ، فقام فحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم فصلى عليه وقال : أيها الناس ان لنا عليكم حقاً برسول الله صلى

الله عليه وسلم ، ولكم علينا حق به ، فاذا أدبتم ذلك ، وجب لكم علينا
الحكم والسلام

ولم يسمع منه في هذا المجلس غير هذا ، وخطب للرضا بولاية العهد
في كل بلد

« وصورة كتاب العهد الذي كتبه المأمون بخطه للرضا مذكورة في
كتاب نور الأبصار ، في مناقب آل بيت النبي المختار ، فمن شاء فليطلع
عليها لأنها طويلة جداً ولا محل لذكرها هنا

وقد زوجه المأمون ابنته (أم حبيب) في أول اثنين ومائتين
والمأمون متوجه الى العراق وقد ضربت الدنانير باسمه

وفاته - توفي سنة ثلاثة ومائتين في آخر صفر وله من العمر إذ ذاك
خمس وخمسون سنة في قرية يقال لها (سناباد) من (رستاق) من أعمال
طوس من خراسان وقبره في قبلي قبر هارون الرشيد

أولاده - خمسة بنين ، وابنة واحدة وهم : محمد القانع ، والحسن ،
وجعفر ، وإبراهيم ، والحسين ، والبنت اسمها عائشة

٨- الامام محمد الجواد

ولد سنة ١٩٥ هـ - وتوفي سنة ٣٣٠ هـ

نسبه - هو ابن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ،
ابن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن علي بن
أبي طالب رضی الله عنهم ، وأمه أم ولد يقال لها : سكينه المريسية
كنيته - أبو جعفر ككنية جده محمد الباقر ، ولذا يقال له
(أبو جعفر الثاني)

ألقابه - كثيرة منها الجواد ، والقانع ، والمرضى ، وأشهرها الجواد
ونقش خاتمه (نعم القادر الله)

مولده - ولد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس
وتسعين ومائة من الهجرة

مناقبه

ذكاؤه ونباهته - اتفق أن المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطريق
البلد فوجد صبيانا يلعبون ومحمد الجواد واقف عندهم ؛ فلما أقبل المأمون
فرّ الصبيان ووقف محمد مكانه وعمره إذ ذاك تسع سنين ، فلما قرب

منه الخليفة نظر اليه ، فألقى الله في قلبه حبه ، فقال له : يا غلام ، ما منعك من الانصراف كأصحابك ؟ فقال له محمد مسرعاً : يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك ، وليس لي جرم فأخشاك ، والظن بك حسن ، انك لاتضر من لاذنب له

فأعجبه كلامه ، وحسن صورته ، فقال له : ما اسمك واسم أبيك ؟ فقال : محمد بن علي الرضا . فترحم على أبيه ، وساق جواده الى مقصده
علمه وفضله وزواجه من بنت المأمون

لقد أحسن المأمون اليه ، وقرّبه وبالغ في إكرامه ، ولم يزل مشغولاً به لما ظهر له من فضله وعلمه ، وكال عقله ، وظهور برهانه ، مع صغر سنه ، وعزم على تزويجه بابنته (أم الفضل) وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد اليه كما عهد الى أبيه من قبل فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه عن كافة أهل الفضل علماً ومعرفةً وحلماً مع صغر سنه نازعوه في اتصاف (محمد الجواد) بذلك ، وطلبوا منه اختباره بمعرفة يحيى بن أكرم . فلما امتحنه أجابه إجابات سديدة فقالوا : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

فقال المأمون : قد عرفتم الآن ما تنكرون عليه ، والحمد لله على ما منّ به عليّ من السداد في الأمر ، والتوفيق في الرأي ، وأقبل على أبي جعفر

وقال له : إني مزوجك ابنتي (أم الفضل) رغم أنوف القوم . فاخطب
لنفسك فقد رضيتك لنفسى وابنتى

فقال أبو جعفر : الحمد لله ، إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله ، إخلاصاً
بوحدايته ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته ، والأصفياء من عترته ،
أما بعد ، فقد كان من فضل الله على الأنام ، أن أغناهم بالحلال عن
الحرام ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ
عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَالِمٌ ﴾

ثم ان محمد بن علي بن موسى خطب الى أمير المؤمنين عبد الله
المأمون ابنته (أم الفضل) وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهو خمسمائة درهم جياذ) فهل
زوجتى يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق ؟

قال المأمون : زوجتك ابنتى (أم الفضل) على هذا الصداق المذكور
فقال أبو جعفر : قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق المذكور
وبعد أن انصرف الناس تقدم المأمون بالصدقة على الفقراء
والمساكين ، ولم يزل عنده محمد الجواد معظماً مكرماً الى أن توجه بزوجه
أم الفضل الى المدينة الشريفة

وفاته - توفي أبو جعفر محمد الجواد ببغداد ، وكان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة فقدم ببغداد ومعه زوجته (أم الفضل) بنت المأمون لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين

وكانت وفاته في آخر ذى القعدة من السنة المذكورة ودفن في مقابر قریش في قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم ودخلت امرأته (أم الفضل) في قصر المعتصم

وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة وأشهر ، ويقال : أنه مات مسموماً ، وأن زوجته (أم الفضل) سقته السم بأمر أبيها أولاده - خلف من الولد ، علياً ، وموسى ، وفاطمة ، وإمامة

نبذ من كلامه وحكمه

من كلامه رضى الله عنه : أن لله عباداً يخلصهم بدوام النعم ، فلا تزال فيهم ما يذلونها ، فان منعوها نزعها الله عنهم وحوّلها الى غيرهم وقال رضى الله عنه : ما عظمت نعمة الله على أحد ، إلا عظمت اليه حوائج الناس ، فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال رضى الله عنه : أهل المعروف الى اصطناعه أحوج من أهل

الحاجة اليه ؛ لأن لهم أجره ، وفخره ، وذكره ، فهما اصطنع الرجل من معروف فأنما يتدىء فيه بنفسه

وقال رضى الله عنه : مَنْ أَجَلَّ إِنْسَانًا هَابَهُ ، وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَابَهُ ، وَالْفُرْصَةَ خَلَسَتْ ، وَمَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقَمَ جَسَدُهُ ، وَعَنْوَانَ صَحِيفَةَ الْمُسْلِمِ حَسَنَ خَلْقِهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : عَنْوَانَ صَحِيفَةَ الْمُسْلِمِ السَّعِيدِ حَسَنَ

الثناء عليه

وقال : من استغنى بالله افتقر الناس اليه ، ومن اتقى الله أحبه الناس

وقال : الجمال فى اللسان ، والكمال فى العقل

وقال : العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة البلاء ، والتواضع زينة الحسب ، والفصاحة زينة الكلام ، والحفظ زينة الرواية ، وخفض الجناح زينة العلم ، وحسن الأدب زينة الورع ، وبسط الوجه زينة القناعة ، وترك ما لا يعنى زينة الورع

وقال : حسب المرء من كمال المروءة ألا يلقى أحداً بما يكره ، ومن حسن خلق الرجل كفته أذاه ، ومن سخائه برّه بمن يجب حقه عليه ، ومن كرمه إيثاره على نفسه ، ومن انصافه قبول الحق إذا بان له ، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك ، مع علمه بعيوبك ، ومن رفقته تركه بذلك بمحضرة

من نكره ، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ ،
ومن علامة صداقته كثرة موافقته ، وقلة مخالفته ، ومن شكره معرفة
إحسان من أحسن اليه ، ومن تواضعه معرفته بقدره ، ومن سلامته قلة
حفظه لعيوب غيره ، وعنايته بصلاح عيوبه

وقال رضى الله عنه : العالم بالظلم ، والمعين عليه ، والراضى به ، شركاء

وقال رضى الله عنه : من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل ،
والطامع فى وثاق الذل ، ومن طلب البقاء ، فليعد للمصائب قلباً صبوراً
وقال رضى الله عنه : العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم

وقال رضى الله عنه : الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت

وقال رضى الله عنه : ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله : كثرة

الاستغفار ، ولين الجانب ، وكثرة الصدقة

وله حكم وأقوال كثيرة نكتفى بما ذكر منها والله أعلم

وقال رضى الله عنه : ثلاث من كن فيه لم يندم :

ترك المحلة ، والمشورة ، والتوكل على الله عند العزم

٩ - الإمام على الهادى

ولد سنة ٢١٤ - وتوفى سنة ٢٥٤ هـ

نسبه - هو سيدنا على الهادى ، بن محمد الجواد ، بن على الرضا ،
ابن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن على
زين العابدين ، بن الحسين ، بن على ، بن أبى طالب رضى الله عنهم ،
وأمه أم ولد يقال لها (سمانة المغربية)

كنيته - أبو الحسن لاغير

ألقابه - أما ألقابه فهي : الهادى ، والمتوكل ، والناصح ، والمتقى ،
والمرتضى ، والفقير ، والأمين ، والطيب ، وأشهرها الهادى . وكان
ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقباً للخليفة جعفر المتوكل
ابن المعتصم . ويقال له العسكرى : لأنه أقام بموضع يقال له : العسكر
وهو (سرّ مَنْ رأى) ونقش خاتمه (الله ربى وهو عصمتى من خلقه)

مولده - ولد أبو الحسن الهادى بالمدينة فى رجب سنة أربع عشرة

وماثتين للهجرة

مناقبه

علمه - كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علماً ومنحاً ، وكان فقيهاً فصيحاً جميلاً مهيباً ، وكان أطيب الناس بهجة ، وأصدقهم لهجة كرمه وزهده وعفته - نقل غير واحد أن أبا الحسن العسكري خرج يوماً من (سُرمَن راي) إلى قرية له لهم ، فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره فلم يجده وقيل له : أنه ذهب إلى الموضع الفلاني ، فقصد إلى ذلك الموضع ، فلما وصل إليه قال له : ما حاجتك ؟ فقال له : أنا رجل من أعراب الكوفة المستمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد ارتكبتني الديون ، وأثقلت ظهري بحملها ، ولم أر من أقصده لقضائها . فقال له أبو الحسن : كم دينك ؟ فقال : نحو عشرة آلاف درهم .

فقال : طب نفساً ، وقر عيناً ، يُقضى دينك إن شاء الله تعالى ، ثم أنزله . فلما أصبح الصباح قال له : يا أخا العرب ، أريد منك حاجة لا تعصيني فيها ولا تخالفني ، والله الله فيما أمرك به ، وحاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى . فقال الأعرابي : لا أخالفك في شيء مما تأمرني به ، فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه (ديناً عليه للأعرابي المذكور) وقال له : خذ هذا الخط معك فاذا حضرت إلى (سُرمَن راي) فتراني

أجلس مجلساً عاماً، فاذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال الى بالخط
وطالبي ، وأغلظ عليّ في القول والطلب، ولا لوم عليك ، والله الله أن
تخالفني في شيء ، مما أوصيتك به

فلما وصل أبو الحسن الى (سرمن راي) جلس مجلساً عاماً وحضره
جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل ، فجاء الأعرابي
وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه الكلام ، فجعل أبو الحسن
يعتذره ، ويطيب نفسه بالقبول ، ويمدده بالخلاص ، وكذلك الحاضرون
وطلب منه المهلة ثلاثة أيام

فلما انفك المجلس نقل ذلك للخليفة المتوكل ، فأمر لأبي الحسن
على الفور بثلاثين ألف درهم ، فلما حلت اليه تركها الى أن جاء الأعرابي
فقال له : خذها جميعها . فقال الأعرابي : يا بن رسول الله ، والله ان
العشرة بلوغ مطلبي ، ونهاية أربي

فقال أبو الحسن : والله لتأخذن ذلك جميعه ، وهو رزقك ، ساقه الله
لك ، ولو كان أكثر من ذلك ما تقصناه ، فأخذ الأعرابي الثلاثين
ألف درهم وانصرف وهو يقول : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

قصته مع المتوكل

في تاريخ ابن خلكان وغيره أنه سعى به الى المتوكل بأن في منزله

سلاحاً وكتب من شيعته ، وأنه يطلب الأمر لنفسه ، فبعث اليه جماعة فهجموا عليه في منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة ، يقرأ القرآن ، فحملوه على حاله الى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله ، وقال له : أنشدنى . فقال : إني قليل الرواية للشعر . فقال : لا بد . فأنشده :

« باتوا على قتل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القتل »
« واستنزلوا بعد عز من معاقلمهم وأودعوا حفراً يابئس منازلوا »
« ناداهم صارخ من بعد مارحلوا أين الأسرة والتيجان والحلل ؟ »
« أين الوجوه التي كانت محجبة ؟ من دونها تضرب الأستار والكلل »
« فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتل »
« يا طالما أكلوا يوماً وما شربوا فأصبحوا بعد ذلك الأكل قدأكلوا »
قال : فبكى المتوكل والحاضرون ؛ وقال له المتوكل : يا أبا الحسن هل عليك دين ؟ قال : نعم . أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها وصرفه معظماً مكرماً

وفاته - توفي أبو الحسن على الهادي المعروف بالعسكري (بسرمن رأى) يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وله من العمر أربعون سنة

ودفن في داره (بسرمن رأى) ويقال : أنه مات مسموماً والله أعلم
أولاده - محمد ، والحسن ، ومحمد أبو جعفر ، وله ابنة اسمها عائشة

١٠ - الإمام الحسن الخالص

ولد سنة ٢٣٢ - وتوفي سنة ٢٦٠ هـ

نسبه - هو سيدنا الحسن الخالص ، بن علي الهادي ، بن محمد الجواد ، بن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن علي ، بن أبي طالب رضي الله عنهم . وأمه أم ولد يقال لها : (حديث) وقيل (سوسن) كنيته - أبو محمد

ألقابه - الخالص ، والسراج ، والعسكري وتتش خاتمه (سبحان

من له مقاليد السموات والأرض)

مولده - ولد أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع

الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة

مناقبه

علمه وعبادته - وقع للبهلول معه واقعة تدل على علمه وعبادته وهي :

أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم ،

فقال له : أشترى لك ما تلعب به ؟ فقال : يا قليل العقل ، ما للعب خلقنا

فقال له : فماذا خلقنا ؟ قال : للعلم والعبادة . فقال له : من أين لك ذلك ؟ فقال : من قوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

ثم سأله أن يعظه ، فوعظه بأبيات ، ثم خرّ الحسن رضى الله عنه مغشياً عليه ، فلما أفاق قال له : ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك ؟ فقال : اليك عنى يابهلول ، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صفاء حطب جهنم

وعن أبي هاشم قال : سمعت أبا محمد الحسن يقول : إن في الجنة باباً يقال له (المعروف) لا يدخل منه إلا أهل المعروف ، فحمدت الله في نفسي ، وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس ، فنظر الى وقال : يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه ، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة

وعنه أيضاً قال : سمعت أبا محمد يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) أقرب الى اسم الله الأعظم من سواد العين الى بياضها

وفاته

كانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة ثمان خلون من

شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين . وكان عمره يوم وفاته ٢٨ سنة
ولما ذاع خبر وفاته ارتجت (سر من رأى) وقامت صيحةً
واحدةً ، وعطلت الأسواق ، وغلقت الدكاكين ، وركب بنو هاشم ،
والقواد ، والكتاب ، والقضاة ، وسائر الناس الى جنازته ، وكانت
(سر من رأى) يومئذ شبيهة بالقيامة

فأما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة الى أبي عيسى بن المتوكل ليصلى
عليه ، فصلى عليه ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارها
(بسر من رأى)

أولاده

خلف ولداً واحداً اسمه (محمد)

١١ - الامام محمد المهدي

ولد سنة ٢٥٥ هـ

نسبه - هو سيدنا محمد ، بن الحسن الخالص ، بن علي الهادي ،
ابن محمد الجواد ، بن علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر
الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين ، بن
علي ، بن أبي طالب رضي الله عنهم .

وأمه أم ولد يقال لها : (نرجس) وقيل (صقيل) وقيل (سوسن)

كنيته - أبو القاسم

ألقابه - لقبه الامامية بالحجة ، والمهدي ، والخلف الصالح ، والقاسم ،

والمنتظر ، وصاحب الزمان ، وأشهرها (المهدي) وقيل : سمي القائم المنتظر
لأنه ستر بالمدينة ، وغاب فلم يعلم أين ذهب ، وهو آخر الأئمة الاثني عشر
على ما ذهب اليه الامامية ، وهو عندهم الامام المهدي المنتظر فيهم
ويقولون له : اخرج يا صاحب الزمان ، فقد كثر الظلم والفساد ، وهذا
أوان خروجك ، ليفرق الله بك بين الحق والباطل (كما جاء في رحلة
ابن بطوطة)

الأحاديث الواردة في حقه

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو لم يبق إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً . أخرجه أبو داود في سننه

وأخرج أبو داود والترمذى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المهدي منى ، أجلى الجبهة ، أقى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً زاد أبو داود يملك سبع سنين

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المهدي طاوس أهل الجنة

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ، وأمامكم منكم ؟ رواه البخارى ومسلم في صحيحهما

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين الى يوم القيامة قال : فينزل عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم : تعال صل بنا . فيقول : ألا ان بعضكم

على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة : أخرجه مسلم في صحيحه
وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضى الله
عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشركم بالمهدى يملأ
الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه سكان السماء والأرض
يقسم المال صحاحاً ، فقال رجل : ما معنى صحاحاً ؟ قال : بالسوية
بين الناس ، ويملاً قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنىً ، ويسمهم
عدله حتى يأمر منادياً ينادى يقول :

من له بالمال حاجة فليقم ، فما يقوم من الناس إلا رجل واحد
فيقول : أنا

فيقول له : إئت (السادن) يعنى الخازن فقل له : إن المهدي
يأمرك أن تعطيني مالاً فيحثوه في ثوبه حثواً حتى إذا صار في ثوبه
يندم ويقول : كنت أجشع أمة محمد صلى الله عليه وسلم نفساً ، أعجز عما
وسمهم ، فيرده الى الخازن فلا يقبل منه ، ويقول : إنا لاناخذ شيئاً مما
أعطيناه ، فيكون المهدي كذلك سبع سنين أو ثمانية أو تسعاً ، ثم لاخير
في العيش بعده ، أو قال : ثم لاخير في الحياة بعده

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادى :
هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه (أخرجه أبو نعيم والطبراني وغيرها)

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال :

تذعن أمتى فى زمن المهدي نعمة لم يتنعموا مثلها قط ، ترسل السماء
عليهم مدراراً ، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته - رواه
الطبرانى فى معجمه الكبير

وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنه
من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً

وتواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى عليه السلام على قتل المسيح
الذجال ياب (لد) بأرض فلسطين بالشام . والله تعالى أعلم . والصلاة
والسلام على رسوله الكرام ، فى المبدأ والختام

انتهى بعون الله وتوفيقه الجزء الرابع وكان الفراغ من تأليفه فى مساء

الجمعة ١٨ شوال سنة ١٣٥٢ الموافق ٣ فبراير سنة ١٩٣٤

السيد على فكرى

ابن المرحوم

السيد محمد عبدالله

تم طبعه يوم السبت ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣

١٨ اغسطس سنة ١٩٣٤

فهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة	٢٩	حسن جواره
٤	الإمام أبي حنيفة النعمان	٣١	نزاهته وعفته
٤	مولده ونسبه - اسمه وكنيته	٣٢	وصاياه في آداب القضاء
٦	بشارة النبي ﷺ	٣٤	وصاياه في سياسة الناس
٧	إقباله على العلم والتدريس		ومعاشرتهم
١٣	مناقب الإمام	٣٨	مناجاته ربه
	ترفعه ورفضه لمناصب الدولة	٤٠	دعاؤه عند موت ابنه
١٥	زهده وورعه		وفاته وسببها
١٩	قناعته	٤١	تأبينه
٢٠	فراسته - ذكاؤه	٤٣	المذهب الحنفي
٢٢	حلته وعفوه	٤٥	الإمام مالك بن أنس
٢٤	كرم أخلاقه		مولده ونسبه - نشأته
٢٥	أكله من كسب يده	٤٦	مناقبه - أخلاقه وآدابه
٢٦	كرمه ومواساته	٤٧	علومه
٢٩	تفقدته لأصحابه	٤٩	تبشير النبي ﷺ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٧٥	بشارة المصطفى ﷺ به	٥٠	ثناء العلماء والفضلاء عليه
٧٧	طلبه للعلم والاجتهاد فيه	٥١	تزامم طلاب العلم على بابه
٨٠	تبحره في الحديث - إجازته للفتوى	٥٢	تعظيمه للمدينة
٨١	رحلته الى المدينة لطلب العلم	٥٣	تعظيمه للحديث
٨٥	شهادة الامام مالك بسعة علمه	٥٥	تعظيمه للعلم
٨٦	رحلته الى العراق	٥٧	تعظيم الخلفاء والأمرء له
٨٩	رحلته الى فارس وغيرها	٥٨	أبو جعفر المنصور والإمام مالك
	وعودته الى المدينة	٦٠	المهدي ومالك بن أنس
٩٠	رحلته الى اليمن وزواجه	٦٣	امتناعه عن القضاء
٩١	حسن معاشرته لزوجته	٦٤	صلاحه وتقواه
٩٣	حادثته مع الرشيد	٦٥	زهده وورعه
٩٦	حضوره مجلس العلماء ببغداد	٦٧	وفاته - تأبينه
	ومناظرتهم	٦٨	أولاده
٩٧	امتناعه عن تولية القضاء ومكانته	٦٩	بعض أقواله وحكمه
٩٨	عودته الى مكة	٧١	المذهب المالكي
٩٩	عودته إلى بغداد وسفره الى مصر	٧٣	الامام الشافعي
			مولده نسبه
			نشأته ٧٤

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٠١	انقضاء دروسه في جامع عمرو	١٣٧	مذهب الشافعي
١٠٣	من نبغ من المصريين والمصريات على يديه	١٣٩	الامام أحمد بن حنبل
١٠٣	تأليف الشافعي	١٣٠	مولده وكنيته ونسبه ونشأته طلبه للعلم ورحلاته اليه
١٠٤	مناقبه - زهده	١٣١	تأديبه احتراماً للعلم
١٠٩	ورعه وتقواه	١٣٢	إقباله على العلم وكثرة حفظه للحديث
١١٠	عفته عن اللغو وفحش الكلام	١٣٣	رحلته في طلب الحديث
١١١	عزة نفسه	١٣٤	ثناء مشايخه عليه
١١٢	قناعته	١٣٥	ثناء نظرائه وأقرانه عليه
١١٣	كرمه وسخاؤه	١٣٧	ثناء كبار أتباعه عليه مصنفاته
١١٣	بره بأقاربه - ومواساته للفقراء - حلمه وعفوه	١٣٨	مناقبه - زهده
١١٤	ثناء الناس عليه	١٣٩	كلامه في الزهد
١١٦	مرضه	١٤٢	ورعه وتمسكه بالسنة والأثر
١١٧	وفاته - جنازته ودفنه	١٤٣	تعظيمه لأهل السنة والنقل
١١٨	تأيينه	١٤٤	إعراضه عن المناصب وتواضعه
١١٩	نبد من كلامه نثراً	١٤٥	حبه للفقير والفقراء
١٢٣	نبد من شعره		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٧٠	زوجاته - سراريه	١٤٦	إيثاره العزلة والوحدة
١٧١	أولاده ، نبذ من أقواله	١٤٧	تقواه وتعبده
١٧٢	نبذ من شعره	١٥٠	دعاؤه ومناجاته
١٧٣	المذهب الحنبلي	١٥١	هيئته
١٧٥	الامام الليث بن سعد	١٥٢	نظافته ، وطهارته ، وسهولة أخلاقه
	نسبه ، وكنيته ، ومولده	١٥٤	حلمه وعفوه
١٧٦	طلبه للعلم وتقدمه فيه	١٥٥	ماله ومعاشه
١٧٧	مناقبه - مروءته وكرم أخلاقه وكرمه	١٥٦	تعففه عن أموال الناس
١٧٩	زهده وقناعاته	١٥٨	كرمه وجوده
١٨٠	صدقه - ثناء الأئمة عليه	١٥٩	قبوله الهدية ومكافأته عليها
١٨١	عظم قدره عند الخلفاء		المحنة التي أصيب بها وسببها
١٨٢	قصته مع هارون الرشيد وعفته	١٦٠	قصته مع المأمون
١٨٣	وفاته	١٦١	كيف امتحن أحمد بن حنبل؟
١٨٤	ولده (شعيب)	١٦٥	رفع المحنة عنه
١٨٦	الامام سفيان الثوري	١٦٦	مرضه
	نسبه - مولده - بعض مناقبه	١٦٧	وفاته
		١٦٨	تأبينه وراثته

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٤	كنيته . وألقابه ، شبهه بالنبي	١٨٨	سفيان الثوري والمهدى
٢٠٥	الأحاديث الواردة في فضله	١٨٩	امتناعه عن قضاء الكوفة
٢٠٦	مناقبه . أدبه وتواضعه		سفيان وأبو جعفر المنصور
٢٠٧	كرمه	١٩٠	وفاته - نبذ من أقواله وحكمه
٢٠٩	تصدقته ومواساته للفقراء	١٩٥	الإمام الأوزاعي
٢١٠	قصته مع معاوية ومصالحته		نسبه ومولده ونشأته وصفاته
٢١٢	مرضه ووفاته		وعلمه ومكانته
٢١٤	أولاده - نبذ من كلامه	١٩٦	عبادته وورعه
	وحكمه	١٩٧	سياسته ونصحه للملوك
٢١٦	مواعظه		والخلفاء
٢١٨	الإمام الحسين عليه السلام		كرمه وسخاؤه
	نسبه الشريف ومولده	١٩٨	شجاعته وجراته
٢١٩	اسمه	١٩٩	الأوزاعي والمنصور
٢٢٠	كنيته وألقابه وبتانه ورضاعه	٢٠٠	وفاته وسببها
٢٢١	الأحاديث الواردة في فضله	٢٠١	تأييد ونبذ من أقواله وحكمه
٢٢٢	موجز أخبار حياته	٢٠٣	الأئمة الصالحون الأختيار
٢٢٤	نشأته في حياة حده الرسول		الإمام الحسن السبط
٢٢٥	محبة عمر للحسن والحسين		نسبه الشريف مولده

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٥٦	بعض مرآتيه	٢٢٦	صفة الحسين رضى الله عنه
٢٦٠	نساؤه	٢٢٧	مناقبه إجمالاً
٢٦١	أولاده	٢٢٩	كرمه وجوده
٢٦١	انتقال الرأس الى القاهرة	٢٣٢	حسن أدبه وظرفه
٢٦٤	الخلاف في محل وجود الرأس	٢٣٣	حلمه وعفوه
٢٦٥	زيارة المسجد الحسيني		عفته وعزة نفسه
	المواسم السنيه بالمسجد الحسيني	٢٣٤	نهييه عن الإسراف ، شجاعته
٢٦٦	موسم عاشوراء وأعمال العجم فيه	٢٣٦	فراسته
٢٦٨	العظاات والعبير من قصة الحسين رضى الله عنه	٢٣٧	عبادته - تواضعه
٢٧١	الإمام على زين العابدين	٢٣٨	علمه ونبذ من كلامه وحكمه
	مولده وكنيته ونسبه ونشأته	٢٤٠	كتابه الى معاوية في أمر خاص
٢٧٢	مناقبه - علمه وورعه وحلمه	٢٤١	كتابه إلى أهل الكوفة
	وعفوه وإحسانه	٢٤٣	كتابه إلى أهل البصرة
٢٧٣	تعبده وصلاحه	٢٤٤	بعض خطبه في المواظ
٢٧٤	تصدقه وكرمه	٢٤٥	دعاؤه
٢٧٥	حب الناس له وحسن خلقه	٢٤٦	شعره في الحكم
		٢٤٨	خلاصة ما قيل في مقتله
		٢٥١	السبب في نزول هـ . هـ
			الكارثة العظمى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٧٦	فضله وتعظيمه	٢٩٣	الإمام موسى الكاظم
٢٧٧	وفاته		نسبه - مولده - كنيته
٢٧٨	أولاده - نيز من كلامه		ألقابه
٢٧٩	الإمام محمد الباقر		مناقبه - علمه وفضله
	نسبه، مولده، كنيته، ألقابه	٢٩٤	تعبده - حكايته مع الرشيد
	الأحاديث الواردة بشأنه	٢٩٦	وفاته - أولاده
٢٨١	مناقبه - علومه - تقواه	٢٩٧	الإمام علي الرضا
٢٨٢	كرمه وجوده		نسبه - مولده - كنيته - ألقابه
٢٨٣	وفاته - أولاده - نيز من كلامه		مناقبه - علمه وفضله
٢٨٤	مواعظه		تعبده
٢٨٦	الإمام جعفر الصادق	٢٩٨	معروفه وأصدقائه
	نسبه - مولده - كنيته - ألقابه		كرمه وجوده، زهده وورعه
	مناقبه: علمه	٢٩٩	ترشيحه للخلافة من قبل
٢٨٨	عبادته وتقواه، نيز من كلامه		الناؤون
٢٩٠	وصيته الجامعة لمكارم الأخلاق	٣٠١	وفاته - أولاده
٢٩٢	وفاته - أولاده	٣٠٢	الإمام محمد الجواد
			نسبه - كنيته ألقابه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٠٢	مولده	٣١١	وفاته - أولاده
٣٠٢	مناقبه: ذكاؤه نباهته	٣١٢	الإمام الحسن الخالص
٣ ٣	علمه وفضله وزواجه	نسبه - كنيته - ألقابه	
٣٠٥	وفاته - أولاده	مولده مناقبه: علمه وعبادته	
	نبد من كلامه وحكمه	٣١٣	وفاته
٣٠٨	الإمام علي الهادي	٣١٤	أولاده
	نسبه - كنيته - ألقابه - مولده	٣١٥	الإمام محمد المهدي
٣٠٩	مناقبه - علمه، كرمه وزهده	نسبه - كنيته - ألقابه	
	وعفته	٣١٦	الأحاديث الواردة في حقه
٣١٠	قصته مع المتوكل		

التَّمْيِيزُ الصَّغِيرُ

شعْرٌ سَمِلَ بِالصَّوَرِ

نظم الاستاذ

محمد المرافى

قررتَه وزارة المعارف للتعليم الأولى

تربية الطفل

للدكتور شخاشيرى

كتاب تتبع فيه أطوار الطفل وما يلزم لتربيته في صورة
محادثة بين الطبيب وأبوى الطفل . وهو أول كتاب في التربية
في أسلوبه لا يستغنى عنه من يريد أن يربي طفله تربية صحية
وخير مرشد للامهات

البنات

للاستاذ السيد على فكرى أمين دار الكتب المصرية

كتاب صغير يهدى النشء الى واجباتهم المدرسية ، والمنزلية ، والاجتماعية ، فيشبون من صغرهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال وجيل الأعمال ، التي يكونون بها رجالا في المستقبل ، نافعين لأنفسهم ، ووطنهم وأسررتهم

البنات

كتاب لتربية البنات تربية اسلامية حقة ، في أدوار حياتهن المنزلية والمدرسية ، والاجتماعية ، ويشمل كثيراً من الحكايات التهديبية والأناشيد الأدبية ، والحكم والأمثال الوعظية ، لتكون بها سيده مهذبة ومدبرة عاقلة ، وامرأة صالحة نافعة لأمتها وأسررتها